إصدارات مركز التفكير الإبداعي (٩٤) سلسلة التربية القيادية (١)

مـرحبـاً بطالب العلم

العلم .. أهميته .. وسائله .. آدابه

تاليف

ماهر فرج عمارة

راجعه

اسلام ماهر عمارة

دار ابن حزم

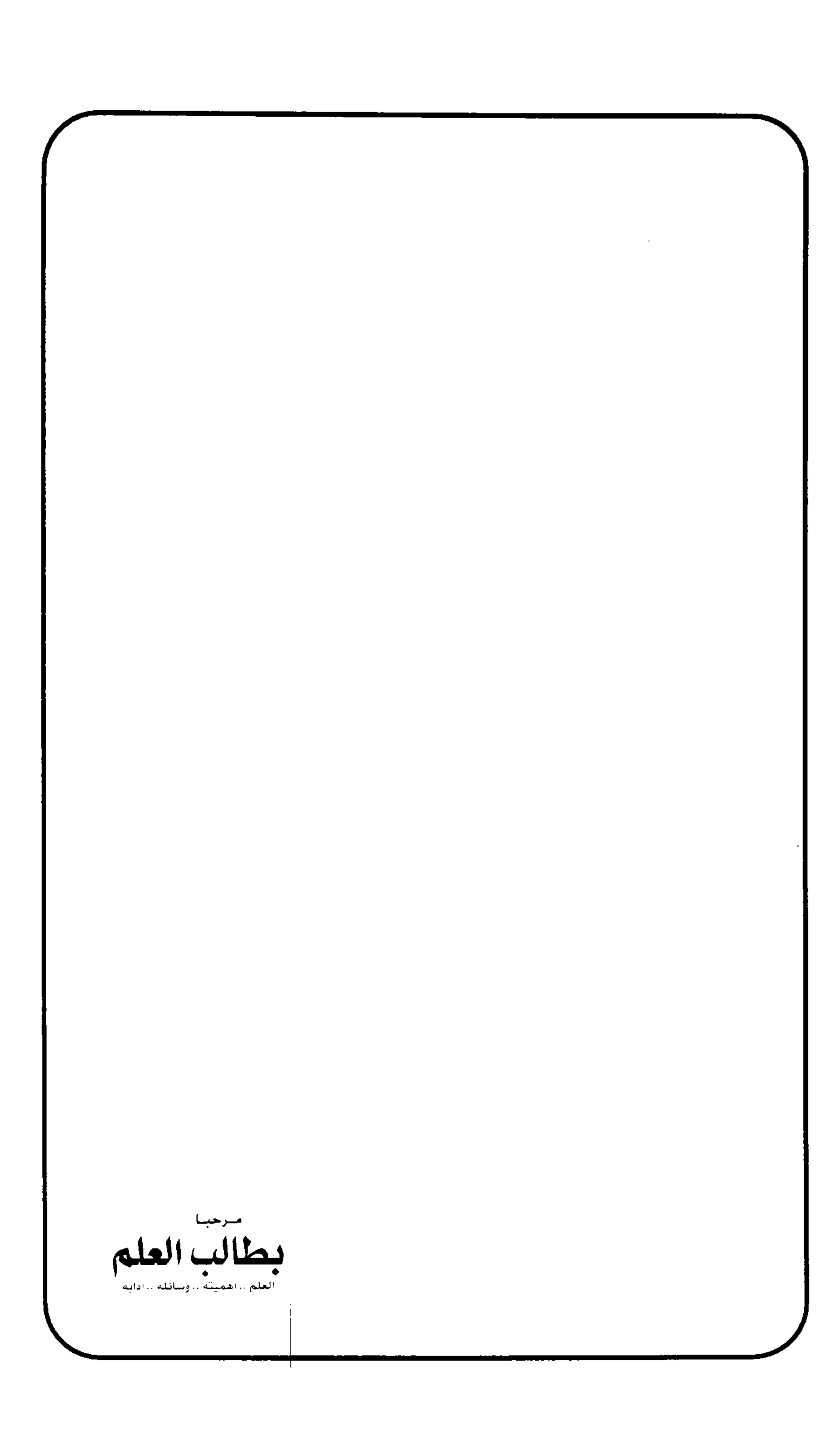
الطَّبعَةُ الأولى

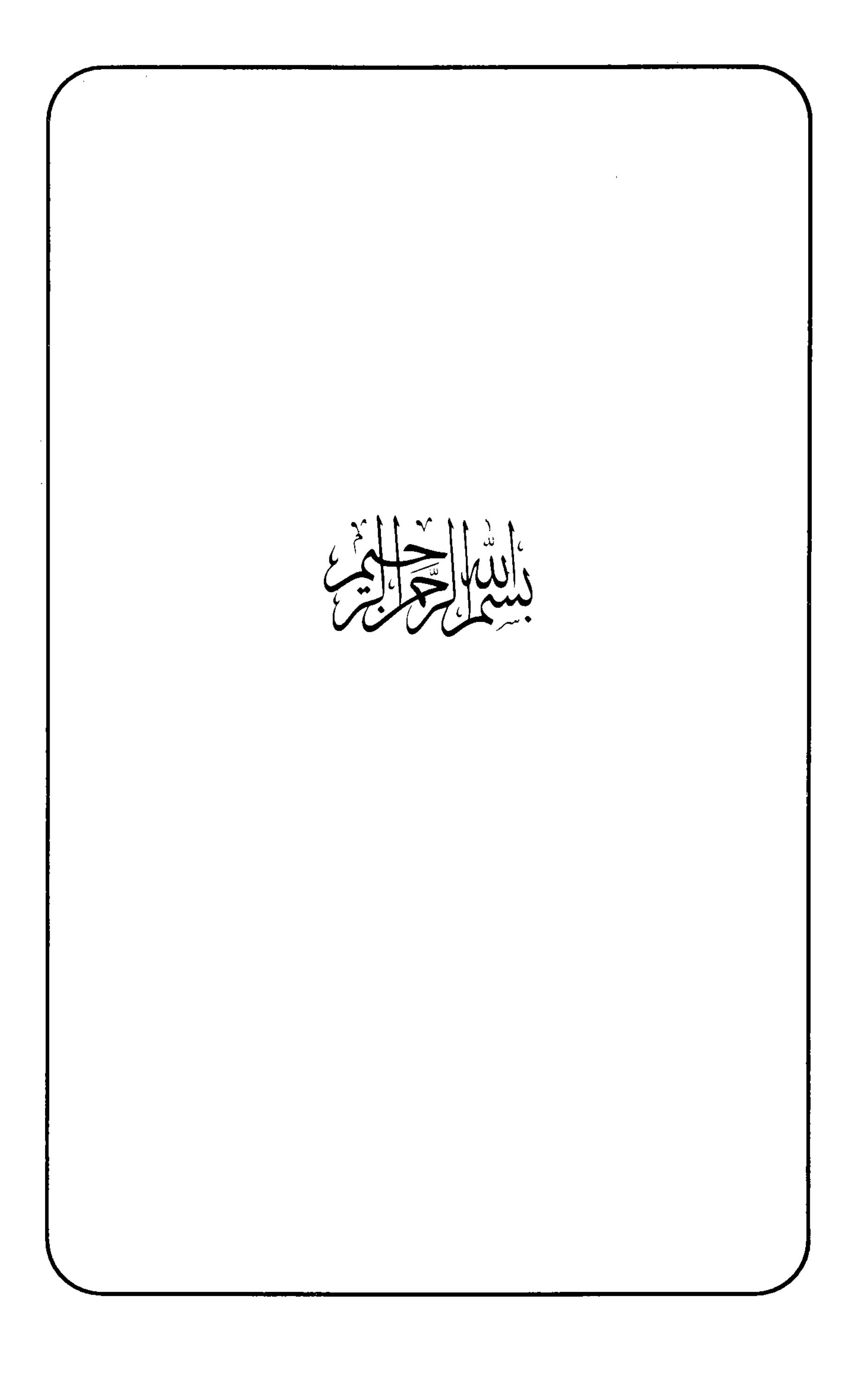
١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م

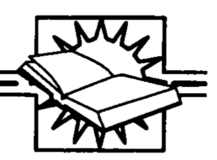
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ ـ تلفون: ٧٠١٩٧٤


مـرحبـا
بطالب العلم
العلم .. اهميته .. وسائله .. ادابه


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد،

فإني لا زلت أذكر طيف والدي ـ رحمه الله ـ في ذلك المشهد المهيب، حين كنت بجواره وهو يطوف بالبيت العتيق، داعياً ملحًا على الله في الدعاء، بصوت خفيض مسموع:

اللهم أنجز لي هذا الكتاب، وألهمني فيه الرشد والصواب.

اللهم بارك لي فيه، واجعله علماً ينتفع به.

واكتب له القبول بين الناس، واجعله خالصاً لوجهك الكريم.

وقد كتب الله تعالى للكتاب قبولاً حسناً بين الناس، إذ تلقونه بالإشادة والثناء، والمباركة والدعاء، وقد رأى مؤلفه ـ رحمه الله ـ ثمرات ذلك في أخريات عمره على صفحات الجرائد والمجلات، وعلى أسنة أقلام المفكرين والمسؤولين، وطائفة من

العلماء، وثلة من الأدباء، ففرحت نفسه، وتهللت أساريره، وأخذ يجمع تلك الرسائل في ملف خاص، ويثني على كل من قدم نصحاً أو إرشاداً، أو أسدى توجيهاً أو تعقيباً.

وحسبه ـ رحمه الله ـ ما جاء في حديث أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه، ويثنون عليه به، فقال رسول الله ﷺ: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**».

ولا ريب في أن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد أنفق في هذا العمل جهداً مضنياً، أودع فيه خلاصة تجربته الحية التي تمتد معه إلى خمسة وعشرين عاماً، بعد تجاريب متعددة مختلفة مع الآراء، والأفكار، والاتجاهات، والمواقف، وقراءة عميقة فاحصة للتاريخ، ومعايشة لكتاب الله تعالى.

هذا الانصهار من التمازج الواعي برز في ثنايا حديثه عن العلم، وآدابه، ووسائله، في رؤية إسلامية معاصرة سارية في تجاليد هذا العمل المبارك، يقدمها المؤلف مستنهضاً بها الهمم، ومستثيراً العزائم، في لفظ سهل غير مغرق، وجزل غير رخو، وبيان خلاب يمتع القلوب، ويقنع العقول.

وإذا كان اختيار المرء قطعةً من عقله؛ فإن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد وفق توفيقاً كبيراً فيما اختار وانتقى، فجاء هذا السفر ثمرة صبر طويل، وعمل متواصل، وسنين عديدة، قضاها المؤلف غواصاً في بحار المراجع حتى جمع صفوة الأقوال، وزبدة الأمثال، وخلاصة الحكم.

كما بُذِلَ في الكتاب جهدٌ كبيرٌ في مراجعته، وتدقيقه،

وترتيبه؛ ليكون خلواً من أخطاء الطباعة، ومتميزاً من حيث المضمون، والشكل، والدِّقة اللغوية[1].

ودار **ابن حزم** قد تفضلت ـ مشكورة ـ بطباعة الكتاب، فظهر في ثوب قشيب، وحلة جميلة، وطباعة أنيقة، وإخراج بديع، إيماناً منها برسالة الكلمة، وأمانة النشر.

وختاماً فإني ـ بالأصالة عن نفسي، ونيابةً عن جميع الورثة ـ أقدم خالص الشكر والتقدير إلى مركز التفكير الإبداعي الذي تبنى فكرة الكتاب، فوضعه ضمن إصداراته القيمة الهادفة البناءة.

وإني لأرجو من القارىء الكريم ـ كلما اقتبس عبارة، أو استلهم فكرة، أو استفاد شيئاً ـ أن يدعو للفقيد الحبيب أن يتغمده الله بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يدخر له ما قدم وما احتسب من قلمه ومن لسانه، وأن يجزيه عن الإسلام وأمته وقضاياها خير ما يجزي العاملين المخلَصين.

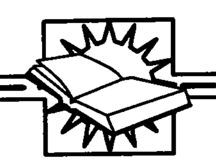
اللهم آمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إسلام ماهر عمارة

٢٠٠٣/١٠/١٠

---

(١) هذا ما عبرت عنه جمعية حماية اللغة العربية بالشارقة عن الكتاب في رسالة منها إلى المؤلف.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

قامت الحضارة العربية الإسلامية منذ نشأتها على مرتكزات عدة كان العلم أحدها، فسادت الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم بهذا العلم، بل أصبحت قبلة للعلم وطلابه، ووفد إلى حواضر الإسلام في القاهرة ودمشق وبغداد وقرطبة وغيرها من المدن آلاف الطلبة الذين وفدوا من شتى بقاع الأرض لينهلوا من مناهل العلم والمعرفة، ونقلوا تلك العلوم والمعارف ليؤسسوا في أوطانهم قواعد علمية انطلقت منها مسيرتهم العلمية، وما تشهده بلدان العالم الغربي إلا دليل على أثر الحضارة العربية الإسلامية في الحياة العلمية لديهم، وهذا ما يشهد به علماء الغرب وعقلاؤه المنصفون أمثال غوستاف لوبون، وزيجرد هونكه، وآدم ميتز، وغيرهم من العلماء.

وقد انتقلت راية العلم إلى أوربا بعد أن تراجع المسلمون عن دور الريادة لا في مجال العلم وحده وإنما في مجالات شتى، ولذلك أصبح لزاماً على الباحثين والدارسين أن يولوا عناية فائقة بالعلم حتى يدفعوا بأبناء العروبة والإسلام لاقتفاء آثار من سبقهم من أجدادهم المؤسسين، وحتى تعود لهم راية العلم مرة أخرى، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب الذي بين يدي القارىء العزيز، إذ

يعد خلاصة تجربة علمية امتدت مع كاتبها سنوات طويلة، وها هو ذا يسجل إحاطته ومعرفته بأهمية العلم وضرورته في كتاب ضم العديد من الأبواب والفصول التي تحثّ على العلم والتعلم، وتبين مكانة العلم ومنزلته في الإسلام من خلال عرض النماذج المتميزة لبعض العلوم التي أشار إليها القرآن الكريم. كما ربط الباحث ذلك بسيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، واهتمامهم بالعلم، وحثهم عليه، كل ذلك من خلال استقراء جيد لما ورد بشأن العلم في حياة هؤلاء الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثم يعرج الكاتب بعد ذلك إلى منزلة العلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبويّة المطهرة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى آداب طلب العلم وطرائق الحصول عليه، والعمل والانتفاع به.

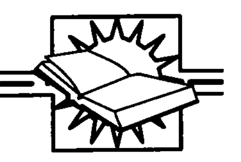
ويختم الباحث كتابه بصورة معاصرة لنماذج من العلماء ليشير إلى ما وصل إليه هؤلاء من مكانة علمية مرموقة، ويقدم الباحث كل ذلك بأسلوب متسلسل شيق يسهل على طالب العلم المبتدىء والمتقدم أن يستفيد من هذا الكتاب، وهو مرجع لطلاب المدارس والجامعات والباحثين مما يشكل إضافة جديدة للمكتبة العربية.

ولقد أجاد الباحث الأستاذ/ ماهر عمارة، في إعداد مادته العلمية حيث أرجع كل نص من آيةٍ أو حديثٍ أو قولٍ إلى مرجعه مما يعطي الكتاب ثقة لدى القارىء ويفتح آفاقه المعرفية.

إنها دعوة للقارىء العربي لينهل من هذا الكتاب، ويتزوّد منه ليكون دافعاً له في طلب العلم، وتحية للباحث الأستاذ/ ماهر عمارة ولكل من أسهم في إخراج هذا البحث، وفقهم الله وسدد خطاهم.

د. سعيد عبدالله حارب

نائب مدير جامعة الإمارات لشؤون خدمة المجتمع



مرحباً بطالب العلم

❖ «مرحباً بطالب العلم». رسول الله ﷺ.

❖ «مرحباً بوصية رسول الله ﷺ». أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

❖ «مرحباً بينابيع الحكمة». عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

أهلاً وسهلاً بطالب العلم

أهـلاً وسـهـلاً بـالـذيـن أُحـبـهـم   وأَودُّهـم فـي الله ذي الآلاءِ

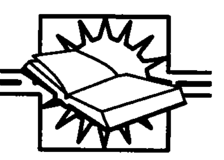
أهـلاً بـقـوم صـالـحين ذوي تُـقىً   غُـر الـوجـوه وَزيْـنِ كـلٍّ مـلاء

لـهـم الـمـهابةُ والـجـلالةُ والنُّـهى   وفـضـائـلٌ جـلـت عـن الإحـصـاء

ومِـداد مـا تـجـري بـه أقـلامُـهـم   أزكـى وأفـضـلُ مـن دم الـشـهـداء

أبو بكر بن دريد الأَزْدي

من أئمة اللغة والأدب ـ ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

الحمدُ لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، واهب النعم ومُسْبغِها، وهادي الأمم ومسعِدِها، المتفضل على عباده المؤمنين بالهداية والرشاد، والصلاةُ والسلام على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، سيدنا محمد وعلى آله هداةِ الإسلام، وأصحابه السادة الأعلام، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون. أما بعد.

«فمرحباً بطالب العلم»

ليس عنواناً دعا إليه داعي «التفنن» في التعبير، أو التأنق في التصوير، أو رغبةً في استثارة القارىء، وتهيج عواطفه من أجل استمالته، أو كسب مودته!!.

كلا! فليست «عبارتنا» من هذا القبيل ولا من ذاك.

إنما «مرحباً بطالب العلم»

حقيقةٌ عرفناها

وتجربةٌ عشناها

ويقينٌ تيقناه

من هدي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ الذي كان يرحب بطالب العلم ويهش له، ويبش في وجهه، ويتلقاه بالحفاوة والترحاب، فمن ذلك ما روي عن زِرِّ بن حُبيش أنه قال: جاء رجل من مراد[1] يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ وهو في المسجد متكىءٌ على بُرْدٍ له أحمر، قال: قلت: يا رسولَ الله إني جئتُ أطلبُ العلم قال: «**مرحباً بطالب العلم، إن طالبَ العلم لتحف به الملائكة، وتظلِّلهُ بأجنحتِها، فيركبُ بعضُها بعضاً حتى تعلو إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب**»[2].

أما ما تحويه هذه الصحائف من كلمات منيفة، وأحاديثَ مباركة شريفة، فأصلها عدة محاضرات ألقيتها سنتي **١٩٩٩/٢٠٠٠**م في مدارس منطقة دبي التعليمية مثل مدرسة ميمونة بنت الحارث، والراية، والصفوح، والكويت، حول العلم في الإسلام، وأهميته، ومنزلته، ووسائله، وآدابه، وحول الحضارة الإسلامية وروادها.

ولقد وجدتُ من إقبال الشبيبة من أبنائنا وبناتنا على حلق العلم في مشهد رائع مهيب، يُمْتع النفوس ويسعِدُها، ويُفْرح القلوبَ ويؤنسُها، ويشرحُ الصدورَ ويبهجُها، وهم مع هذا بحاجة إلى من يأخذ بيد المقبل منهم، يرشد حائرهم، ويرد شاردهم، مقدماً إليهم ما تحلى به السلف، ليأخذ به الخلف.

---

(١) مراد قبيلة من مذحج باليمن (انظر المصباح المنير).

(٢) حديث حسن، أخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٠٠) والطبراني في الكبير (٧٣٤٩) وغيرهما.

ولما وجدتُ أيضاً من هجرة آلاف من طلاب العلم النابغين والموهوبين العرب والمسلمين إلى أمريكا وأوربا (**٤٥** ألف عالم مصري مقيمون بالخارج!)، حيث يجدون الرعاية الكاملة التي قد لا يجدونها في بلادهم.

فكان هذا الكتاب «**مرحباً بطالب العلم**» الذي يبين فضل العلم وأهله، وقبح الجهل وذمه، وما ينبغي على طالب العلم من التحلي بصالح الأخلاق، والتخلي عن سيئها، يكون إشارة له على الطريق، ودليلاً للمبتدي المجتهد، وتذكرة للفارغ المقتصد، جَمَعْتُ فيه نتفاً في فضل العلم، مع بعض التعليمات والإرشادات، المأخوذة عن أهل العلم الأجلاء، والمنثورة في بطون المؤلفات.

وقد أضفتُ في هذا الكتاب إضافات كثيرة، ومباحث هامة متممة، وأطلتُ بعض التعليقات إيفاءً للمقام، وأوجزت في بعضها، وحرصت أن يكون ميسراً لكل قارىء، ونافعاً لكل مستفيد، وأوردتُ فيه كثيرًا من الأقوال والشواهد، والوقائع والحكايات عن عظمة أسلافنا المسلمين، الذين رفعوا منارة العلم ومشاعل المعرفة في مختلف العلوم والفنون والآداب، فغدت الدنيا تشع حضارة بفضلهم.

ثم ذيلتُ الكتاب بترجمة عن نموذج من الخلف ممن نذُروا أنفسهم للعلم يتعبدون في محرابه، فحملوا الأمانة، ورفعوا الراية، وأكملوا المسيرة، وأعادوا إلى الأمة وجهها الحضاري، ودورها الريادي، مثل العالم المسلم الدكتور/ أحمد زويل، صورة مشرقة ليحذوَ حذوَه أبناؤنا في همته، وعزيمته، ومثابرته في العلم، ونشأته الإسلامية.

ثم ختمتُ الكتاب بصرخات لاستنهاض الهمم، واستلهام العبر، وإيقاظ روح المعالي.

وقد قسَّمت هذا الكتاب إلى:

- **مقدمة.**
- **أهمية البحث.**
- **الباب الأول: العلم في الإسلام.**
- **الباب الثاني: من وسائل العلم.**
- **الباب الثالث: آداب طالب العلم.**
- **الباب الرابع: صورة معاصرة.. أحمد زويل.**
- **خاتمة.**

وبعد، فإن أكبرَ مقياسٍ تقاس به روحُ الأمةِ وعقليتُها، ومبلغُ ما يجري فيها من دلائل الحياة هو تقديرُها للعلم والعلماء، وما يتجلى - تبعاً لذلك - في تآليفها، وندواتها، ومدارسها، ومظاهر حياتها، وكل وجوه الفكر فيها.

ذلك أن النهضة العلميةَ ثمرةٌ من الثمار الكبرى التي تفوز بها الأمم في فترات مجيدة من حياتها ومسيرتها، ولا تتحقق هذه النهضة إلا بمجهودات واعية ومخلصة تتضافر على دفع الحياة في شتى مجالاتها على طريق النهوض والتقدم.

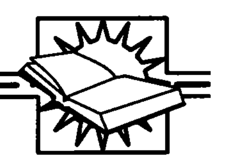
لا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكرِ وعظيم التقدير إلى والديَّ الكريميْن - أجزل الله لهما المثوبة - وإلى أساتذتي وشيوخي وإلى آل بيتي، وكل من له فضل عليَّ، وإلى كل من ساهم وأعان في

إصدار هذا الكتاب، وشكرنا إلى ابننا الأستاذ إسلام ماهر الذي قام بتدقيق الكتاب ومراجعته، وشكراً لدار ابن حزم على جهودها المتميزة.

هذا مجمل ما أردت قوله، وأسأل الله ـ تعالى ـ ألا أكون ممن تخدعه الشمس بطول ظِلِّه، أو تَغُرّهُ النفس بكثرته وقُلِّه، إن هي إلا إشارات وإضاءات، بعضها متمنًّىً فات، وبعضها لا يزال في بطون المؤلفات، لم آت فيها على آخر إرادة، ولا أزعم أني أوفيت على الغاية في الإفادة، قد قلت بمقدار ما اجتهدت، وما كنت آمله هو أن أسوّيَ لبنةً جديدةً في صرح تاريخ أمتنا المجيد، وأرجو أن أكون قد وفُقتُ إلى شيء من ذلك، فإن أصبتُ فأحمد الله، وإن تعثرتُ فأستغفره، والله الهادي إلى سواء السبيل.

أسألُ اللَّهَ تعالى أن ينفع بهذه الإشارات القليلة، وأن يتقبل منّا.

دبي: الأربعاء ٩ رجب ١٤٢٢هـ
٢٦ سبتمبر ٢٠٠١م
ماهر فرج عمارة



أهميـــة البحـــث

إيماناً بأن التربية والتعليم هي التي تحدد وترسم المستقبل لأية أمة، لذا جعلت الأمم الواعية التربية والتعليم في مقدمة اهتماماتها، فلا غَرْوَ أن نجد كثيرًا من وزارات المعارف أو وزارات التربية والتعليم في كافة أنحاء المعمورة ترفع شعارًا هو:

«وراء كل أمة عظيمة تربيةٌ عظيمةٌ»

نعم، إن الأساس في نجاح المؤسسات التنفيذية كالمؤسسة السياسية والاقتصادية والعسكرية في أي مجتمع هو نجاح مؤسسة التربية التي تعد العاملين في هذه المؤسسات، وتحقيقاً لهذا فلقد تنبهت بعض الفاعليات السياسية والثقافية في بلادنا العربية والإسلامية إلى المؤسسة التعليمية، فأخذت توليها عناية خاصة، ترسم لها الخطط، وتعد لها المتطلبات، مؤمنة بأن مستقبل البلاد يبدأ من المدرسة.

إن رسالة التعليم رسالة حضارية من أسمى الغايات الإنسانية وأنبلها؛ لأنها أول أدوات الارتقاء بالإنسان.

وكلها مبادرات طيبة وجهود كريمة؛ لكنها جهود فردية تحتاج إلى

أن تكون ضمن استراتيجية شاملة، ومنظومة متكاملة على مستوى العالم الإسلامي؛ لخلق جيل مبدع فعّال لخدمة البشرية جمعاء.

لقد أجمعت كلمة الحكماء على أنه حين ينتصر أي مجتمع على مجتمع آخر فإن انتصاره في الحقيقة هو انتصار المربين والمدرسين فيه، على المربين والمدرسين العاملين في المجتمع الثاني (المجتمع المهزوم).

وهذا يذكرنا بما حدث ـ تماماً ـ في الحرب العالمية الثانية[١]، حين ألقت الولايات المتحدة الأمريكية القنبلتين الذريتين على كل من مدينتي «هيروشيما» في السادس من أغسطس و«نجازاكي» في التاسع من أغسطس **١٩٤٥**م، الأمر الذي دفع اليابان لرفع الراية البيضاء والاستسلام في الخامس عشر من أغسطس **١٩٤٥**م وتوقفت الحرب، فكان رد فعل الحكماء في اليابان هو قولهم «لقد هُزِمنا بسلاح قادم من المعامل المدرسية، وعلينا أن نعيد النظر في مدارسنا ومعاملنا».

ومن ثم فقد بدأت نهضة تعليمية في المدارس، أسفرت عن تقدم صناعي لم يلبث أن نجح في الوقوف أمام التقدم الصناعي الغربي، واستطاع أن يهزمه في أكثر من مجال.

لذلك نقول: **إن المدرسة هي البداية الحقيقية والصحيحة**

---

(١) الحرب العالمية الثانية (**٣٩ ـ ١٩٤٥**م) كانت بين دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة و...) ضد دول المحور (ألمانيا واليابان وإيطاليا) وانتصرت فيها دول الحلفاء.

لحل أية مشكلة من مشاكل المجتمع. وهذا هو أحد التربويين يقول: «لو قامت قوة معادية بفرض نظام تعليمي متدني الأداء لكان ذلك مدعاة لإعلان الحرب على هذه القوة».

❑ ولنتأمل قول الفيلسوف الألماني ليبنتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦م):

«سلّمْني قيادةَ التربية وأنا كفيلٌ بأن أغيِّرَ وجهَ أوربا قبل قرنٍ واحدٍ من الزمن».

وإذا كانت الأمم تتنافس في مجالات الاقتصاد والعلم والتكنولوجيا فذلك بادئ من التنافس في فصولهم الدراسية، ولذا قالوا: إذا أردت أن تتعرف على ثقافة بلد ما فانظر إلى مدارسه.

نعم، إن مؤسسة التربية في أي مجتمع واع هي مؤسسة لتخريج النخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، أي: صناعة العقل القائد للمستقبل الوطني، فالأمم تنهض وتقوى بالعلم والمعرفة، وتتخلف وتضعف بالجهل والأمية.

❑ لقد أدرك اليهود أهمية امتلاك واحتكار سلاح العلم منذ وقت مبكر، يتبين لنا ذلك عندما عرضوا على عالم الذرة اليهودي (ألبرت أينشتاين) رئاسة الدولة اليهودية عند قيامها سنة ١٩٤٨م، فاعتذر لهم شاكرًا، فرشحوا شخصية أخرى هو (حاييم وايزمان) أستاذ الكيمياء في جامعة مانشستر ببريطانيا. وكلا الترشيحين لهما دلالتهما!

إن التعليم هو خط الدفاع الأول عن الأمة، وهو الحافظ لاستقلالها وهويتها. وهذا يذكرنا أيضاً في فترة الحرب الباردة[(١)] بين العملاقين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي[(٢)] «سابقاً»، عندما حقق الاتحاد السوفيتي تقدمًا رائعًا غير مسبوق في غزو الفضاء في العَقد السابع من القرن العشرين، حين دار الطيار «يوري جاجارين» في الثاني عشر من إبريل **١٩٦١**م[(٣)] حول الأرض في سفينة الفضاء «فوستوك» ليصبح أول إنسان يصعد إلى الفضاء الخارجي.

ثم حقق السوفييت نجاحاً آخر في السادس عشر والتاسع عشر من مارس **١٩٦٣**م[(٤)] عندما تمكنت رائدة الفضاء السوفييتية «فالنتينا تريشكوفا» أن تدور حول الأرض ثمان وأربعين دورة، لتصبح أول امرأة تصعد إلى الفضاء الخارجي.

❑ هذا النجاح والتقدم السوفيتي أزعج الأجهزة العليا لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية التي نظرت في الأمر نظرة حكيمة، وركزت جلّ اهتمامها على التعليم فكانت القفزة الهائلة

---

(١) الحرب الباردة: مصطلح أطلق لوصف العلاقة المتوترة بين العملاقين (الأمريكي ـ الأوربي) وبين الاتحاد السوفيتي في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية (قمة يالطا **١٩٤٥**م بين روزفلت الأمريكي، وتشرشل البريطاني، وستالين السوفيتي) واستمر العداء والتنافس والدعاية والتجسس والتلصص حتى تفكك الاتحاد السوفيتي **١٩٩١**م.

(٢) تكوّن الاتحاد السوفيتي منذ سنة **١٩٢٢**م وضم ست عشرة جمهورية منها ست إسلامية وانهار وتفكك سنة **١٩٩١**م.

(٣) موجز تاريخ العالم، ص**٢٣٠** ـ محمد غريب جودة، مكتبة القرآن ـ القاهرة.

(٤) المصدر السابق.

التي حققتها الولايات المتحدة في العشرين من يوليو **١٩٦٩**م[١] حين نجح الأمريكي «نيل أرمسترونج» في الهبوط على سطح القمر وأصبح أول إنسان في التاريخ تطأ قدماه سطح القمر.

❑ ورغم هذا النجاح غير المسبوق إلا أن الأمريكان واصلوا تقييمهم لمخرجات التعليم عندهم وتبين لهم أن مستويات الطالب الياباني والأوروبي - عامة - أفضل من الطالب الأمريكي، ومن هنا أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية **١٩٨١**م تقريرها المعروف «أمة معرضة للخطر»[٢].

❑ ليس هذا الاهتمام بالتربية والتعليم في عقول الأمريكان فقط، ولكن هاجس التربية والتعليم كان هو المسيطر على اجتماعات رؤساء وزارات دول السوق الأوربية المشتركة في سنة **١٩٨٤**م، فلم يناقشوا الاقتصاد ولا السلاح ولا الغذاء بل ناقشوا قضية التربية والتعليم، وتوصلوا في النهاية إلى أمرين:

أولهما: بناء عقلية الإنسان الأوروبي لاستقبال القرن الجديد.

وثانيهما: بناء مناهج تربوية قوية.

❖ ومع توقيع اتفاقيات التسوية بين العرب (وإسرائيل) تتضح صورة المشروع الصهيوني للهيمنة والسيطرة الصهيونية.

---

(١) «حدث في مثل هذا اليوم».. صلاح إمام، مكتبة مدبولي.

(٢) في أغسطس **١٩٨١**م شكل وزير التربية في الولايات المتحدة الأمريكية لجنة من (١٨) عضواً لدراسة نظام التعليم في الولايات المتحدة، وتقديم مقترحات لإصلاحه، وبعد (١٨) شهراً من العمل الجاد المتصل أصدرت اللجنة هذا التقرير «أمة معرضة للخطر» أحدث دوياً عالمياً هائلاً لا تزال أصداؤه ترن إلى الآن.

ففي منتدى **«دافوس» الاقتصادي** الذي ينعقد بسويسرا كل عام، وشارك فيه (شمعون بيريز رئيس الوزارة الإسرائيلية **١٩٩٥**م) وطالب بتغيير نظام التربية والتعليم في الدول العربية، وهو مطلب قديم قدمته (إسرائيل) بعدة أشكال حتى تتحقق الهيمنة الصهيونية التوسعية على أمتنا.

❖ وها هو ذا (مناحيم بيجين) رئيس الوزارة الإسرائيلية الأسبق يقول: «إن الطريق أمامنا صعب؛ لأننا نريد محو الحضارة العربية وإحلال الحضارة العبرية مكانها!»[١].

❖ كان الشعار الأساسي لحزب العمال البريطاني في انتخابات سنة **١٩٩٧**م ثلاث كلمات هي: **التعليم، التعليم، التعليم**.. وقد آتى هذا الشعار ثماره، وفاز الحزب بزعامة (طوني بلير).

وفي محاضرة تحت عنوان (مدارس المستقبل) ألقى الدكتور (نيكولاس نجروبونوت) مؤسس ومدير مختبر وسائط الإعلام بمعهد (ماياشويتس) الأمريكي يقول:

إن هناك الكثير من الدول النامية تعتمد في مقوماتها على الثروات الموجودة فيها كالنفط وغيره؛ لكن هذه الدول تتجاهل أهم ثروة طبيعية وهم الأطفال وتعليمهم، ومن هنا نجد أن معظم الأموال يتم استثمارها في غير مكانها الصحيح.

---

(١) من كتاب (خطب الشيخ محمد الغزالي) (الجزء الثاني) ص٧٢ دار الاعتصام ـ مصر.

❑ هذا ما أعلنه وصرح به غير المسلمين، فماذا قال أولو الألباب من المسلمين؟.

❖ يقول المفكر الإسلامي صاحبُ تفسير (في ظلال القرآن) الأستاذ سيد قطب: «إني أؤمن بقوّة المعرفة، أؤمن بقوّة الثقافة، ولكني أؤمن أكثر بقوة التربية»[(١)].

❖ أما الدكتور أحمد زويل ـ العربي المسلم الذي نشأ وترعرع في مصر، والحائز على جائزة نوبل للكيمياء سنة **١٩٩٩**م ـ يقول: «إن الطفل هو الوطن القادم وأعتقد أن أهم شيء نعطيه له هو التعليم الصحيح، فهو أعظم ما يمكن أن نعطيه لطفل اليوم الذي هو رجل المستقبل...» ويقول: «التعليم الصحيح هو حجر الزاوية في التقدم المستمر والتطوير الدائم...»[(٢)].

يؤكد هذا المعنى ويصرح به الخبير التربوي الأستاذ الدكتور محمد عزت عبدالموجود[(٣)] فيقول: «التعليم هو وسيلة الأمم لتحقيق النهضة والتقدم، والتعليم هو سلاح أمنها الوطني، وأداتها للتنافس... التعليم عملية مستمرة متطورة، يعتمد على الرؤى المستقبلية والأهداف الاستراتيجية طويلة المدى».

---

(١) منهج التربية النبويّة للطفل، محمد نور سويد، ص٤ مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت.

(٢) كتاب (أحمد زويل العبقري العربي.. صاحب نوبل **١٩٩٩**م)، محمد صديق المنشاوي ـ دار الفضيلة ـ مصر، اعتمدنا على هذا الكتاب في الكتابة عن د.أحمد زويل.

(٣) الدكتور محمد عزت عبدالموجود مستشار وزير التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة السابق، من مقال له في جريدة الخليج الإماراتية (مايو سنة ٢٠٠٠م).

ومن نافلة القول، أن التربية لا تعني مجرد اكتساب المعرفة فقط، وإنما التربية قيم وسلوك، واتجاهات وفضائل، ومهارات حياتية، هذا هو شأن واهتمامات التربية الحديثة، فليس الهدف إعداد مكتبات حية، أو إعداد مخازن متحركة من المعلومات بقدر إعداد باحثين جيدين عن المعرفة التي تؤدي إلى تعديل السلوك، وتنمية المدارك، والتخلق بالفضائل، والتقرب إلى الله - عزّ وجلّ -، وعمارة الكون بمقتضى منهج الله.

فالطالب ليس وعاءً لتخزين المعلومات دون الاهتمام بتنمية إبداعاته وقدراته على مواجهة متغيرات الحياة، حتى يظل الطالب ينمو ويحقق تعلماً مستمرًّا طوال حياته من المهد إلى اللحد.

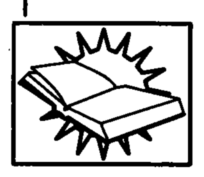
لكل هذا نؤكد ونذكر بوصية رسول الله ﷺ **«مرحبًا بطالب العلم»** لتكون في طليعة مهام الحكومات العربية والإسلامية بتبني طلاب العلم وخاصة النابغين وتشجيعهم واستقطابهم وكفالتهم، وتوفير المناخ العلمي لهم، وإزالة أية عوائق تحول دون تحقيق رسالتهم، بل وتكريمهم ماديًّا ومعنويًّا.

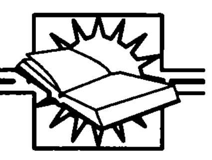


الباب الأول

العلم في الإسلام

- العلم... مفهومه... ضابطه.
- العلم أصل الحضارة.
- الجهل أصل الفساد.
- نماذج لبعض العلوم التي أشار إليها القرآن.
- نماذج لبعض الحرف والفنون التي أشار إليها القرآن.
- العلم من صفات الأنبياء عليهم السلام:
(آدم، نوح، إبراهيم، يعقوب، يوسف، داود، سليمان، موسى، محمد).
- العلم رفع أقوامًا ومكنهم في الأرض: طالوت، الخضر، لقمان.
- العلم يرفع قدر المتعلم ولو كان: كلبًا، غرابًا، هدهدًا، نملة.
- كلمات تفرّد بها القرآن وحده.
- منزلة العلم والعلماء في القرآن.
- منزلة العلم والعلماء في ضوء السنة.
- منزلة العلم والعلماء عند السلف الصالح.
- منزلة طالب العلم.
- الإسلام رسالة علمية حضارية.
- حضارة لها مكانها ومكانتها.
- خصائص ومزايا الحضارة الإسلامية.
- نماذج من طلاب العلم كانوا خير سلف.
- شهادة إنصاف.

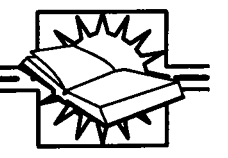




حوار بين العلم والعقل

علمُ العليم وعقلُ العاقلِ اختلفا
من ذا الذي منهما قد أحرزَ الشرفا
فالعلمُ قال: أنا أحرزتُ غايتَه
والعقلُ قال: أنا الرحمنُ بي عُرفا
فأومأ العلمُ إيماءةً وقال له:
بأيِّنا الرحمنُ في فرقانه اتصفا؟
فبان للعقلِ أن العلمَ سيدُه
فقبّل العقلُ رأسَ العِلْمِ وانصرفا





العلم

أ ـ مفهومه:

العلم لغةً: نقيض الجهل، عَلِمَ عِلْماً وعَلُمَ هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء[1].

العلم اصطلاحاً:

قال الراغب: العلمُ إدراك الشيء بحقيقته.

وقال (المناوي) في التوقيف: العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع[2].

العلمُ يعني الإلمام بالحقائق الكلية والمركبة، في حين تعني المعرفةُ الإلمامَ بالحقائق الجزئية، ومن هنا كان العلم أوسع إلمامًا وإحاطةً.

العلم هو المعرفة المنظمة المبوبة المتقننة القائمة على الدليل والاستنباط.

---

(١) انظر لسان العرب باب الميم فصل العين.

(٢) تاج العروس باب الميم فصل العين.

ب ـ ضابطه:

إن العلمَ الذي دعا إليه الإسلام، وحث عليه القرآن والسنة هو كل معرفة مستندة إلى استدلال.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1]، فالآية تَنْهَى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند إلى حجة سمعية، أو رؤية بصرية، أو براهينَ عقلية.

وقد وضع القرآن الكريم قاعدة عظيمة لتقييم المعلومات ووزنها، وتمييز صحيحها من سقيمها، وغثِّها من ثمينِها، فقرر أن المسائل لا تأخذ طابعاً علمياً، ولا ترتقي إلى درجة الحقائق إلا إذا قامت عليها بينة واستندت إلى دليل، ومن ثم كان القرآن ينادي دائماً: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾[3]، ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[4].

العلم أصل الحضارة:

العلم: ... هذا النور الذي يهدي به اللَّهُ الناسَ في مسالك الأرض، وينير لهم السبيل، قال رسول الله ﷺ: «**إن مَثَلَ العلماءِ في الأرض كمثلِ النجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضلَّ الهُداة**»[5].

---

(١) الإسراء: (٣٦).

(٢) البقرة: (١١١).

(٣) الأنعام: (١٤٨).

(٤) الأحقاف: (٤).

(٥) رواه أحمد عن أنس بن مالك.

العلم: تلك النافذة الضخمة المفتوحة على «المجهول» والشعاع النافذ إلى الظلمات.

العلم: تلك الطاقة الهائلة التي يَمُد بها الإنسان حياته، ويوسع كيانه.

العلم: تلك المنحة الربانية العجيبة التي منحها الله للإنسان، وكرمه بها وفضله[1].

العلم: الذي أمر به القرآن هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض وكل ما خَلقه الله في هذا الكون[2].

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[3].

❖ طلب العلم «فريضة»! هذه الكلمة المفردة تشع وحدها أمواجاً من النور، وتفتح وحدها آفاقاً من الحياة.

فريضة. . . . أي أنها واجب يؤديه المسلم فلا يجوز أن تشغله عنه المشاغل، ولا أن تُقعِدَه العقبات.

فريضة. . . أي أنها واجب يؤديه الإنسان إلى الله ويتعبد به إليه، ومن ثم فهو يؤديه بأمانة ونظافة وإخلاص.

فريضة. . . أي أنها عمل يقرب العبد إلى الرب. فكلما قام بهذه الفريضة يشعر بالقرب والخشية والحب لله تبارك وتعالى.

---

(١) محمد قطب (قبسات من الرسول)، ص٣٥ بتصرف.

(٢) عباس العقاد (التفكير فريضة إسلامية)، ص٨١ بتصرف.

(٣) رواه ابن ماجه.

والعلم الذي هو فريضة ليس هو العلم الشرعي وحده، إنما هو كل علم نافع دينيًا كان أو دنيويًا[1].

❖ كان للعلم في نفوس المسلمين قداسة كقداسة العقيدة، قداسة تشمل المعلم كما تشمل الطالب، كلاهما يحس بالرهبة، ويحس بالتقوى، ويحس بالنظافة، ويحس بالراحة والفرحة في رحاب الله، إنه واجب مقدس. يُؤدَّى «من الداخل»، يُؤَدى من الأعماق.

فالأستاذ يحصّل العلم لأنه فريضة.. ويؤديه إلى الناس؛ لأن أداءه فريضة كذلك، والطلاب يسعون إلى طلبه، كما يسعون إلى المسجد للصلاة.

❖ لم يشعر المسلمون - قط - أن الدنيا تنفصل في إحساسهم عن الآخرة، أو أن الدين ينفصل عن الحياة. بهذه الروح الشاملة الواصلة - التي وجههم إليها الله تعالى ورباهم عليها رسوله ﷺ كانوا يأخذون شؤون الحياة كلها، من عمل وعبادة، وأفكار ومشاعر، وشريعة ونظام...

بهذه الروح ذاتها كانوا يأخذون العلم على أنه «فريضة» تصل الأرض بالسماء، وتصل العمل بالعقيدة، وتصل «المعرفة» بالله تبارك وتعالى.

❖ كان للعلم في «عقولهم» هذا المدلول الشامل... فهو ليس علم الأرض وحدها، وليس علم السماء وحدها، وليس علم النظريات وحدها أو علم التطبيقات، ولكنه ذلك كله، مشمولاً بالعقيدة ومرتبطاً بالله[2]، فلم تكن عندهم أسطورة أو أكذوبة (العلم للعلم أو الفن للفن)، بل كل شيء يكون ابتغاء

---

(١) محمد قطب (واقعنا المعاصر)، ص٩٤، بتصرف.

(٢) محمد قطب (قبسات من الرسول)، ص٣٧.

وجه الله إصلاحاً للمجتمع، وارتقاءً بأخلاقياته، ورفعًا لمعنوياته، وإرشاداً للحائر، وردًّا للشارد، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾[1]، وتأسياً بهذا الفهم الشامل العميق امتدت العلوم في نظرهم حتى شملت المعرفة كلها موصولة بالله تبارك وتعالى.

❖ إن الإسلام (عقيدةً ومنهاجاً، شريعةً وشعيرةً، عبادةً وقانوناً وأخلاقاً) كان ـ ولم يزل وسيظل ـ قوة دافعة للحركة الحضارية، بكل جوانبها.

❖ يقول المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون): «**إن فلاسفة العرب والمسلمين هم أولُ من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين**»[2].

ويقول (هينولد): «يجب عدُّ العرب مؤسسين حقيقيين للعلوم الطبيعية»[3].

ولم يكن العرب ـ قبل الإسلام ـ أمة علم، ولم يكن تراثهم يحمل شيئاً ذا قيمة من المعرفة، إنما كان همهم الشعر والبراعة اللغوية، كما عبّر الرسول ﷺ عن حال أمته يومئذٍ «**نحن أمةٌ أمية لا نكتب ولا نحسِبُ**»[4].

ولكن الهِزَّةَ الجبارة التي أحدثها الإسلام في نفوسهم، والطاقَةَ العجيبة التي جمعها في كيانهم، وأطلقها ـ من بعد ـ في

---

(١) الأنعام: (١٦٣).
(٢) أحمد علي الملا (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية)، ص.١١٧
(٣) المصدر السابق.
(٤) رواه البخاري.

فجاج الأرض قد حولتهم إلى قوة هائلة تضرب في كل ميدان، في ميدان العقيدة، وميدان الحرب، وميدان السياسة، وميدان المعرفة كذلك.

لقد أحسوا بالرغبة الشديدة في المعرفة تتأجج في كيانهم.. المعرفة من كل لون، وفي كل ميدان، فشرّقوا وغرّبوا يطلبون العلم، ويهضمونه ويمثلونه ويصبغونه بصبغتهم الإسلامية التي تربط الحياة كلها برباط العقيدة، ثم يضيفون إليه جديدًا قيّماً يشهد لهم بالجد والعزيمة، كما يشهد بالبراعة والمقدرة[1].

فكانوا أشبه بالنحلة التي تجمع الرحيق من شتى الأزاهير. ثم تخرجه بعد ذلك شهدًا ذا مذاق خاص ونفع خاص. أو كما يقول الرسول الحبيب ﷺ:

«... والذي نفس محمد بيده إن مثلَ المؤمنِ لكَمَثَلِ النحلة أكلت طيباً ووضعتْ طيباً، ووقعتْ فلم تُكسِرْ ولم تُفْسِدْ»[2].

الجهل أصل الفساد:

* وتتبين مكانة العلم وأهله بصورة جلية واضحة إذا نظرنا إلى الجهل وأهله.

ولذا يُقال: «وبضدها تتميز الأشياء» وكما يقول القائل: والضدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضدُّ.

أو كما يقول الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ: «لا يَعْرِفُ

(١) (قبسات من الرسول).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ص١٩٩.

الإسلامَ إلا من عَرَف الجاهلية» إذ الجهل نقيض العلم وضده.

ويجدر بنا أن نقتبس من أقوال ابن القيم في كتابه القيم (مفتاح دار السعادة) حين يقول في مَعْرِض حديثه عن العلم: «... لا ريبَ أن الجهلَ أصل كل فساد، وكل ضرر يلحق العبد في دنياه وأخراه فهو نتيجة الجهل.. وإنَّ النفوس الجاهلة التي لا علم عندها قد أُلبِسَتْ ثوب الذل.. وإن شجرةَ الجهل لا تُثمر إلا القبيح من الأقوال والأفعال والنيات والمقاصد..». ثم بيّن (ابن القيم) أن:

«... الشر بمجموعه شوكٌ يُجْتنى من شجرة الجهل...».

❖ ولقد استعاذ سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ بالله من الجهل وأهله.

كما جاء في سورة البقرة قال تعالى على لسان نبيه موسى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الآية (٦٧).

❖ وفي سورة الأنعام يُخاطب الله نبيه محمداً ﷺ بقوله:

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الآية (٣٥) يقول العلماء: إن الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته.

نماذج لبعض العلوم التي أشار إليها القرآن الكريم:

إن دعوة (اقرأ) لم تحدد أو تقيد بعلم معين اللهم إلا أن تكون باسم الله، فالقرآن يدعو إلى العلم بأوسع معانيه، وأبعد حدوده، ومن أهم العلوم التي أشار إليها القرآن:

١. **الطب**: ففي القرآن الكريم نجد عددًا غير قليل من الآيات القرآنية التي تحث الإنسان على التأمل والتدبر في خلقه، ونشأته، والمراحل التي مرّ بها، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾[1].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾[2].

كما اهتم القرآن بما يسمى اليوم ـ **بالطب الوقائي** ـ فنجد الآيات التي تنهى الإنسان عن ممارسة بعض الأفعال التي يترتب عليها ضرر جسيم، كإتيان النساء في المحيض. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾[3].

كما نهى عن الزنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾[4].

كما نهى عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، قال تعالى:
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[5].

---

(١) الطارق، الآيات: (٥ ـ ٨).
(٢) المؤمنون، الآيات: (١٢ ـ ١٤).
(٣) البقرة: (٢٢٢).
(٤) الإسراء: (٣٢).
(٥) المائدة: (٣).

كما نهى عن شرب الخمر، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

هكذا وضع القرآن دستورًا صحيحًا، لو اتبعته البشرية لتجنبت كثيرًا من الأمراض كالسيلان والزُّهْري والإيدز وغيرها.

٢ ـ **الفَلَك**: إن القرآن الكريم كان ولم يزل وسيظل الطاقة الكامنة وراء تقدم البحث في كل علم، ومنها علم الفلك، فلو تأملنا القرآن لوجدنا أسماء وعناوين كثيرٍ من السور القرآنية تشير إلى علم الفلك مثل: (الرعد ـ النور ـ الدخان ـ النجم ـ الشمس ـ القمر ـ الليل ـ الفجر ـ الضحى ـ العصر ـ الزلزلة ـ التكوير ـ الانفطار ـ الانشقاق ـ البروج ـ الطارق و . . .) أما الآيات فهذه بعضها:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾[2].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾[3].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ . . .﴾[4].

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[5].

---

(١) المائدة: (٩٠).
(٢) البقرة: (١٨٩).
(٣) يونس: (٥).
(٤) الأنعام: (٩٧).
(٥) النحل: (١٦).

٣ - **التاريخ والآثار**: لو تأملنا القرآن الكريم، لوجدنا أن الحركة التاريخية تشغل جانبًا كبيرًا من التوجيه القرآني، بل هناك العشرات من الآيات الصريحة التي تدعو لدراسة التاريخ مثل:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾[2].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾[3].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[4].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[5].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[6].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾[7].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[8].

---

(١) الأنعام: (١١).

(٢) النمل: (٦٩).

(٣) الروم: (٤٢).

(٤) العنكبوت: (٢٠)،

(٥) يوسف: (١١١).

(٦) مريم: (٤١).

(٧) مريم: (٥١).

(٨) مريم: (٥٤).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾[1].

والملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا أن تلك الآيات التي تقرر وجوب دراسة التاريخ منها المكي والمدني ـ وإن كان معظمها مكياً ـ وهذا يعني أن دراسة التاريخ مسألة مهمة للتربية وبناء الأمة.

٤ ـ **الجغرافيا**: احتوى القرآن الكريم على بعض الآيات القرآنية التي أشارت إلى بعض الظواهر الجغرافية كذكر الجبال، والأودية، والأنهار، والبحار، والرياح، والسحاب، والأمطار، وغير ذلك، ومن بين تلك الآيات قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥﴾[2].

وقوله: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾[3].

٥ ـ **الاقتصاد**: لو تدبرنا آيات القرآن لوجدنا نظاماً ثابتاً للمبادىء الأساسية لعلم الاقتصاد، ومن بين هذه المبادىء:

أ ـ **تحريم الربا**: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[4].

ب ـ **النهي عن الإسراف والتبذير**: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾[5].

---

(١) مريم: (١٦).
(٢) النحل: (١٥).
(٣) الحجر: (٢٢).
(٤) البقرة: (٢٧٥).
(٥) الفرقان: (٦٧).

جـ - **تحريم كنز الأموال**: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

د - **كتابة العقود المالية**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[2].

هـ - **تحريم التلاعب بالمكاييل والأوزان**: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾[3].

٦ - **علوم اللغة العربية**: وهذه يقتضيها حسن النظر في كتاب الله. قال تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾[4].

٧ - **علوم النبات**: قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[5].

٨ - **علوم الجندية والجيش**: ويقتضيها قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[6].

---

(١) التوبة: (٣٤).

(٢) البقرة: (٢٨٢).

(٣) المطففين، الآيات: (١ ـ ٣).

(٤) الزخرف: (٣).

(٥) الرعد: (٤).

(٦) الأنفال: (٦٠).

نماذج لبعض الحرف والفنون التي أشار إليها القرآن:

١ ـ المعادن وصناعتها:

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[١]، وقد أشار العلامة الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى صناعة الآلات الحربية والمعدات العسكرية وأن قوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾[٢] أي وأذبنا له ـ سليمان عليه السلام ـ النحاس.

٢ ـ صناعة الطوب والبناء:

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾[٣].

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[٤].

٣ ـ النجارة:

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾[٥].

---

(١) الحديد: (٢٥).
(٢) سبأ: (١٢).
(٣) القصص: (٣٨).
(٤) الشعراء: (١٤٩).
(٥) هود: (٣٧).

٤ ـ الملاحة والغوص:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾[1].

٥ ـ الزراعة:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[2].

وقال تعالى أيضاً: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾[3].

وهذا غيض من فيض...

العلمُ من صفات الأنبياء عليهم السلام.

اختار الله ـ عزّ وجلّ ـ من بين خلقه، فريقاً من البشر، ليكونوا نموذجاً للكمال وعنواناً للفضل، وحملةً لمشعل النور والضياء، وقادةً لركب الحضارة الإنسانية على مر العصور، وكر الدهور.. واصطفاهم المولى جلت قدرته وحكمته ليكونوا هداة ومصلحين، فاختارهم على علمه، ورباهم على عينه، وشرفهم بأكمل الأوصاف، فجعلهم أئمة الدنيا والدين، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[4].

---

(١) النحل: (١٤).

(٢) عبس، الآيات: (٢٤ ـ ٣٢).

(٣) الواقعة: (٦٣ ـ ٦٤).

(٤) الأنبياء: (٧٣).

العلم من صفات آدم عليه السلام.

حيث أسجد الله له ملائكته عليهم السلام، بعد أن بين فضله عليهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

العلم من صفات نوح عليه السلام:

عندما عصى قومُه أمرَه، ووصموه بما هم به أجدر، ما كان منه عليه السلام إلا أن بين لهم أخص خصائص الأنبياء، وهو العلم فقال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾.

لأن العلماء أبعد الناس عن الضلالة، ثم أكمل عليه السلام قائلاً:

﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2]، فبين لهم أن الله ميّزه عليهم بالعلم.

العلم من صفات إبراهيم عليه السلام:

عندما أراد أن يدعو أباه إلى الحق أخبره أن المؤهل العظيم الذي أهله الله تعالى به ليدعو إليه، هو العلم، فقال:

---

(١) البقرة، الآيات: (٣١ ـ ٣٣).

(٢) الأعراف: (٦١، ٦٢).

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾(١).

فالواجب على الجاهل أن يتبع العالم حتى ولو كان أصغر منه.

العلم من صفات يعقوب عليه السلام:

لقد امتن الله تعالى عليه بالعلم، وبين فضله به، وجسيم خطر الجهل على من لا يقْدُرون لأهل العلم قدرهم، فقال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(٢).

فبالعلم ميز الله ـ عزّ وجلّ ـ سيدنا يعقوب (إسرائيل) عليه السلام.

العلم من صفات يوسف عليه السلام:

وبالعلم اصطفى الله ـ عزّ وجلّ ـ يوسف عليه السلام واجتباه بالنبوّة، وعلمه من تأويل الأحاديث، فقد بشره أبوه باصطفاء الله له، وجعْلِه من العلماء، وأن علمَه سيكون نبراساً للناس، وسبباً رئيساً لالتفافهم حوله، فقال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾(٣).

---

(١) مريم: (٤٣).

(٢) يوسف: (٦٨).

(٣) يوسف: (٦).

ولما كبر يوسف - عليه السلام - آتاه الله تعالى ما بشره به أبوه، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

ولما كادته امرأة العزيز عصمه الله تعالى بالعلم، ولما خُيّر بين الاستجابة لأمر الشيطان والسجن عصمه الله بالعلم، فاختار السجن بدلاً عن سلوك سبيل الشيطان، وهو طريق الجهلة الضالين[(٢)]، فقال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(٣)].

ولما دخل السجن التف الناس حوله، فلم يزده ذلك إلا خضوعًا لربه واستحضارًا لأثر نعمته عليه سبحانه ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ﴾[(٤)].

وبسبب العلم والأمانة تبوأ سيدنا يوسف منصباً مرموقاً رفيعاً لدى عزيز مصر ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[(٥)].

العلم من صفات داود وسليمان عليهما السلام:

كانا - عليهما السلام - الحاكمَيْن في قومهما، وذلك بما

---

(١) يوسف: (٢٢).

(٢) أحمد بن عبدالعزيز الحمدان (نيل الأرب من أدب الطلب) بتصرف - دار الأندلس الخضراء بجدة.

(٣) يوسف: (٣٣).

(٤) يوسف: (٣٧).

(٥) يوسف: (٥٤، ٥٥).

آتاهما الله تعالى من علم، قال الله ـ تعالى ـ بعد أن ذكر ما منَّ به عليهما من العلم:

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾[1].

وجعلهما الله تعالى أفضلَ الناسِ بما آتاهما من علم، فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[2].

ومن وصايا داود لابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ: «لُفَّ العلم حول عنقك، واكتبه في ألواح قلبك»، وقال أيضاً: «اجعل العلم مالَك، والأدب حِلْيتَك»[3].

العلم من صفات موسى عليه السلام:

فضل الله سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ بعلمه على قومه، ورزقه مؤهل إرشاد الناس، وهدايتِهم إلى الحق، وهو العلم، فقال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[4].

أي أعطيناه الفهمَ والعلمَ والتفقهَ في الدين مع النبوّة.

---

(١) الأنبياء: (٧٩).
(٢) النمل: (١٥).
(٣) ابن عبد ربه (العقد الفريد).
(٤) القصص: (١٤).

العلم من صفات خاتم الأنبياء ﷺ:

كانت أعظم منة امتن الله تعالى عليه بها بعد الإيمان: العلم، ولولا فضل الله عليه بالإيمان والعلم لهمت طائفةٌ من الكفار أن يضلوه عن الهدى، وفي هذا بيان عظيم أن العلم يعصم أهله من الضلال[1]، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[2].

هكذا يظل العلم مقياساً للتفاضل حتى بين الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] قال زيد بن أسلم: في العلم. كما جاء في (تهذيب جامع بيان العلم وفضله) لابن عبدالبر.

العلم رفع أقواماً ومكنهم في الأرض:

عندما ننعم النظر في كتاب الله ـ تعالى ـ ونتأمل ونتدبر آياته، نجد أنه بالعلم رفع الله تعالى أقواماً، ومكّنهم في الأرض، وخلَّد ذكرهم في العالمين، ودفع بهم غوائلَ أهل الشر وضلالَهم.

❖ فهذا هو **طالوت** رجل من أجناد بني إسرائيل، ليست له

---

(١) نيل الأرب من أدب الطلب.

(٢) النساء: (١١٣).

(٣) الإسراء: (٥٥).

أسرة معروفة بفضل، ولم يكن ذا مال أو سلطان أو جاه، اختاره الله ملكاً على بني إسرائيل، وأمرهم أن ينقادوا له، وجعل طاعته طريقَ الجنة، ومعصيته طريقَ النار، لكونه أعلمَهم بالله تعالى[1]: اقرأ القصة في سورة البقرة الآيات **٢٤٦ ـ ٢٥١**:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾[2]. وهــــذا النبيّ هو (شمويل) أو (أشمويل) ومعناه بالعبرانية (إسماعيل) أي سمع الله دعائي.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ...﴾[3].

❖ وهذا هو **الخضر** العبد الصالح الذي سافر موسى ـ عليه السلام ـ إليه، والقصة في سورة الكهف من الآية **٦٠** حتى **٨٢** واسمه (الخضر) غير مذكور في القرآن الكريم ولكنه مبين في الحديث الصحيح، هذا العبد الصالح آتاه الله العلم حيث أطلعه الله على علم بعض الأمور، وأخبره بخفايا بعض الأشياء[4].

---

(١) نيل الأرب من أدب الطلب.

(٢) البقرة: (٢٤٦).

(٣) البقرة: (٢٤٧).

(٤) صلاح الخالدي ـ (مع قصص السابقين في القرآن) ج٢، ص١٧٦، بتصرف.

قال عنه ربه عزّ وجلّ: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[1].

قال العلماء: هذا العلم الرباني ثمرة الإخلاص والتقوى.

❖ وهذا هو **لقمان**[2]: يقول الحسنُ البصريُّ[3] ـ رحمه الله ـ: «يرحمُ الله لقمان، لقد كان عبداً حبشياً فجعل الله كلامه قرآناً»[4]. نجد ذلك واضحاً في سورة لقمان في الآيات (**١٢ ـ ١٩**) حيث الوصايا الحكيمة التي أنطقه الله بها حول الإيمان ومكارم والأخلاق.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) الكهف: (٦٥).

(٢) الصحيح الذي عليه الجمهور أن «لقمان كان حكيماً ولم يكن نبيًا، وفي الحديث «**لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكر، حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة**» انظر صفوة التفاسير ـ للصابوني، ص٤٩١، ج٢.

(٣) الحسن بن يسار البصري ولد بالمدينة سنة (٢١هـ) وشب في كنف الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، من أجلة التابعين، سكن بالبصرة، ونسب إليها، وتوفي فيها سنة (١١٠هـ).

(٤) كتاب: (الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه) لأبي هلال العسكري وهو الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى، من مدينة «عسكر مكرم» بمنطقة الأهواز، فارسي الأصل، توفي بعد سنة (٤٠٠هـ ـ ١٠٠٩م)، «دار الفضيلة» تحقيق د. عبدالمجيد دياب.

العلم يرفع قدر المتعلم ولو كان كلباً:

❖ بل إنَّ الحيوان المعلّم كرَّمه الله تعالى بالعلم، ورفع قدره على غيره من الحيوانات، وأحل لنا أكل صيده، وجعله حلالاً طيباً، أما الحيوان الجاهل جعل الله تعالى صيده محرماً نجساً.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ﴾(١).

وبهذا امتاز الكلب المعلَّم على سائر الكلاب.

العلم يرفع قدر المتعلم ولو كان غُراباً:

فهذا هو الغراب الذي ذكره الله في القرآن الكريم، في قصة ابنيْ آدم (قابيل وهابيل) حيث تعلم الإنسان (قابيل) من الغراب كيف يدفن جثة أخيه الإنسان (هابيل).

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِىۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾(٢).

هكذا الغراب علّم القاتل الحاقد الخاسر العاجز كيف يدفن جثة أخيه.

---

(١) المائدة: (٤) أي أحل لكم صيد ما دربتم من الجوارح كالفهود والكلاب والصقور وغيرها مما يقبل التعليم والتدريب ـ (مكلبين) أي مؤدبين ومعودين لها على الصيد.

(٢) المائدة: (٣١).

العلم يرفع قدر المتعلم ولو كان هدهدًا:

في قصة نبيّ الله سليمان ـ عليه السلام ـ حين عزَم على معاقبة الهدهد الغائب فجاء يخبره بأخبار صادقة خطيرة عجيبة لم يعرفها سيدنا سليمان بالرغم من سعة ملكه، وقال له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1].

العلم يرفع قدر المتعلم ولو كانت نملة:

في كتاب الله الكريم ذكر الله ـ عزّ وجلّ ـ سورة سميت بسورة النمل، ذكرت فيها قصة النملة التي وعظت بني جنسها، وذكّرت، ثم اعتذرت عن سليمان وجنوده، وفهم نبيّ الله سليمان كلامها وتبسم من قولها، وشكر الله على ما منحه من الفضل والإنعام، وفي ذلك أعظمُ دلالة على علم الحيوان، وأن ذلك من إلهام الواحد الديان.

قال بعض العلماء عن هذه الآية من عجائب القرآن.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾[2].

كلمات تفرد بها القرآن وحده:

❖ يقول العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، في كتابه القيم (الرسول والعلم):

---

(١) النمل: (٢٢).

(٢) النمل: (١٨، ١٩).

«لم تعرف البشرية ديناً مثْل الإسلام عُني بالعلم أبلغ العناية وأتمَّها: دعوةً إليه وترغيباً فيه، وتعظيماً لقدره، وتنويهاً لأهله، وحثّاً على طلبه وتعلمه وتعليمه، وبياناً لآدابه، وتوضيحاً لآثاره، وترهيباً من القعود عنه أو مخالفته. . .ومن درس الأديانَ السابقةَ على الإسلام، أو قرأ كتبها المقدسة ازداد إيماناً بعظمة هذا الدين.

إنك تقرأ الأسفار المقدسة في العهد القديم (التوراة) أو في العهد الجديد (الإنجيل) فلا تكاد تقع عينك على هذه الكلمات «العقل» أو «الفكر» أو «النظر» أو «البرهان» أو «العلم» أو «الحكمة» أو ما اشتق منها أو تفرع عنها. . .

فكلمة «علم» نكرة ومعرفة ذكرت (٨٠) ثمانين مرة في القرآن الكريم، أما مشتقاتها: علم ويعلم ويعلمون. . وعليم وعلام. . . الخ فقد ذكرت مئات ومئات من المرات.

وكلمة (عقل) لم ترد اسماً أو مصدرًا في القرآن، وورد بديلاً عنها كلمة «الألباب» وتكررت (١٦) ست عشرة مرة، وكلمة «النُّهى» بمعنى العقول وردت مرتين.

أما مشتقات «عقل» فقد تكررت في القرآن (٤٩) تسعاً وأربعين مرة. .

وكذلك مشتقات «فكر» (١٨) ثمان عشرة مرة.

ومشتقات «فقه» (٢١) إحدى وعشرين مرة.

وكلمة «حكمة» (٢٠) عشرين مرة.

وكلمة «برهان» مضافة وغير مضافة (٧) سبع مرات[1].

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ـ محمد فؤاد عبدالباقي.

ويأبى القرآن إلا أن تُبنى العقائد على أساس البرهان القائم على النظر العميق، والتفكير الهادئ، ولأجل هذا صاح القرآن في أصحاب العقائد الباطلة: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

ولا عجب أن تكررت في القرآن هذه العبارات الموقظة للفكر من غفلته، والمحررة للإنسان من رِبقة تقليده وجموده مثل:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وحسبك أن تقرأ هذه الدعوة - القوية الصريحة - إلى التفكير ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[2].

منزلة العلم والعلماء في القرآن الكريم:

يعد الإسلامُ أولَ عقيدةٍ كرمت العلم والعلماء، وهو بذلك يعتني (بأصل الحضارة) وقوتها الدافعة، ولا غرو فقد كانت أول الآيات التي نزلت ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ وإذا تأملت معي الآيات الخمس الأولى التي نزل بها الوحي لوجدت الكلمات التالية (اقرأ)، (اقرأ)، (علَّم)، (بالقلم)، (علَّم) وهي كلمات لها دلالة واضحة على مكانة العلم في الإسلام وسمو منزلته.

---

(١) البقرة: (١١١).

(٢) الرسول والعلم، ص١٣، ١٤.

كذلك ذكر الله «القلم» في السورتين سورة (العلق) حين قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾، وسورة القلم ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ وهما من أوائل السور نزولاً.

كما أن القرآن الكريم حضَّ على سؤال العلماء ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وما ذاك إلا تمجيدًا لحقيقة القراءة والعلم والعلماء وأدوات العلم، وإيذاناً برفع منار الفكر والعقل، وفتحاً لباب الحضارة على مصراعيه.

هذه الآيات الكريمة المبثوثة في كتاب الله ـ وهي أكثر من أن تُحصى في هذا المقام ـ لتدعو دعوة أكيدةً صريحةً للعلم وتحض عليه، فمثلاً نجد في سورة الزمر ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾[2] فلا مساواة بين عالم وجاهل، بل العالم عظيمُ المكانة، رفيعُ الدرجات، يمتاز بالعقلِ والفطانةِ والفهمِ.

وفي سورة المجادلة نقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾[3] فهذا تكريم لأهل الإيمان والعلم بمنحهم الدرجات الرفيعة في الدنيا والآخرة.

❖ وفي سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾[4] أي إنما يخاف الله ـ عزّ وجلّ ـ ويقْدُره حق قدره، مَنْ عرفه، وعَلِم عظيم قدرته وسلطانه.

---

(١) النحل: (٤٣).

(٢) الزمر: (٩).

(٣) المجادلة: (١١).

(٤) فاطر: (٢٨).

❖ وفي سورة آل عمران: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[1] فانظر كيف بدأ اللَّهُ تعالى بنفسه، وثنَّى بالملائكة، وثلّث بأولي العلم، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً لأهل العلم.

❖ ويقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[2] وفي هذه الآية حصر الله العقل والتدبر في آيات الله، وما يضربه من أمثال للعبرة والعظة في (العلماء) دون غيرهم، وهذا تكريم لهم، ولفت أنظار الناس إليهم وإلى مكانتهم في المجتمعات.

وجاء في أوائل السور المكية قوله تعالى:

❖ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[3].

❖ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾[4] ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾[5].

❖ ومن المتعارف عليه أن أدوات العلم في ذلك الوقت كانت: القلم، والمداد أي الحبر، والرق (الجلد الرقيق الذي يُكتب فيه).

وقد أقسم الله ـ تعالى ـ بهذه الأدوات الثلاث السابقة:

---

(١) آل عمران: (١٨).
(٢) العنكبوت: (٤٣).
(٣) العلق: (١).
(٤) القلم: (١).
(٥) الطور، الآيات: (١ ـ ٣).

❖ أقسم بالنون ـ وهي الدواة ـ على ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

❖ وأقسم بالقلم ـ وهو وسيلة الكتابة.

❖ وأقسم بالرق المنشور ـ وهي الوسيلة (الأداة) التي تُحفَظُ الكتابةُ فيها.

❖ ومن أمعن النظر في كتاب الله الكريم، وجد أن الله تعالى يُقسم بكثير من مخلوقاته، تنويهاً بشأنها، ولفتاً لأنظار الناس إليها[1].

بل إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن هناك عشرات بل مئات الآيات تدعو الإنسان إلى طلب العلم وتحثّه على التفكر والتدبر والتأمل في آيات الله والكون، وأن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين العلم والإيمان، إذ إن أغلب الآيات التي تعرضت لبعض أنواع العلوم، وأشارت إلى بعض الظواهر الطبيعية، تنتهي بقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿. . . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿. . . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[4] أي: للمتفرسين، الناظرين، المتأملين وهذا التعقيب فيه دلالة واضحة على الارتباط الوثيق بين العلم والإيمان.

---

(١) أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية. (بتصرف). أحمد علي الملا، ص١١٢، ١١٣.

(٢) الرعد: (٤).

(٣) النحل: (١١).

(٤) الحجر: (٧٥).

إن العقل الإنساني عندما يتأمل ويتدبر في مخلوقات الله ـ عزّ وجلّ ـ فإنه سيتوصل إلى معرفة الكثير من الأسرار، وسيكتشف أمورًا كثيرة تدل على أن هذا الكون لا بدَّ له من مبدع، وقادر يقوم بتدبيره، وتنسيقه، لذا فإن كثيرًا من العلماء توصلوا نتيجة دراستهم العميقة، وتجاربهم العديدة، إلى الإيمان بالله عزّ وجلّ[1].

❖ يقول (**ألبرت ماكومب ونشنز**) المتخصص في علم الأحياء: «إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل»[2].

❖ ثم يضيف: «ليس من شك أن العلوم تزيد الإنسان تبصرًا بقدرة الله وجلاله، وكلما اكتشف الإنسان جديدًا في دائرة بحثه زاد إيمانُه بالله»[3].

❖ ويقول (**لورد كليفلي**) وهو من علماء الطبيعة البارزين: «إذا فكرْتَ تفكيرًا عميقًا فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد بوجود الله»[4].

---

(١) كتاب (موقف الإسلام والكنيسة من العلم) بتصرف ـ عبدالله المشوخي، ص١٨، ١٩.

(٢) كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، ص١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٤، ١٠٥.

(٤) المصدر السابق، ص٢١.

منزلة العلم والعلماء في ضوء السنة المطهرة:

إن أحاديث الرسول ﷺ قد رفعت العلم والعلماء مكاناً علياً، وهذه طائفة من الوصايا والتوجيهات العطرة من الرسول الحبيب ﷺ:

❖ **«من يُردِ اللَّهُ به خيرًا، يُفقِّهْهُ في الدين»**[١].

❖ **«من سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً، سهّل اللَّهُ به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتابَ اللَّهِ ويتدارسونَه بينهم إلا حفتهم الملائكةُ، ونزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وذكرهم الله فيمن عنده»**[٢].

وقال أيضاً: **«إن الله لم يبعثْني مُعَنتاً ولا مُتَعَنّتاً ولكن بعثني مُعلماً مُيَسّراً»**[٣].

❖ وقال رسول الله ﷺ: **«.. وإن الملائكةَ لتضعُ أجنحَتَها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإنَّ العالمَ ليسْتغفِرُ له مَنْ في السماواتِ ومن في الأرضِ، حتى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالم على العابدِ كفضل القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإنّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثوا دِينارًا ولا دِرهمًا، وإنما وَرَّثُوا العلمَ، فمن أخذه أخذَ بِحَظٍّ وافرٍ»**[٤].

❖ وقال أيضاً: **«لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه اللَّهُ مالاً**

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود، والترمذي ـ رياض الصالحين، ص٢٦٥، ٥٢٧.

فسَلّطه على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمُها»[1].

وكان رسول الله ﷺ بعمله وقوله يُحارب الأمية ويشجع على العلم والتعلم، فقد كان يطلق سراح الأسرى المتعلمين من الكفارُ إذا علّموا المسلمين القراءة والكتابة، وهي خطوة عملية لمحو الأمية والقضاء عليها.

ويقول أيضاً: «**إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث:**

صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[2].

❖ وقال ﷺ:

«**ليُبلّغ الشاهدُ منكم الغائب**»[3]، «**بلِّغوا عني ولو آية**»[4]، «**خيارُ أمتي علماؤها**»[5].

❖ «**فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أدناكم**»[6].

❖ «**فضلُ العلمِ خير من فضلِ العبادة**»[7].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه أحمد.
(٦) رواه الترمذي.
(٧) رواه الطبراني، هو الحافظ الإمام العلامة أبو القاسم سليمان، من طبرية بفلسطين (ت ٣٧٠هـ).

❖ **«من دلَّ على خير فله مثلُ أجرِ فاعِله»[1].**

❖ **«إن اللَّهَ وملائكتَه، وأهلَ السماواتِ والأرضِ حتى النملة في جُحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلمي الناس الخير»[2].**

❖ وقال ﷺ: **«إن مما يلْحقُ المؤمنَ من عمله وحسناتِه بعد موته: عِلْماً علَّمه ونشره، أو ولدًا صالحًا تركه أو مصحفًا ورّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه بعد موته»[3].**

❖ كل هذه الأحاديث تدل على فضل العلم والعلماء.

❖ ورضي الله عن عبدالله بن مسعود حين شدا:

العلمُ يُحيي قلوبَ الميتين كما تَحيا البلادُ إذا ما مسَّها المطرُ
والعلمُ يجلو العمى عن قلبِ صاحبِهِ كما يُجلِّي سوادَ الظلمة القمرُ

منزلة العلم والعلماء عند السلف الصالح:

العلمُ مادةُ العقل، وسراجُ البدنِ، ونورُ القلبِ، وعمادُ الروحِ، وقد أدرك ذلك سلفنا الصالح، فهذا هو:

الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول:

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود وغيرهما.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، والبيهقي. انظر (الرسول والعلم)، ص٢٦.

* «لَموتُ ألف عابد، قائمِ الليل، صائمِ النهار، أهونُ من موت عالم، بصيرٍ بحلالِ الله وحَرامِه»[1].

وقال أيضاً:

❖ «أيها الناس، عليكم بطلب العلم، فإن لله رداءَ محبة، فمن طلب باباً من العلم، ردّاه الله بردائه ذاك».

ويقول أيضاً:

❖ «تعلموا قبل أن تسودوا» فالسيادة تحتاج إلى علم.

ويقول أيضاً:

❖ «تفقهوا قبل أن تسُودُوا» أي تعلموا العلم قبل أن تتولوا المناصب فتكونوا سادة على الناس[2].

ويقول أيضاً:

❖ «علموا أولادكم الكتابةَ والقراءةَ والرمايةَ والسباحةَ وركوبَ الخيل».

* قال أبو قُلابة (عبدالله بن يزيد الجَرْمي):

«مَثَلُ العلماء في الأرض مَثَلُ النجوم في السماء، من تركها ضل، ومن غابت عنه تحيّر»[3].

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء.

(٢) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.. لابن عبدالبر، ص٦٠، وابن عبدالبر: هو: أبو عمر يوسف بن عبدالله.. الأندلسي، ولد في قرطبة سنة ٣٦٨هـ، إمام عصره في الحديث، علامة متبحر، توفّي سنة ٤٦٣هـ.

(٣) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه.

❖ قال سُفيان بن عيينة[1]:

إنما العالمُ مثل السراج، من جاءه اقتبس من علمه، ولا يُنقصه شيئاً كما لا يُنقِصُ القابسُ من نور السراج شيئاً».

❖ وقيل لبعض العلماء: كيف رأيت العلم؟ قال: إذا اغتممتُ سلوتي، وإذا سلوتُ لذتي[2].

❖ ومن فضائله ومزاياه أن نفعه لأهله لا يقتصر على ثواب الآخرة وحدها بل ينفعهم في الدارين، وهذه قصة (ابن أبزى) ذلك أن نافع بن عبدالحارث لَقِيَ أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطاب بعُسْفان[3] ـ وكان سيدُنا عمرُ قد ولاه على مكة ـ فسأله: من استخلفتَ على أهل الوادي؟ فقال: ابنَ أبزى. قال: ومن ابنُ أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفتَ عليهم مولى؟ قال: إنه قارىء لكتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ وإنه عالم بالفرائض (المواريث) قال سيدنا عمر: أما إن نبيّكم ﷺ ـ قال: «**إن اللَّهَ يرفعُ بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[4].

العلمُ يبني بُيوتاً لا عماد لها والجهلُ يهدمُ بيتَ العزِّ والشرف

❖ وقد فسر الإمام الحسنُ البصريُّ قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾[5]

(١) سفيان بن عيينة شيخ شيوخ مكة (ت ١٩٨هـ) محدث الحرم المكي، ولد بالكوفة ومات بمكة.

(٢) العقد الفريد.

(٣) عسفان بلدة تقع شمال مكة.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) البقرة: (٢٠١).

فقال: حسنةُ الدنيا هي العلم والعبادة، أما حسنة الآخرة فهي الجنة[1].

❖ وهذا عبدالله بن كثير يروي عن أبيه أنه قال: «ميراثُ العلم خيرٌ من ميراثِ الذهبِ والفضةِ، والنفسُ الصالحةُ خيرٌ من اللؤلؤ».

❖ وقال سُفيان بن عُيينة: من طلبَ العلم فقد بايع اللَّهَ عزّ وجلّ[2].

❖ وقال الصحابي الجليل أبو الدرداء[3]: من رأى الغُدُوَّ والرواحَ إلى العلم ليس بجهادٍ، فقد نقصَ في عقله ورأيه[4].

❖ وكان عطاءُ بن أبي رباح ـ الفقيه والتابعي ـ رجلاً أسْودَ اللون، أفطسَ الأنف، أعرجَ الرجل، قصيرَ القامة، ولكنه جلس بجوار الخليفةِ الأمويِّ سليمانِ بن عبدالملك، في موسم الحج، يفتي الناس، قالوا: إنما رفعه العلم[5].

❖ وهذا هو سعيد بن المسيب[6] ـ سيدُ التابعين وأفقهُهُم ـ رفض أن يزوج ابنتَه من ابن الخليفةِ الأمويِّ عبدالملك بنِ

---

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.. لابن عبدالبر، ص٣٧.

(٢) الرسول والعلم، ص٣٣.

(٣) أبو الدرداء: عويمِر بن عامر الأنصاري، قال عنه الرسول الحبيب ﷺ: «**عويمر حكيم أمتي**» كان فقيهاً عاملاً حكيماً، انصرف للعلم والعبادة والجهاد، توفّي سنة (٣٢هـ).

(٤) مفتاح دار السعادة، ج١/٧٧ لابن القيم.

(٥) المصدر السابق، ج١/١٦٥.

(٦) سعيد بن المسيب توفّي بالمدينة سنة (٩٤هـ).

مروان ـ الذي كان قد خطبها لابنه الوليد حين ولاه العهد ـ بل زوجها لأحد طلاب العلم في حلقته، قال له: يا ابن أبي وداعة، ما عندك؟ قال: والله ما عندي إلا درهم، قال: قد زوجتك ابنتي بدرهم.

❖ ويقول الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ لكُمَيْلِ بنِ زياد: «العلمُ خير من المال، العلمُ يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم يزكو بالإنفاق والمال تنقصه النفقة، والعلم حاكم والمال محكوم عليه»[1].

❖ وعن ابن مسعود[2] أنه قال: الدراسةُ صلاة.

❖ وعن أبي الدرداء قال: مذاكرةُ العلم ساعةً خيرٌ من قيامِ ليلة[3].

❖ وعن ابن عباس (حَبْر الأمة): تذاكُرُ العلمِ بعضَ ليلة أحب إليَّ من إحيائها[4].

❖ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ـ: لأن أجلسَ ساعةً فأفقهَ في ديني أحبُّ إليَّ من أن أُحييَ ليلةً إلى الصباح[5].

---

(١) الرسول والعلم، ص٢٧.

(٢) عبدالله بن مسعود صحابي جليل، أول من جهر بالقرآن الكريم، أحد أوعية العلم، شهد المشاهد كلها مع رسول الله، توفي بالمدينة سنة (٣٢هـ).

(٣) الرسول والعلم، ص٢٧.

(٤) المرجع السابق، ص٣٧.

(٥) المرجع السابق، ص٣٧.

❖ وقال الثوري: ليس بعد الفرائض أفضلُ من طلب العلم[1].

❖ وقال الإمام الشافعي: طلبُ العلمِ أفضلُ من صلاة النافلة[2].

❖ وقال الإمام مالك بن أنس: نشرُ العلم من أفضل أنواع البر والخير.

❖ وقال الإمام علي: العالمُ أفضل من الصائم القائم المجاهدِ، وإذا مات العالم ثُلِمَ في الإسلام ثُلمة (ثغرةَ وخلل) لا يسدها إلا خَلَفٌ منه[3].

❖ وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «لو كان للعلم صورة لكانت صورتُه أحسن من صورةِ الشمسِ والقمرِ والنجومِ والسماءِ. . .».

❖ وقال أبو الدرداء أيضاً: «لأنْ أتعلمَ مسألةً أحبُّ إلي من قيام ليلة».

❖ وقال: «كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً، ولا تكن الرابع فتهلك»[4].

وقال عُروة بن الزبير: «يا بنيَّ اطلبوا العلمَ فإن تكونوا

---

(١) الرسول والعلم، ص٣٧.
(٢) المرجع السابق، ص٣٨.
(٣) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.
(٤) الرسول والعلم.

صغارًا لا يُحتاجُ إليكم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم»[1].

وصدق القائل:

لكل داءٍ دواء يُستَطَبُّ به   إلا الجهالةَ أعيتْ من يُداويها

❖ وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: عليكم بالعلم قبل أن يُرفع، ورفعُه موتُ رواتِه، فوالذي نفسي بيده ليَوَدَّنَّ رجالٌ قُتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم اللّهُ علماءَ لما يرون من كرامتهم، وإن أحداً لم يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم[2].

❖ وسأل رجلٌ ابنَ عباس ـ رضي الله عنه ـ عن الجهاد فقال له: ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تبني مسجدًا تُعلم فيه القرآن، وسننَ النبيّ ﷺ، والفقه في الدين[3].

❖ وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (نِعْم المجلسُ مجلسٌ تُنشَر فيه الحكمةُ، وتُنشر فيه الرحمةُ) يعني: مجلس العلم[4].

❖ وقال الصحابي الجليل معاذ بن جبل: تعلموا العلم، فإن تعلمَه لله خشيةٌ وطلَبه عبادةٌ، ومدارستَه تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتعليمَه من لا يعلمه صدقة، وبذلَه لأهله قربة، وهو الأنيسُ في الوِحدة، والصاحبُ في الخَلْوة، والدليلُ على الدين،

---

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

والنصير في السراء والضراء، والوزيرُ عند الأخلاء، والقريبُ عند القرباء، ومنارُ سبيل الجنة، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادةً سادةً، هداةً يُقتدَى بهم، أدلةً في الخير تُقْتَفَى آثارُهم، وتُرمقُ أفعالُهم، وتَرغبُ الملائكةُ في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وكلٌّ رطْب ويابس يَسْتغفِرُ لهم، حتى حيتانُ البحرِ وهوامُه، وسباعُ البرِ وأنعامُهُ، والسماءُ ونجومُها... إلى أن قال:

به يُطاع الله، وبعد يُعبد، وبه يُوَحَّد، وبه يُمجّد، وبه يُتَورّع، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرفُ الحلالُ والحرامُ، وهو إمامٌ والعملُ تابعه، يُلْهَمُهُ السعداء، ويُحْرَمُه الأشقياء[1].

❖ وقال الحسن: لولا العلماء، لصار الناسُ مثل البهائم، أي أنهم بالعلم يُخرجون الناسَ من حد البهيمية إلى حد الإنسانية[2].

❖ وقال أبو الأسود الدؤلي (واضع علم النحو) ليس شيءٌ أعزَّ من العلم، وذلك أن الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

❖ وقد جاء في كتاب (تهذيب جامع بيان العلم وفضله) لأبي عمر يوسف بن عبدالبر[3] ما يأتي:

قيل: لا تمنعوا العلم أهله فتظلموهم، ولا تعطوه غير أهله فتظلموه.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الرسول والعلم.

(٣) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، هذبه وخرج أحاديثه، أبو عماد السخاوي، مطبعة دار الفتح ـ الشارقة.

❖ ولبعضهم:

من منعَ الحكمةَ أربابَها ... أصبحَ في الحكم لها ظالما
وواضعُ الحكمةِ في غيرهم ... يكونُ في الحكم لها غاشما
سمعتُ يوماً مثلاً سائرًا ... وكنتُ في الشعر له ناظما
لا خيرَ في المرءِ إذا ما غدا ... لا طالبًا علمًا ولا عالما

❖ وقال ميمون: «إن مثلَ العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد».

❖ وقال الحسن: «الدنيا كلها ظُلمة إلا مجالس العلماء».

❖ وقال أبو الدرداء: «يرزقُ اللَّهُ العلمَ السعداء، ويُحْرَمُه الأشقياءُ».

❖ وقيل: «مَثَلُ العلماء مَثَلُ الماء حيثما سقطوا نفعوا».

وأنشد سيدنا عليّ بن أبي طالب هذه الأبيات:

ما الفخرُ إلا لأهلِ العلمِ إنّهمُ ... على الهُدى لمن اسْتهدى أدلاءُ
وقدرُ كلِّ امرىءٍ ما كان يُحسِنُه ... والجاهلون لأهل العلمِ أعداءُ
فَفُزْ بعلمٍ تعشْ حيّاً به أبداً ... الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

❖ ويقول الحسن البصري: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى

خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلُّهم على ما فعلوا[1].

❖ يقول الإمام ابن القيم: «إنما جُعل طلبُ العلم من سبيل الله؛ لأن به قِوام الإسلام كما أن قِوامَه بالجهاد. فقِوامُ الدين بالعلم والجهاد. ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وكذلك جهاد بالحجة والبيان.

وجاء عن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ: إذا جاء الموتُ طالبَ العلم ـ وهو على هذا الحال ـ مات وهو شهيد.

تعلَّمْ ففي العلم الشريف فوائدٌ يحِنُّ لها القلبُ السليم الموفَّقُ
فمنهنَّ رضوانُ الإله وجنةٌ وفوزٌ وعزٌّ دائمٌ متحققُ

وقال عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «خُيِّر سليمانُ بنُ داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأُعطيَ المالَ والملكَ معه».

وقال الشافعي: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم».

ويقول الشافعي أيضاً: طلبُ العلم أفضلُ من صلاةِ النافلة.

ويقول الحسن البصري: يوزَنُ مِداد العلماءِ بدماءِ الشهداء، فَيرْجُحُ مداد العلماء.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ص٨٢.

منزلة طالب العلم.

❖ لقد كرمت السنّة النبويّة العطرة طلاب العلم وأشادت بهم، وأعلت قدرَهم، ورفعت شأنَهم فقد جعل الرسول ﷺ الطريقَ الذي يُلتَمس فيه العلم، بمثابة الطريق التي توصل إلى الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام:

«من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع»[1].

وقال: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهّل اللَّهُ له طريقاً إلى الجنة»**[2].

وقال: **«إن الملائكةَ تضعُ أجنحتَها لطالب العلم رضاً بما يطلب»**[3].

❖ وعن أنس أن أخوين كانا على عهد رسول الله ﷺ كان أحدهما يحضر حديث رسول الله ﷺ ومجلسَه، وكان الآخر يُقْبِل على صنعته فقال: يا رسول الله: أخي لا يُعينني بشيء، فقال رسول الله ﷺ: **«لعلك تُرزَق به»**[4].

مرحباً بطالب العلم:

كان عليه الصلاة والسلام يرحب بطلاب العلم، ويستقبلهم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، برقم **٢٦٤٩**.

(٢) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

(٣) صحيح الترمذي (**٣٥٣٥**)، وابن ماجه (**٢٢٦**) وغيرهما.

(٤) صحيح الترمذي (**٢٣٤٥**) وغيره.

أفضل وأحسن استقبال، ويوصي بهم خيرًا، ويأمر صحابته أن يرحبوا بهم، ويفسحوا لهم في المجالس، فهذا هو الصحابي الجليل «صَفوان بن عسال المرادي»[1] يقول: أتيتُ النبيّ ﷺ وهو في المسجد متكئ على بُردٍ له أحمر فقلتُ له: يا رسول الله، إني جئتُ أطلبُ العلم، فقال: «**مرحباً بطالب العلم، إن طَالبَ العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يَرْكَبُ بعضُهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لِما يطلب**»[2].

ولقد روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنهما ـ يقول: (ما رأيت رسول ﷺ يحدث حديثاً إلا تبسم).

نعم، لقد أصّل النبيّ ﷺ الأصول وعلمها أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وهم الذين علموها للدنيا بأسرها، إنها آداب وقيم وفضائلُ عظيمة سنّها رسول الله للمعلمين ليقتدوا بها في كيفية تربيتهم للمتعلمين، حتى يؤتي التعليم الثمار اليانعة الفواحة.

وأولُ هذه الآداب، أسلوبُ وطريقةُ المعلم مع المتعلم أن يَهَشَ له، ويَبِشَّ في وجهه، ويُظهر له المودة والمحبة والاحترام، والتواضع والإحسان، ويُعلن عن الترحيب به؛ حتى تزول حالة الرهبة والوحشة من المتعلم، فالبشاشة حبل المودة.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه: «من لانت كلمته، وجبت

---

(١) صفوان بن عسال المرادي: صحابي ـ ومراد قبيلة من مذحج باليمن ـ، غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وسكن في الكوفة.

(٢) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له، وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وروى ابن ماجه ونحوه باختصار (الترغيب والترهيب.. حديث (١٠٨).

محبته»[1]؛ لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، والرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، وما نزع من شيءٍ إلا شانه.

فكان صفوان بن عسال يفعل مع الطلاب مثل ما رأى من النبيّ ﷺ فيرحبُ بهم، ويبشرهم، وهكذا فعل من جاء بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم.

فعن أبي سعيدٍ أن النبيّ ﷺ قال: «**سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ وأفتوهم**»[2] وفي رواية «**وأقنوهم**» أي أرضوهم وأعينوهم.

وكان أبو سعيد إذا جاءه طلاب العلم قال: **مرحباً بوصية رسول الله** ﷺ[3].

وها هو ذا عبدالله بن عباس يقول: «أعزُّ الناسِ عليَّ جليسٌ لطلبِ العلم، فواللَّهِ لو وقعت ذبابةٌ على أحدِهم لآذتني».

يقول العلماء: «إن الله ربَّى محمداً ﷺ ليُربي به العرب، وربَّى العرب ليُربي بهم العالم».

وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إذا رأى الشباب يطلبون العلم يقول: مرحباً بينابيع الحكمة، ومصابيح الظُّلَم، خِلْقانِ الشباب، جُدَدِ القلوبِ، حُبْسِ البيوتِ، ريحانِ كلِّ قبيلة[4].

نعم، لقد كان رسول الله ﷺ خيرَ معلم، فهو القدوة ﴿لَّقَدْ كَانَ

---

(١) انظر العقد الفريد، ابن عبد ربه (٢/١٢٠).

(٢) رواه ابن ماجه والطيالسي والديلمي.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ج١/١٨٠ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ج١/١٢.

﴿لَّكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] وكما يقول الغربيون: «إن العباقرة تصنعهم القدوة» فالمعلم الجيد مع التلميذ الجيد يعطينا تعليمًا جيدًا.

الإسلام رسالة علمية حضارية:

اتضح من خلال ما سبق مكانة العلم في القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهرة، وكيف أن صحابة رسول الله ﷺ استجابوا لدعوة الكتاب والسنّة، فحملوا راية العلم وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل طلبه، وإذاعته، ونشره، وتعليمه.

واستمرت الحركة العلمية بعد عصر الخلفاء الراشدين حيث حمل لواءها الخلفاءُ، والولاةُ، والقادةُ، وأهلُ الخير، يشجعون مسيرة العلم، ويُجْرون الأرزاق على طلاب العلم، ويستدعون العلماء لمجالسهم، بل كانوا يبنون المساجد التي كانت تعد ملتقىً لأهل العلم، ويبنون المدارس وغيرها، ويحضرون المناظرات العلمية، ويشجعون على التأليف والترجمة..

هذا ولم يقتصر احترام العلماء وتقديرهم وتشجيعهم من جانب الخلفاء على العلماء الذين برزوا في علوم الدين، كالفقه والحديث و... بل شمل جميع العلماء الذين برزوا في شتى العلوم[2]. فالإسلام رسالة (علمية - تربوية) تهدف إلى سعادة الإنسان وتحقيق الخير للبشرية.

حضارة لها مكانها ومكانتها.

لقد ربى الإسلامُ الإنسانَ الفاضل وأقام (الدولة الراشدة)

---

(١) الأحزاب: (٢١).

(٢) موقف الإسلام والكنيسة من العلم... عبدالله المشوخي، ص٤٨، بتصرف.

لحراسة العقيدة وتنمية الوعي الاجتماعي، وإنعاش القوة المحركة للحضارة الإنسانية، لتكون كلمة الله (رحمتُه، حكمتُه، عدالتُه) هي العليا، رائدةً موجهةً، ضابطةً للسلوك الفردي والاجتماعي، ترقى بالحياة نحو التطور والازدهار والتكامل[1].

ولما كان القرآن الكريم، والسنّة النبويّة المطهرة، يمثلان القوة الدافعة للحركة الحضارية في الإسلام، ومشعل النور والضياء لكل مسلم في أرجاء الأرض، فكان ثمرةَ ذلك بروزُ الحضارة[2] العربية الإسلامية، حضارةٌ متميزة سادت وقادت العالم عدة قرون. . . حضارةٌ متوازنةٌ تلتقي فيها الروح بالمادة جنباً إلى جنب، العقل والقلب جنباً إلى جنب، الحرية والمسؤولية، والواقعية والمثالية، حضارةٌ ضاربةٌ في أغوار التاريخ كان لها مكانها ومكانتها. . كان لها آثارها وثمارها. . فقد كانت هي الحضارةُ الأولى في دنيا الناس، بل الحضارة الوحيدة التي جمعت العلم والإيمان معاً، جمعت بين الرقي المادي والرقي الروحي.

خصائص ومزايا الحضارة الإسلامية:

❖ إنها حضارة وسطية متوازنة فلا تطغى مطالب المادة على نزعات الروح ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[3].

❖ إنها حضارة شاملة كاملة متوازنة في نظرتها للكون والإنسان

---

(١) كتاب (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية) أحمد الملا.

(٢) الحضارة: أي عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، فتدخل بذلك الجوانب المادية والتنظيمية والقيمية.

(٣) البقرة: (١٤٣).

والحياة أي تشمل كل جوانب الحياة ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

❖ إنها حضارة متسامحة لا حقدَ فيها ولا كراهيةَ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[2].

❖ إنها حضارة أساسها الوحدانية المطلقة فهي أول حضارة تنادي بإله واحد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[3].

❖ إنها حضارة تقدمية متطورة لا جمود فيها ولا رجعية ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ. . .﴾[4].

❖ إنها حضارة إنسانية النزعة، عالمية الأفق، تهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[5].

❖ إنها حضارة أخلاقية جعلت الأخلاق والقيم هدفها الأول «**إنما بُعثت لأتمم مكارمَ الأخلاق**»[6].

❖ إنها حضارة تتصف بالأمانة المطلقة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[7].

❖ إنها حضارة إيمانٍ وعملٍ وإنتاج تؤمن بالله ورسوله وتهتدي بَهدْي خاتم رسله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ. . .﴾[8].

---

(١) الأنعام: (٣٨).
(٢) الأعراف: (١٩٩).
(٣) الفاتحة: (٥).
(٤) التوبة: (١٠٥).
(٥) الحجرات: (١٣).
(٦) حديث أخرجه الإمام أحمد، والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) النساء: (٥٨).
(٨) الكهف: (١٠٧).

* إنها حضارة تتصف بالمرونة وسعة الأفق، منفتحة على كل الثقافات، تختار النافع المفيد، وتنبذ كل ما لا يقره الدين والعقل[1]. فشعار المسلم: الحقيقة ضالة المؤمن أنّى وجدها أخذها في تثبت ويقين. أو كما عبر ﷺ **«الحكمةُ ضالةُ المؤمن، أينما وجدَها فهو أحقُّ بها»**[2].

لقد استفاد المسلمون من ثمار الحضارات والشعوب الكبرى والعريقة مثل: الفرس والرومان والإغريق والمصريين والبابليين وغيرِهم، فكان المسلمون أشبهَ بالنحلةِ التي استنشقت عبقَ الأراحيقِ والأزاهير فأنتجت شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس.

وليس كما يزعم الغربيون أن الحضارة الإسلامية ليست إلا نقلاً عن الحضارات السابقة، مشككين في أصالة هذه الحضارة، محاولين نسب كل مأثرة لأنفسهم، وكل منقصة لغيرهم، وتجريدها من كل ميزة، بل تجريدها من أضخم ملكاتها وهي تميّزها وتفردها واستقلالها.

ونقول: شتان ما بين الوقوف عند حد النقل المباشر الذي يُعد أمارة ضعف الموهبة وهزالها، والتأثر الرشيد المحمود الذي يقوم على الوعي الكامل، والاستيعاب الشامل، والهضم والتمثل لمصادر التأثير، ثم الصدور بعد ذلك عن رؤية خاصة متميزة، فذلك الذي تُغْنى به العلوم والفنون والآداب، وتزداد قوّة وخصوبة وازدهارًا.

---

(١) كتاب (روائع حضارتنا) د. مصطفى السباعي.

(٢) رواه ابن ماجه.

ومن المعلوم أنه ليس هناك في عالم التفكير الإنساني - عامة - خَلْقٌ من فراغ، وإنشاء من عدم، وإنما هي أفكار تنمو، ويتوالد بعضها من بعض، ويضيف فيها اللاحق إلى السابق، فيتعاظم صرح المعرفة الإنسانية على مرّ العصور، دون أن ينال ذلك من قدر المتأثر شيئاً أو ينقِص من أصالته.

هذه هي الأصالة الحقيقية التي عبّر عنها الأديب الفرنسي الكبير «بول فاليري» (١٨٧١ - ١٩٤٥م) حين قال: «لا شيء أدْعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، فما الليثُ إلا عدة خراف مهضومة»[١].

إذن دور علماء المسلمين في الحضارة الإسلامية لم يكن نقلاً فقط، بل تجاوز ذلك إلى الدراسة، والفحص، والشرح، والنقد، وتصويب الأخطاء، ثم الإبداع والابتكار.

إن عظمةَ الحضارة الإسلامية تكمن في أن علماءها وبُناتَها قاموا بدور التلميذ الذي لم يلبث أن كبر وفاق أساتذته[٢].

نماذج من طلاب العلم كانوا خير سلف:

لقد سجل لنا التاريخ بمداد من ذهب عدداً غير قليل من طلبة العلم الذين لمعت أسماؤهم، وذاع صيتهم، فملأوا الدنيا، وشغلوا الناس بسعة علمهم، وقوة فكرهم.. فكانوا شموساً مضيئة للدنيا بأسرها في كافة العلوم والمجالات، ومن هؤلاء:

---

(١) الأدب المقارن، ص٢٣، د.محمد غنيمي هلال، مكتبة نهضة مصر، ط٣. بتصرف.

(٢) حضارة الإسلام، د.سعيد عبدالفتاح عاشور، ص٩٩، ط٢.

في الطب:

الرازي: هو محمد بن زكريا، وكنيته أبو بكر، ولد بـ(الري) جنوب طهران (ت **٣٢١هـ**) يلقب بـ(أبو الطب العربي)، ومن أشهر مؤلفاته: «الحاوي»، «سر الأسرار»، ويكفي الرازي فخرًا أن جامعة «برنستون» بواشنطن أطلقت اسمه على أكبر أجنحتها تخليدًا لذكراه، واعترافاً بفضله[١].

وابن سينا: (ت **٣٧٠ ـ ٤٣٠هـ**) المولود في (بخارى)، أبو علي الحسين بن عبدالله ولقب (بالشيخ الرئيس)، وصاحب كتاب «القانون في الطب» الذي ترجم إلى سبع وثمانين لغة. وله كتب أخرى مثل: «الشفاء»، «النجاة»، «الإشارات»، وما زالت كلية الطب بجامعة باريس تحتفظ في كبرى قاعاتها بصورتين كبيرتين ضخمتين إحداهما للرازي، والأخرى لابن سينا[٢].

في الفلسفة: نجد أبا يوسف يعقوب الكندي (ت **٨٦٨م**)، والفارابي المتوفَى في (**٣٣٩هـ/٩٥١م**) وابن سينا (**٩٨٠م ـ ١٠٣٧م**) وكذلك ابن رشد (**١١٢٦م ـ ١١٩٨م**) وابن باجة (ت **٥٢٩هـ**).

في الفيزياء: نجد الحسن بن الهيثم المصري (ت **١٠٣٩م**) الذي اشتهر بعلم البصريات والضوء، وله كتاب «المناظر».

في الكيمياء: جابر بن حيان الكوفي من علماء القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) الذي ابتكر الكثير في مجال المواد الكيميائية، وترك مصنفات خالدة أشهرها كتاب «الاستتمام»[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص١٣١.
(٢) المرجع السابق، ص٣١٠.
(٣) المرجع السابق، ص١٢٥.

في الرياضيات: نجد أبا عبدالله محمد بن موسى الخُوَارزْمِيّ (ت ٨٥٠م) واضع علم الجبر والحساب وصاحب كتاب «الجبر والمقابلة» الذي ترجم إلى اللغة اللاتينية[١].

في الفلك: نجد محمد البتاني (ت ٩٢٩م) صاحب كتاب «الزيج الصابىء»، والفرغاني، والبيروني، وعمر الخيام صاحب التقويم الجلالي.

الاجتماع: عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ) (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) الذي يعد المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، وصاحب كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم. . . » أو ما يعرف باسم «مقدمة ابن خلدون»، يقول عنه المؤرخ الإنجليزي (أرنولد توينبي)[٢]، واصفاً ابن خلدون وكتابه هذا «إنه أعظم كتاب من نوعه ألفه عقل إنسان في أي زمان أو مكان»[٣].

التاريخ: مع ظهور الإسلام وانتشاره السريع أخذ العرب والمسلمون يهتمون بدراسة التاريخ، لذا ازدهرت الحركة التاريخية، لا سيما وأن القرآن الكريم يُعد مصدراً هاماً من أقدم وأصدق، وأوسع وأهم، مصادر التاريخ، فقد حوت آياته الكثير من أخبار الأمم السابقة، والأنبياء مع أقوامهم. . . كذلك الآيات القرآنية الكثيرة التي تحث على دراسة التاريخ.

بالإضافة إلى رغبة الخلفاء والحكام في الوقوف على أخبار

---

(١) المرجع السابق، ص١١٣.

(٢) أرنولد توينبي (١٨٨٩ ـ ١٩٤١م).

(٣) أصول علم الاجتماع ومصادره، د.قباري إسماعيل.

السابقين وخاصة ملوك وحكام الأمم الأخرى وأساليبهم في إدارة بلادهم والاستفادة منهم.

ولرغبة المسلمين في معرفة تاريخهم السياسي بعد اتساع دولتهم، والرغبة في معرفة سيرة الرسول ﷺ وأعماله والتطبيق العملي لهذه السيرة والسنة الشريفة.

فقد جاء في كتاب «السيرة النبويّة» المسمى: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» تأليف: محمد بن عبدالله بن يحيى بن سيد الناس، ما رُوي عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص أنه قال: «كان أبي يُعلِّمنا المغازيَ والسرايا ويقول: يا بَنيَّ إنها شرفُ آبائكم فلا تُضيِّعوا ذكرها».

❖ لقد نشأ علم التاريخ على أيدي رجال الحديث لخدمة الشريعة الإسلامية، فهو وسيلة من الوسائل التي استخدمها علماء السنة لمعرفة صدق الرواة من كذبهم؛ لذلك اهتم به كبار المحدثين كالإمام البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والطبري وابن الأثير وغيرهم، ولهذا قيل: «لم يُسْتَعنْ على الكذابين بمثل التاريخ»[١]. وقال سفيان الثوري: «لما استعملَ الرواةُ الكذبَ استعملنا لهم التاريخ».

ولدراسة التاريخ فوائد وثمرات متعددة، يقول ابن الأثير[٢] «ومن رزقه اللَّهُ طبعاً سليماً، وهداهُ صراطاً مستقيماً، عَلِمَ أن

---

(١) (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)، ص٩، محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ).

(٢) ابن الأثير: علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) (الكامل في التاريخ ١٣ جزء).

فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة».

وقد ألّف بعض المؤرخين المادة التاريخية **بحسب السنين (الحوليات)** كما في تاريخ الطبري[1] (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) أو ما يعرف بـ(تاريخ الرسل والملوك)، ومنهم من اتبع **طريقة الأنساب** (كالبلاذري)[2] في كتابه (فتوح البلدان).

ومن المؤرخين من نظم المادة التاريخية **بحسب عهود الخلفاء** كما فعل أبو الرحيان البيروني[3]. ومنهم من اتخذ **أسلوب الطبقات** كأسلوب ابن سعد صاحب كتاب (الطبقات) (ت ٢٣٠هـ).

ومنهم من تناول **تفسير الحوادث التاريخية**، أو ما يعرف بفلسفة التاريخ كما فعل ابن خلدون في مقدمته الشهيرة.

وهناك كُتَّاب السيرة الأوائل مثل: عُروة بن الزبير (٢٣هـ - ٩٤هـ) أقدم من ألف في السيرة النبويّة، وابن إسحاق (ت ١٥٣هـ)، وابن هشام (ت ٢١٨هـ)، والواقدي (ت ١٧٠هـ).

في الجغرافيا: كان من أشهر الجغرافيين ابن خرداذبُهْ (ت ٢٧٢هـ) صاحب كتاب (المسالك والممالك)، واليعقوبي (ت ٢٦٠هـ) صاحب كتاب (البلدان)، والمسعودي (ت ٣٤٦هـ)

---

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، من طبرستان، شيخ المؤرخين، (ت ٣١٠هـ).

(٢) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) من أصل فارسي سمي بالبلاذري لأنه تناول حب البلاذر، فاختل عقله.

(٣) البيروني: محمد بن أحمد، من بيرون، بخوارزم (جمهورية أوزبكستان)، تعددت مواهبه في التاريخ والجغرافيا والفلك (ت ٣٦٢هـ).

صاحب كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) والمقدسي (ت ٣٩٠هـ) صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، وابن حوقل (القرن الرابع الهجري) صاحب كتاب (صورة الأرض)، والإدريسي (ت ٥٦٠هـ) صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وابن جُبير (ت ٦١٤هـ)، وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، كل هؤلاء الأعلام أفادوا الحضارة الإنسانية أعظم إفادة، وهذا غيض من فيض.

ولله درُّ هاشم الرفاعي[1] حين عبّر عن حضارة المسلمين الباذخة، وعزتهم الشامخة، ومجدهم المتألق، وشمسهم الساطعة، وماضيهم التليد، حتى أتى على المسلمين حينٌ من الدهر، فإذا شمسهم في غروب، وبدرهم في أفول، ومدهم في انحسار، وعزهم في انكسار، كل هذا يسطره الرفاعي في بكاء وحنين، وأمل في العودة إلى الريادة من جديد.

مَلكنا هذه الدنيا قُروناً ... وأخضَعها جدودٌ خالدونا
وسطّرْنا صحائفَ من ضياءٍ ... فما نَسِيَ الزمانُ ولا نَسينا
وما فَتِىءَ الزمانِ يدورُ حتى ... مضى بالمجدِ قومٌ آخرونا
وأصبح لا يُرى في الركبِ قومي ... وقد عاشوا أئمتَه سنينا
وآلمني وآلَمَ كلَّ حُرٍّ ... سؤالُ الدهرِ: أين المسلمونا؟
تُرى هل يرجعُ الماضي فإني ... أذوبُ لذلك المَاضي حنينا

(١) هاشم الرفاعي: سيد جامع هاشم مصطفى الرفاعي، كان يقول الشعر ولمّا يبلغ الثانية عشرة من عمره، قاد المظاهرات ضد الإنجليز في مصر، وضد الفساد، وكان يتحدى الطغيان، التحق بكلية دار العلوم، وقتل سنة ١٩٥٩م قبل التخرج.

شهادة إنصاف:

والخلاصة أن العلماء العرب المسلمين في العصر الإسلامي قاموا بدورهم في بناء النهضة العلمية العالمية، وقدموا لأوربا زاد نهضتها، وكانوا كما قال البنديت جواهر لال نهرو - الزعيم الهندي المعروف - في كتابه (لمحات من تاريخ العالم)[1]:

«كانوا بحق آباءَ العلم الحديث، وإن بغدادَ تفوقت على كل العواصم الأوربية - عدا قرطبة - عاصمة أسبانيا العربية، وأنه كان لا بدّ من وجود ابن الهيثم، وابن سينا، والخوارزمي، والبيروني، لكي يظهر: جاليليو، وكبلر وكوبرنيكس، ونيوتن...».

هكذا كانت حضارة الإسلام نبعاً صافياً يَسْقِي العقول الباحثة عن الحقيقة، وشعاعاً ينير طرق الحائرين.

حاء في كتاب (القيم الخالدة في الإسلام) للعالم الشهير «أميل درمنجم».

«إن حضارةَ الإسلام تقوم على رسالة سماوية، نظامها الاجتماعي يقوم على أسرةٍ متماسكة، ونظامُها الاقتصادي يعتبر المالَ وسيلةً لا غاية، ويحترم الملكية الفردية غير المستغلة، وثقافتها تستخدم العقل في كسب المعارف، ولا شك أن لدى المسلمين أكبر ذخيرة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية»[2].

---

(١) جواهر لال نهرو (١٨٨٩ - ١٩٦٤م) يعد أحد كبار قادة القرن العشرين... والكتاب عبارة عن رسائل لابنته (أنديرا غاندي) عندما كان في السجن، ترأس الوزارة في الهند (١٩٤٧ - ١٩٦٤م).

(٢) (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية).. أحمد علي الملا، ص١١٧.

وما أبلغ ما قاله الدكتور الفرنسي «موريس بوكاي» في وصف القرآن: «إنه بمثابة ندوةٍ علميةٍ للعلماء، ومعجمِ لغة للغويين، ومعلمِ نحو لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عَروض لمحب الشعر وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتاب سماوي لا يساوي أدنى سورة من سوره...»[1].



(١) التربية في كتاب الله... الشيخ محمود عبدالوهاب فايد، من علماء الأزهر.

الباب الثاني

من وسائل العلم

١ ـ القراءة طريق للعلم.

- فوائد القراءة.
- أنواع القراءة من حيث الشكل وطريقة الأداء.
- أنواع القراءة من حيث أغراضها.
- كيف تتقن فن القراءة السريعة؟
- أقوال حول القراءة.
- كيف تطوّر قدرتك القرائية؟
- الوصايا العشر للقراءة.
- كيف تقرأ كتاباً؟

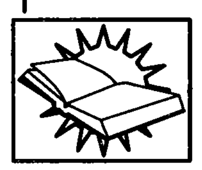
٢ ـ حسن الاستماع والإنصات.

- مفهوم الاستماع.
- الفرق بين السمع والاستماع والإنصات.
- أهمية الاستماع.

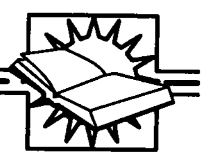
٣ ـ كتابة العلم وتوثيقه.

٤ ـ تعلم اللغات الأخرى.

٥ ـ التعليم المستمر.







من وسائل العلم التي زود اللّه بها الإنسان

يولد الإنسان ولا يعلم شيئاً من العلم، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فطره على حب المعرفة واستطلاع ما يجهل، ووهب له من الإمكانات وسخر له من الأدوات والوسائل ما يستطيع به أن يعْرِف نفسَه، ويكتشفَ العالَمَ من حوله، بما وهبه الله تعالى من حواس، يقول الله عزّ وجلّ:

❖ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1].

❖ وقال أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2].

❖ وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[3].

---

(١) النحل: (٧٨).

(٢) تبارك: (٢٣).

(٣) الإسراء: (٣٦).

لقد احترم القرآن الحواس، وأثبت أنها أبواب المعرفة، فحثها على التأمل في بديع صنع الله، والنظر والتدبر في آيات الله المبثوثة في كتابه المنظور.

هذه الوسائل من السمع والبصر والفؤاد (العقل) زود الله بها الإنسان لتلقّي العلمِ والمعرفة، ليكتشفَ سننَ الكونِ، وحقائقَ الوجود من خلالها.

وإذا كان الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) (**١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م**) وغيره يقرون (أن الحواسَّ نوافذُ العلم)، فإن ابنَ القيم (**٦٩١هـ/٧٥١م**) قد سبق هذه الآراء فبين في كتابه (مفتاح دارَ السعادة) أن اللَّهَ ـ عزّ وجلّ ـ جعل الحواسَّ (السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس) في الرأس كالمصابيح فوقَ المنارةِ لتتمكنَ بها من مطالعة الأشياء، وذكر أن الحواسَّ هي النوافذُ إلى العقل فعن طريقها تأتي المعلومات إليه، وقرر أن الحواسَّ جميعَها مرتبطةٌ بالقلبِ ارتباطاً وثيقاً يمدها بقوة معنوية تُهيِّئُها لكسب العلم والمعرفة.

إن وسائل العلم كثيرة وعديدة خاصة في عصر الكمبيوتر والإنترنت، ولكننا سنوجز القول في بعضها.

١ ـ القـراءة:

القراءة مِفْتاحُ الخير والإيمان، ونافِذةٌ للعلم والمعرفة، ونورُ هدايةٍ تهتدي بها النفوسُ والقلوبُ، وتستضيءُ بها الأفهامُ والعقولُ، إلى الهدى والخير والرشاد، وهي عملية تترجم فيها عقولُنا الرموزَ إلى أفكار.

ولقد كرم اللَّهُ هذه الأمةَ وأعزَّها، وأعلى شأنَها، وشرفَها برسالة نبيّنا محمد ﷺ حين نزل عليه أمينُ السماءِ والأرضِ جبريلُ ـ عليه السلام ـ لأول مرة بأول لفظٍ قرآني ﴿ٱقْرَأْ﴾ يُحيي به القلوبَ من موات، ويوقظ العقول من سبات، فكانت القذيفةَ الأولى التي انطلقت نحو الأمية لإبادتها والقضاءِ عليها.

﴿ٱقْرَأْ﴾ شعارُ أمةِ الإسلام، تحمل إيماءً بأن الكلمةَ هي ركيزةُ الدعوةِ، وعُنوانُ قوةِ الأمةِ وعزتِها، ودليلُ رفعتِها وحيويتِها، ولذا أجدني مع المفكر الجزائري المسلم مالك بن نبي[1] حين يقول:

«الأمةُ التي لا تقرأ تموتُ قبلَ أوانِها»

إن كلمة «القرآن» مشتقة من «قرأ» بمعنى (تلا) والقراءة تعني التلاوة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[2] (أي فاتبع قراءته)، ثم أصبحت كلمة (القرآن) عَلَماً على كتاب الله، المنزل على رسول الله ﷺ.

كما أقسم الله تعالى بالقلم، ورفع شأنه في ثاني سورة من سور التنزيل العزيز حين قال: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾[3].

وهكذا كان النبيُّ الأميُّ الكريمُ في هذه الأمةِ الأمية أولَ من مجّد القلم، وأشاعَ الكتابةَ، ومحا الأميةَ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) مالك بني نبي: مفكر وفيلسوف جزائري (١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م).
(٢) القيامة: (١٧، ١٨).
(٣) القلم: (١).

﴿وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[1].

وما ألطفَ قولَ الشاعرِ:

إذا افتخرَ الأبطالُ يوماً بسيفهمُ وعدُّوه مما يُكسبُ المجدَ والكرمْ
كفى قلمُ الكتابِ مجداً ورفعةً مدى الدهرِ أن اللَّهَ أقسمَ بالقلمْ

هكذا تكون القراءة والكتابة صنوين، متلازمين تلازم الروح للجسد لا تنفك إحداهما عن الأخرى.

فوائد القراءة:

للقراءة فوائدُ كثيرةٌ، ووظائفُ جمةٌ لا نستطيع حصرَها ولكن يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١ ـ أنها مع شقيقتها الكتابةِ تكونان مفتاحاً للعلم.

٢ ـ أنها من أقوى الأسبابِ لمعرفة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعبادتِه وطاعةِ رسوله ﷺ.

٣ ـ أنها من أقوى الأسبابِ لعمارة الأرض والوصولِ إلى اكتساب المهارات ومعرفة الفنونِ والصناعات النافعة والمفيدة.

٤ ـ أنها سبب لمعرفة أخبار وأحوال الأمم الماضية والاستفادة منها، فالتاريخ شعاع من الماضي يُضيء لنا الحاضر والمستقبل.

---

(١) الجمعة: (٢).

وصدق القائل:

مـن لـم يـعِ الـتـاريـخَ فـي صـدْرِه   لـم يـدْرِ حُـلـوَ الـعـيـشِ مـن مُـرّه
ومن وعى أخبارَ منْ قد مضى   أضـاف أعـمـاراً إلـى عـمـره

٥ ـ أنها سبب لاكتساب الأخلاقِ الحميدةِ، والصفات الطيبةِ، والآدابِ العالية، والسلوك المستقيم، فيسير المسلم على هدىً وبصيرة.

دعاؤه ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[1] شعاره ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾[2].

٦ ـ أنها سبب لرفعة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنها من أسباب العلم الذي يَحْصُلُ به صاحبُه على الأجر العظيم والمثوبة، والله يقول: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[3].

٧ ـ أنها سبب قوي لمعرفة مكائد أعداء الإسلام والمسلمين من الكفرة والملحدين والفرق الضالة، ودحض آرائها، والحذر منها.

كما قال القائل:

عرفتُ الشَّرَّ لا للشرِّ لكن لتوقيه   ومن لا يعرف الشرَّ جديرٌ أنْ يقعْ فيه

٨ ـ أنها سبب للأُنْسِ والترويح عن النفسِ واستغلال وقت الفراغ بما ينفع، وهي غذاءٌ للعقلِ والروح معاً. وقد أحسن الشاعر حين قال:

وخيرُ جليس المرء كُتْبٌ تُفيده   عـلـومـاً وآدابـاً كـعـقـل مـؤيـدِ

---

(١) الفاتحة، (٦).

(٢) الأنعام: (١٥٣).

(٣) المجادلة: (١١).

٩ ـ أنها تجعل القارىء يعيش مع الناس جميعاً أينما كانوا وأينما ذهبوا مخترقاً فوارق الزمان والمكان. فالقراءة سياحةٌ للعقل البشريِّ بين رياض الحاضر وآثار الماضي، وآمال المستقبل.

١٠ ـ في القراءة ينابيعُ صافيةٌ لخبرة كل مجرب يفيض بالهدى والرشاد، والنصح والتوجيه والمعرفة.

١١ ـ القراءة تنقلنا من عالم ضيق محدود الأفق إلى عالم آخر أوسع أفقاً، وأبعد غاية.

١٢ ـ بالقراءة تستطيع أن تُكوِّن مع الكُتَّاب والعلماء والمفكرين صداقةً تحس بفضلها وتشعر بوجودها. فالقارىء أخذ من صديقه المؤلف أحسنَ وأرقى وأجملَ ما عنده؛ لأن المؤلفَ لا يكتب في كتابه إلا كل ما فيه فائدةٌ أو خبرة أو نفعٌ أو توجيه.

١٣ ـ بالقراءة يُعرَف تفسيرُ كلام الله تعالى، فتُستَخْرج كنوزُه وعلومُه وأحكامُه، ويُعلَمُ حلالُه وحرامُه، ومحكَمُهُ ومتشابهُه، وأمثالهُ وبشارَاتُه، وإنذاراتُه وعِظاتُه وقَصَصهُ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾(١) أي شرفكم وعزتكم.

١٤ ـ بالقراءة تعرف سيرة رسول الله ﷺ وسنته وأخلاقه التي لنا فيها عظة وعبرة ولنا فيها أسوة حسنة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾(٢).

---

(١) الأنبياء: (١٠).
(٢) الأحزاب: (٢١).

يقول زينُ العابدين عليُّ بنُ الحسين ـ رضي الله عنهما ـ: «كنا نُعلِّم مغازيَ رسولِ الله ﷺ كما نُعلِّم السورةَ من القرآن»[1] ويقول الإمام الزهري: «في علم السيرة علمُ الدنيا والآخرة».

فمن هذه السيرة نتعلم ونستلهم القدوةَ من رسول الله ﷺ، هذه القدوة التي لها دور كبير في تربية النشءِ، وحفظِ الشبابِ، وبناءِ مستقبل الأمة.

١٥ ـ القراءة في الكتب نِعْم الرفيقُ على الغُربةِ ووحشتِها، فيوصي أحدهم أخاه المسافرَ بقوله: «استعِنْ على وَحشةِ الغُربةِ بقراءةِ الكتب، فإنها ألسنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة»، وما ألطف قول الشاعر:

نِعمَ المحدثُ والرفيقُ كتابُ ... تلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مفْشياً للسر إن أوْدَعْتَهُ ... وتُنالُ منه حكمةٌ وصوابُ

وقال آخر:

ولكل طالبِ لذةٍ متنزَّهٌ ... وألذُّ نزهةِ عالمٍ في كُتْبِهِ

لقد كانت الفكرة قديماً أن الطفلَ يذهبُ إلى المدرسة ويتعلم، ليصل إلى مرحلة القدرة على «القراءة»، ومعنى هذا أن القراءةَ كانت «غايةً» مقصودةً لذاتها، ثم تطورت هذه الفكرة، وأصبحت غايةُ التربية أن يذهب الطفل إلى المدرسة، فيقرأ «ليتعلم»، ومعنى هذا أن القراءةَ أصبحت «وسيلةً» لكسب المعلومات وزيادة الخبرات.

---

(١) «السيرة النبوية، المسمّى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» تأليف محمد بن عبدالله بن يحيى بن سيد الناس (٦٧١هـ ـ ٧٣٤هـ).

والقراءة عملية دائمة للفرد، داخل وخارج المدرسة، وهي عملية العمر، إنها حاجةٌ لازمةٌ لحياة الفرد النامي والمجتمع الراقي، يحتاجها الفرد في جميع أدوار حياته. ولعلها أعظمُ ما لدى الإنسان من مهارات، فهي أساسُ كل عملية تعليمية، ومفتاحٌ لجميع المواد الدراسية، وربما كان ضعفُ الدارس في القراءة سبَبَ إخفاقه في المواد الأخرى، أو إخفاقه في الحياة. فالذين يكرهون القراءة يحصُلون على أقل القليل من التعليم حتى ولو كانوا في أفضل المدارس.

والقراءة وسيلة فذة فريدة للنهوض بالمجتمع، ووسيلةٌ للتفاهم والترابط بين عناصر المجتمع، وأداةٌ معينةٌ في تجويد النطق وتحسين الأداء. وتمثيل المعنى، فهي وسيلةٌ لكسب المهارات القرائية المتنوعةِ كالسريعة العاجلة (المسحية)، أو الاستعراضية، أو القراءة المتعمقة أي بفهم.

والقراءة وسيلة إلى تنمية الميل للقراءة، وزيادة التحصيل، والتعبير الصحيح، والمتعة والتسلية، وتهذيب السلوك والذوق.

أنواع القراءة:

وضع العلماء للقراءة عدة تقاسيم لاعتبارات مختلفة منها[1]:

١ ـ أنواعُها من حيث الشكلُ وطريقةُ الأداء.

٢ ـ أنواعُها من حيث أغراضُ القارىء.

---

(١) الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية... ص٥٨، ٥٩، عبدالعليم إبراهيم، دار المعارف.

أولاً: أنواع القراءة من حيث الشكلُ وطريقةُ الأداء: وهي نوعان:

١ ـ **القراءة الصامتة أو السرية**: فكرية لا دخلَ للصوت فيها ولا همسَ، ولا تحريكَ لسانٍ أو شَفة، ولكن بالعين فقط، وتستخدم لقراءةِ القصص والمجلات والصحف والكتب والرسائل و. . .

٢ ـ **القراءة الجهرية**: أي التعبير الشفوي بنطق الكلمات والرموز والجهر بها، وهي أحسنُ وسيلةٍ لإتقان النطق، وسبيلٌ للكشف عن أخطاء التلاميذ في النطق، وهي طريقةٌ لتشجيع التلاميذ الذين يتسمون بالجبن والخجل، كما أنها تعد التلاميذ للمواقف الخَطابية، وتستخدم لقراءة قطعةٍ أو مقتطفات للاستدلال بها، أو لقراءةِ تعليمات أو إرشاداتٍ، أو لإفادة الآخرين، أو قراءة محاضرة أو قطعٍ شعرية للاستمتاع بموسيقاها.

ثانياً: أنواع القراءة من حيث أغراضُ القارىء: وهي ستةُ أنواع:

١ ـ **القراءة السريعة العاجلة (المسحية)**: وتعني إلقاء نظرةٍ سريعةٍ على فقرة أو موضوع أو صفحة ما، بحثاً عن كلمة معينة أو اسم معين أو رقم معين، كقراءة الفهارس والأسماء والعناوين، ودفتر الهاتف، والمعاجم. (وهذا النوع من المهارات المهمة في الحياة اليومية).

٢ ـ **القراءة الاستعراضية**: (لتكوين فكرة عامة عن موضوع متسع) كقراءة تقرير أو كتاب جديد، وهذا النوع يعد من أرقى أنواع القراءة، وذلك لكثرة المواد التي ينبغي أن يقرأها الإنسان في هذا العصر وهو عصر الانفجار المعرفي، ويمتاز هذا النوع من القراءة بالوقفات في أماكن خاصة لاستيعاب الحقائق، وبالسرعة مع الفهم في أماكن أخرى.

٣ ـ **القراءة التحصيلية** أي (القراءة المتعمقة أو القراءة بفهم): ويقصد بها الاستذكار والإلمام، وتستلزم هذه القراءة التريُّثَ والأَناةَ، لفهم المسائل إجمالاً وتفصيلاً وعقدِ الموازنة بين المعلومات المتشابهة وغير ذلك.

٤ ـ **قراءة جمع المعلومات**: وفيها يرجع القارىء إلى عدة مصادر يجمع منها ما يحتاج إلى معلومات معينة، كأن تعد رسالةً أو بحثاً، ويتطلب ذلك مهارتي التصفح السريع والتلخيص.

٥ ـ **قراءة للمتعة الأدبية والرياضة العقلية**: وهي قراءة خالية من التعمق والتفكير، وقد تكون متقطعة، كقراءة في الأدب والفكاهات والطرائف.

٦ ـ **القراءة النقدية التحليلية**: كنقد كتاب أو أي إنتاج عقلي للموازنة بينه وبين غيره، وهذا نوع يحتاج إلى مزيد من التأني والتمحيص.

ويهمنا ـ بعد معرفة هذه الأنواع ـ أن نقول: إن الطالبَ محتاجٌ إليها كلها أو معظمها، فلابدّ من التدريب على كل هذه المهارات من القراءات.

كيف تتقن فن القراءة السريعة؟

ليس غريباً أن نقول إن أسلوب قراءتك سيرسم ملامح مستقبلك، فإن مواكبة أحدث المعلومات يمكن أن تكون مِفْتَاحَ النجاح الشخصي والمهني، فكلما حسَّنت مهاراتك في القراءة كلما استمتعت بها.

ولكي تحصل على أقصى فائدة من برنامج القراءة السريعة، إليك ما يوصي به العلماء[1].

١ ـ افحص فهرس المحتويات:

❖ انتبه جيدًا لهذا الفهرس.

❖ اقرأ الفهرس بعناية لتفهم ما يحتويه الكتاب من مواد، وكيفية ترتيبها.

❖ تأكد من فهمك لهيكل الكتاب قبل أن تبدأ في القراءة.

٢ ـ لا تنس مقدمة الكتاب:

❖ اقرأ المقدمة جيداً، فغالباً ما تكون (المقدمة كاشفة).

❖ ركز على ما تحويه من معلومات.

❖ لاحظ المعلومات الجديدة التي تجمعها عن الكتاب من مقدمته.

٣ ـ تصفح الكتاب:

❖ مر بسرعة على كل صفحات الكتاب.

❖ انظر إلى ترتيب الفصول والدروس.

❖ لاحظ طريقة إخراج الصفحات.

❖ حدد مواقع أي ملامح مهمة مثل الرسومات التوضيحية والأشكال والملاحق.

---

(١) كتاب (كيف تتقن فن القراءة السريعة).. د.لوري روزاكس.

٤ ـ ضع جدولاً للقراءة السريعة:

❖ حدّد وقتاً معينًا يوميًا للقراءة.

❖ مارس القراءة في نفس الوقت يوميًا، إن أمكن.

❖ لا تنتظر حتى تجعل هذا الوقت آخر الليل؛ لأنك ستكون منهكاً.

❖ حاول الالتزام بالجدول.

وفيما يلي جدول زمني لتتابع مدى تقدمك في القراءة

م	التاريخ	الوقت من الساعة ـ حتى	عدد الصفحات	الموضوعات	مدى التقدم
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
١٠					

أقوال حول القراءة:

❖ أعطني كتاباً واتركني على المريخ، وتأكد أنني سوف أكون أسعد الكائنات. . . فالمعرفة عندي هي الهواء والماء. «د. أحمد زويل».

❖ القراءة للعقل مثلُ التمارين للجسد. «السير ريتشارد ستيل».

❖ إذا قرأت سريعاً جداً أو بطيئاً جداً، لن تفهم شيئاً. «بليز باسكال».

❖ من لا يضيف لقراءته المزيد من عمليات التخطي والتصفح، فإنه لن يكون قد تعلم سوى نصفِ فنِّ القراءة. «آرثر بلفور».

❖ ليس هناك كتبٌ أو أكوام من الأوراق الميتة على الأرفف، بل هي عقول حية يخرج من كل منها صوت من أصوات البشر البعيدة في الزمان السحيق. «جلبرت هايت».

❖ فن القراءة له أهمية قصوى، ويعتمد على عدم الانتباه لأي شيء يحدث مهما كان لجذب انتباه الجماهير «آرثر شوينهور».

❖ الكتب بساتين العلماء، وروضة العقلاء.

❖ الأمة التي لا تقرأ تموت قبل أوانها «مالك بن نبي».

❖ هناك كتب تحتاج للتذوق، وهناك أخرى يجب أن تبتلعها دفعة واحدة، وأخرى تحتاج إلى مضغ وهضم. «فرانسيس بيكون».

❖ إن العرب لا يقرؤون، وإذا قرؤوا لا يفهمون، وإذا فهموا سرعان ما ينسون، ولا يتذكرون! . «موشى ديان».

❖ «الكتب غذاء النفوس» من أقوال المصريين القدماء.

❖ الكتب هي أقصى سلاح ضد التعصب والجهل. «ليندون جونسون».

❖ أحياناً تكون قراءة بعض الكتب أقوى من أية معركة. «هنري والاسي».

❖ الكتب تحكم العالم، أو على الأقل تحكم الأمم التي بها لغة مكتوبة، أما تلك الأمم الأخرى فإنها لا توضع في الاعتبار. «ڤولتير».

❖ المعرفة.. هي محرك التقدم، وعاؤها الكتاب، ومفتاحها القراءة التي هي كنز الحياة[1].

كيف تطور قدرَتَك القرائيةَ في عصر الانفجار المعرفي؟

١ - فكر في النجاح أولاً، يمكنك أن تقرأ بكفاءة عالية إذا أردت ذلك.

٢ - جهز مكاناً خاصّاً للقراءة حتى تقرأ بصورة أفضل، وتركيز أحسن.

٣ - إذا كنت تقرأ من شاشة الكمبيوتر تأكد أن هذا سيكون مكان عمل مريح جدّاً، وخالياً من الزحام والضوضاء أو أي عوامل تَشَتت أخرى.

٤ - اختر المقعد السليم المريح الذي يساعدك على الجلوس في وضع معتدل.

٥ - حدد غرضَكَ من القراءةِ وركزْ عليه حتى تحصل على ما تريد سريعاً.

---

(١) انظر «القراءة والعلم» لماذا تقرأ؟ ص٩٨. بتصرف. د. إسماعيل صبري عبدالله. دار المعارف، مصر.

٦ ـ ضع ما تقرأ بين يديك بشكل مريح بحيث تكون المسافة بين السطور العليا وعينيك هي نفس المسافة بين السطور السفلى وعينيك.

٧ ـ تفاعل مع القراءة: فالقراءة عملية تفاعلية بين الصفحة والعين والعقل. وأجر حوارًا مستمرًا مع القراءة.

٨ ـ اقرأ في مصدر ضوء جيد مناسب حتى لا تعرض البصر للإرهاق.

٩ ـ اجعل درجة حرارة الحجرة مناسبة.

١٠ ـ افحص عينيك سنوياً، والتزم بتعليمات طبيب العيون.

١١ ـ خذ فترات راحة كافية حتى يرتاح الجسم والمخ، وتجدد الطاقة من جديد، «**فإن لبدنك عليك حقاً**»[١].

الوصايا العشر للقراءة مع الفهم[٢]:

* إن القراءة المؤثرة هي القراءة بفهم وبسرعة في نفس الوقت، ولكي تتعلم القراءة مع السرعة والفهم عليك أن تقرأ بعقلك وليس بعينيك، وإليك هذه الوصايا:

١ ـ قرر وتوقع أن تتذكر ما تقرؤه.

٢ ـ تذكر أن القراءة هي التفكير مع المؤلف.

٣ ـ ركز أثناء القراءة ولا تفعل أي شيء آخر.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كتاب (ثلاثون طريقة لتحسين قدراتك) تأليف هاري شو، ترجمة رفيق مازن.

٤ ـ اقرأ بسرعات متعددة. . . أبطىء أو أسرع حسب صعوبة أو سهولة المادة المقروءة.

٥ ـ اكشف عن الكلمات التي لا تعرف معناها.

٦ ـ ابحث عن التلميحات والمعاني الغامضة.

٧ ـ ادرس الهوامش والأشكال والخرائط والرسوم البيانية، والصور المصاحبة.

٨ ـ ابحث عن الأفكار الرئيسة، وركز على عناوين الفصول والجمل الخاصة بالموضوع. (فإن القراءةَ ليست في المقام الأول مسألة كلمات وجمل بل هي تهتم بالأفكار، فابحث عنها).

٩ ـ في أثناء قراءتك، اصنع مذكراتٍ عقليةً أو مدونةً في مُفكِّرَتك.

١٠ ـ مارس التلخيص أو الشرح باستمرار بالنسبة لكل فِقْرة أو موضوع رئيس بعد الانتهاء من قراءته، وافعل نفس الشيء بالنسبة لمقرر دراسي كامل.

كيف تقرأ كتاباً؟

للكتاب ثلاثةُ مداخل، إذا تجاوزها القارىء، واتجه مباشرة إلى ما يعرضه الكتاب من موضوعات، فإن هذا التجاوز لن يكون عوناً لك على الإحاطة بالكتاب إحاطة سريعة، أما إن دخلت إلى الكتاب من خلالها، فقد أحسنت ابتداءَ علاقتَك بالكتاب[1].

❖ **المدخل الأول: هو «عنوان الكتاب»** وكلمة «العنوان»

(١) كتاب (كيف تقرأ كتاباً)؟ (بتصرف) أبو بكر عبدالعليم. . . مكتبة ابن سينا/ القاهرة.

تضبط بضم العين، وكسرها: وعنوان الشيء هو ما نستدل به على هذا الشيء[1].

فعنوان المنزل هو الدليل الذي يقودنا إلى المنزل، وكذلك عنوان الكتاب هو دليل الكتاب، وهو أول المداخل إلى معرفة المضمون العام الذي يحويه الكتاب، وهو النافذة التي يطل منها القارىء على مجمل الكتاب.

❖ **المدخل الثاني: هو «فهرس الكتاب»**[2].فهو نافذة أكثر اتساعاً من العنوان، أو هو الكتاب في صورة مصغرة؛ لأنه مجمع عناوين الموضوعات وإذا قلنا إن العنوان دليل مجمل، فإننا نستطيع أن نقول إن الفهرس دليل يحمل بعض التفصيل، وكلاهما سبب في القرب من مضمون الكتاب.

❖ **المدخل الثالث: هو «مقدمة الكتاب»** وكما يقولون «المقدمة كاشفة» فهي أكثر سعة من المدخلين السابقين؛ لأنها إما أن تكون:

- بياناً لما قام به المؤلف في عرض كتابه.
- كشفاً عن الأسباب الداعية إلى تأليف الكتاب.
- عرضاً خاطفاً لموضوعات الكتاب في إشارات عاجلة مضيئة.
- بياناً للأسلوب الذي اتبعه المؤلف.

فالمقدمة عامل من عوامل تقريب الكتاب إلى ذهن القارىء، وعامل من عوامل إحداث العلاقة بينهما، وهي أيضاً

---

(١) انظر المعجم الوسيط، مادة «عنون».

(٢) الفهرس (بكسر الفاء والراء) كلمة أصلها فهرست وهي كلمة فارسية، ومعناها القائمة التي توضع أول الكتاب أو آخره، تذكر فيها الموضوعات. (المصدر نفسه).

مرحلة من مراحل التدرج لتهيئة ذهن القارىء لقراءة الكتاب[١].

٢ - حسن الاستماع والإنصات:

يقول الحكماء: إن أول العلم الصمت، والثاني: الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس نشره.

إن معرفة الدور الذي يؤديه الاستماع في نمو الحياة الإنسانية ونقل الثقافة قبل أن تظهر الكتابة يؤكد ما للاستماع من دلالة اجتماعية وتاريخية.

ومما يبرهن على أهمية الاستماع أن الطفل يتعلم التحدثَ بطلاقةِ اللغةَ التي يسمعها، بصرف النظر عن جنسه أو قوميته.

وقد كشفت الدراسات الحديثة أن طلابَ المدرسة الثانوية يخصصون في بعض البلاد ٤٥٪ من الوقت للاستماع.

وبرهنت دراسة أخرى أن الإنسان العادي يستغرق في الاستماع ثلاثة أمثال ما يستغرقه في القراءة[٢]، ولهذا يعد الاستماع أمرًا مهمًا في العملية التعليمية؛ لأن الطلاب يستمعون إلى شرح معلمهم ويتابعون إجابة زملائهم، كما يستمعون إلى الندوات والمحاضرات والخطب.

لذا يجب أن نبين مفهوم الاستماع، وما الفارق بين السماع والاستماع؟ وبين الاستماع والإنصات؟.

مفهوم الاستماع:

تعد عملية الاستماع إحدى القنوات التي تمر فيها

---

(١) كيف تقرأ كتاباً؟ بتصرف.

(٢) أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية... فتحي يونس، محمود الناقة، نقلاً عن مجلة المعرفة العدد (٥٠)، ص٧٠.

المعلومات إلى المستمع، فهي من المهارات الرئيسة في حياتنا، وهي من وسائل التعلم التي تساعد المتعلم على تلقي المعلومات، ولهذا فإن الاستماع «يعني الإنصات، والفهم، والتفسير والنقد».

وفترة الاستماع تعد فترة حضانة لبقية المهارات اللغوية لدى الطفل إذ إن المتحدث يعكس في حديثه اللغةَ التي يستمع إليها في البيت والبيئة.

كما أن أداءَ المتحدث ولهجتَه وطلاقتَه تؤثر في المستمع وتدفعه إلى محاكاة ما استمع إليه[١].

والاستماع هو الأساس في التعلم اللفظي في سنوات الدراسة الأولى، والمتخلف قرائيّاً يتعلم من الاستماع أكثر مما يتعلم من القراءة.

والاستماع يعد أحد فنون اللغة الأربعة، ويأتي في المرتبة الأولى، ويليه الحديث ثم القراءة ثم الكتابة. ويرى بعض المربين أن الاستماع نوع من القراءة؛ لأنه وسيلة إلى الفهم وإلى الاتصال اللغوي بين المتكلم والسامع، فشأنه في ذلك شأن القراءة التي تؤدي إلى هذا الفهم.

وإذا كانت القراءةُ الصامتة قراءةً بالعين، والقراءةُ الجهرية قراءةً بالعين واللسان، فإن الاستماع قراءةٌ بالأذن، تصحبها العمليات العقلية التي تتم في كلتا القراءتين الصامتة والجهرية[٢].

---

(١) تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح ١٩٨٨م. . محمود أحمد السيد.

(٢) الموجه الفني لمدرسيّ اللغة العربية. عبدالعليم إبراهيم. دار المعارف.

السماع والاستماع والإنصات كلمات ترددها الألسنة كثيراً ولكن: ما الفارق بين كل منها؟

السماع: مصدر سمع يعني مجرد السماع لأي صوت سواء كان بإرادة السامع أم بغير إرادته، من خلال الأذن، وهو شيء فطري لا يحتاج لمهارات خاصة، فالإنسان يسمع في حياته اليومية أصواتاً كثيرة ولكنه لا يأبه بها.

الاستماع: عملية إنصات وإدراك للإشارات أو الألفاظ المنقولة عن طريق الأذن وفهمِها وتحليلِها وتفسيرِها ونقِدها، وتقويمِ الأفكار والمعاني التي تثيرها الرموز المتحدَّث بها[1].

فالاستماع مهارةٌ أعقدُ من السماع؛ لأنه عملية يعطي فيها المستمع اهتماماً خاصاً وانتباهاً مقصوداً، فالاستماع يكون موجَّهاً، أما السماع فلا يكون موجَّهاً.

الإنصات: هو تركيز الاهتمام إلى ما يريد الإنسان أن يسمعه من أجل هدف محدد يريد تحقيقه، والفارق بين الاستماع والإنصات فارق في الدرجة، فالإنصات تركيز وتدبر وإمعان إلى ما يسمعه الإنسان من أجل هدف ما.

الاستماع: شرط من شروط الإنصات ومرحلة من مراحله، والاستماع يتم بواسطة الأذن، بينما الإنصات يتم من خلال العقل إلى جانب الأذن، فالإنصات أعم وأشمل من الاستماع.

ولهذا قال الله ـ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[2].

---

(١) طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية... محمود خاطر وآخرون.

(٢) الأعراف: (٢٠٤).

أهمية الاستماع:

هو الوسيلة التي يتصل بها الإنسان في مراحل حياته الأولى بالآخرين، وعن طريقه يكتسب المفردات ويتعلم أنماط الجمل والتراكيب، ويتلقى الأفكارَ والمفاهيم، وعن طريقه أيضاً يكتسب المهاراتِ الأخرى للّغةِ تحدثًا وقراءةً وكتابةً.

والاستماع الجيد شرط لحماية الإنسان من أخطاء كثيرة تهدده، وهو عمادُ كثير من المواقف التي تستدعي الإصغاءَ والانتباه، كالأسئلة والأجوبة، والمناقشات والأحاديث، وسرد القصص والخطب، وفيه تدريب على حسن الإصغاءِ، وحصرِ الذهن، ومتابعةِ المتكلم، وسرعةِ الفهم، وللاستماع أهمية قصوى في عملية التعليم أكثر من القراءة؛ لأن الكلمةَ المنطوقةَ وسيلة لنقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل آخر.

ونظرًا لعدم التدريب على مهارة الاستماع نجد كثيرًا من المتعلمين يستمعون ولكنَّ قدرتَهم على الفهم ضعيفة، فهم قادرون على إدراك الأصوات وإدراك متابعة الأصوات دون فهم أو تفسير لها.

❖ ولأهمية الاستماع في العملية التعليمية فقد أجريت بحوثٌ كثيرةٌ في هذا المجال، ومن ذلك بحث استطلع رأيَ المعلمين في نسبة ما يتعلمه الأطفال عن طريق الاستماع، وانتهى الباحثُ إلى أن الأطفالَ كما يعتقد المعلمون يتعلمون عن طريق القراءة بنسبة (٣٥٪) من مجموع الوقت الذي يقضونه في التعلم.

بينما يتعلمون عن طريق الكلام (٢٣٪) من مجموع هذا الوقت.

ويتعلمون عن طريق الاستماع (٢٥٪) من هذا الوقت.

ويتعلمون عن طريق الكتابة (١٧٪) من هذا الوقت[١].

❖ وقد ثبت أيضاً من دراسة أخرى أن الإنسان العادي يستغرق في الاستماع ثلاثةَ أمثال ما يستغرقه في القراءة، كما وجد أن الفرد الذي يستغرق (٧٠٪) من ساعات يقظته في نشاط لفظي يتوزع عنده هذا النشاط بالنسبة المئوية التالية: (١١٪) كتابة، (١٥٪) إلى (٣٢٪) تحدثاً، (٤٢٪) استماعاً.

❖ بل صور أحد الكُتَّاب العلاقةَ بين مهارات اللغة من حيث ممارسة الفرد لها قائلاً:

إن الفرد العادي يستمع إلى ما يوازي كتاباً كل يوم.

ويتحدث ما يوازي كتاباً كل أسبوع.

ويقرأ ما يوازي كتاباً كل شهر.

ويكتب ما يوازي كتاباً كل عام[٢].

❖ إن إتقان فن الصمت والاستماع مكافئ وموازٍ لفن الحديث والتكلم، وأحدهما يتمم الآخر، وكلاهما وجهان لعملة واحدة فهما أخذ وعطاء، ولكي تفهم؛ عليك أن تستمع، أو **استمع لتفهم**.

إضافة إلى أن فن الصمت يكسب المهابة والوقار، ويهيئ الأجواءَ الطيبةَ للمناقشة، وبه تتلاقح الأفكار، وصدق القائل:

الصمتُ زينٌ والسكوتُ سلامةٌ   فإذا نطقْت فلا تَكُنْ مكْثارا

(١) مجلة المعرفة ـ العدد (٥٠)، ص٧١. مقال: محمد بن شديد البشري.
(٢) أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، ص١٦٧، ١٦٨.

❖ والاستماع أدب شرعي، ولقد أشار القرآن الكريم في مواطن شتى إلى ذلك، بل أمر الله تعالى أنبياءه ـ ابتداءً ـ فقال مخاطباً سيدَنا موسى عليه السلام: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[2] أي إنما يستجيب للإيمان الذين يسمعون سماعَ قبولٍ وإصغاء.

ومما يدل على أن حسنَ الاستماع والإنصات ـ كما يجب ـ قد مدحه الله في كتابه حيث قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾[3] ولقد نعى الله على فئة من الناس أغلقوا آذانَهم، وعطلوا هذا الجهاز فلم يستخدموه، وسدوا تلك النافذة فلم يفتحوها للحق والهداية، فعاشوا أضل من الأنعام لايفقهون ولا يتدبرون. ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[4].

❖ وكان أولَ ما طلبه رسول الله ﷺ من الناس في خطبة الوداع الإنصاتُ والاستماعُ، فعن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**واستنصِتِ الناسَ**»[5].

❖ روي عن وهب بن مُنبه أنه قال: «من أدبِ الاستماعِ: سكونُ الجوارح، وغضُّ البصر، والإصغاءُ بالسمع، وحضورُ العقل، والعزمُ على العمل».

---

(١) طه: (١٣).
(٢) الأنعام: (٣٦).
(٣) الزمر: (١٨).
(٤) الأعراف: (١٧٩).
(٥) متفق عليه.

❖ وقال سفيان بن عيينة: «أولُ العلم: الاستماع، ثم الفهمُ، ثم الحفظ، ثم العملُ، ثم النشر. أي أن مراتبَ العلم خمسٌ: سماعُه ثم عقْلُهُ ثم تعاهدُه، ثم العملُ به، ثم تبليغهُ».

❖ وقال الخطيب البغدادي - رحمة الله عليه -: «أولُ ما ينبغي أن يستعمله الطالب: شدةُ الحرص على السماع، والمسارعة إليه، والملازمة للشيوخ» أي للمعلمين والأساتذة[1].

❖ وقال الحسن البصري - رحمه الله -: «ما أحسنَ الرجلَ ناطقاً عالماً، ومستمعاً واعياً، وواعياً عاملاً»[2].

❖ وقال الضحاك بن مزاحم - رحمه الله تعالى -: «أولُ باب من العلم: الصمتُ، والثاني: استماعُه، والثالث: العملُ به، والرابع: نشرُه وتعليمهُ».

وقال الأصمعي - رحمه الله تعالى -: «سمعتُ أعرابياً يقول: لا ينتفع الرجل بالقول وإن كان بليغاً مع سوء الاستماع»[3].

فالإصغاء بجميع الحواس مهارةٌ يجب ممارستُها: لأنها أساسية للتعلم.

❖ وقيل: مِفتاح العلْمِ ومصباحُه: حسنُ الإصغاءِ، وحسنُ السؤالِ.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١٨٢/٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

❖ وقال سيدُنا الحسنُ بنُ علي ـ رضي الله عنهما سبطُ النبيّ ﷺ ـ لابنه «يا بُنيَّ إذا جالستَ العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تتكلم، وتعلم حُسن الاستماع، كما تتعلم حُسن الصمتِ، ولا تقطعْ على أحد حديثاً وإنَ طال حتى يُمْسك»[1].

❖ وقال عليُّ بنُ أبي طالب ـ كرّم اللَّهُ وجهه ـ: «إذا تمَّ العقْل نقُص الكلام».

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: «أنصفْ أذنيْك من فيك، فإنما جُعلت لك أذنان وفمٌ واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم».

❖ وقيل: مجلسُ العقلاء لا يتحدث فيه إلا واحدٌ.

❖ جاء في (مِفتاح دارِ السعادة) لابن القيم، رحمه الله «استعينوا على الكلامِ بالصمت، وعلى الاستنباطِ بالفكرة».

❖ ويقول الدكتور أحمد زويل: الإنصاتُ نعمةٌ من نعم الله، وحسنُ الإنصاتِ فضيلة[2].

كما أن حسن الاستماع يعطي قوةً للمتكلم، كما يقول الإمام الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) «حسن الاستماع قوةٌ للمحدِّث».

❖ ولنتذكر قول الحبيب ﷺ: **«مَنْ صَمَتَ نجا»**[3].

---

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، ص٩٦.

(٢) أحمد زويل العبقري العربي، صاحب نوبل، لمحمد صديق المنشاوي.

(٣) حديث صحيح رواه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد ١٥٩/٣، ١٧٧ وغيرهما.

٣ ـ كتابةُ العلمِ وتوثيقُه:

إن القلمَ نعمة من الله عظيمة، ولولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش. فلم تقم حضارة في الدنيا إلا وكان القلم لسانَها الذي ترصد به كل صغيرة وكبيرة.

وسلفنا الصالح ما كانوا يسمعون شيئاً إلا كتبوه خشية أن يضيع منهم، فإن آفةَ العلم النسيان، وهم بذلك يطبقون وصية الإمام الشافعي حين خرج على أصحابه وهم مجتمعون فقال لهم: «اعلموا رحمكم الله أن هذا العلم ينِدُّ كما تنِد الإبل، فاجعلوا الكتبَ له حُماة، والأقلامَ عليه رعاة».

❖ ولقد حث الله ـ عزّ وجلّ ـ في قرآنه على استخدام الكتابة في المعاملات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾[1].

وذكر ابن إسحاق أن نبيَّ الله إدريسَ عليه السلام ـ في العبرية اسمه (خنوخ) وفي العربية (أخنوخ) ـ أولُ من خط بالقلم، وهو الذي ذكره الله في كتابه الخالد ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾[2].

وفي القرآن الكريم أيضاً أقسم الله ـ عزّ وجلّ ـ بأداة الكتابة وهي القلم في ثاني سورة قرآنية من حيث التنزيل، قال تعالى:

---

(١) البقرة: (٢٨٢).

(٢) مريم: (٥٦، ٥٧).

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾[1] بل ذكر الله تعالى القلم في أول سورة نزلت على الحبيب المصطفى وهي سورة (اقرأ) في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾[2].

وكانت الكتابة هي الوسيلة إلى نشر القرآن الكريم وتعلمه وحفظه وتدوينه، كما أننا نلاحظ في القرآن كلمات وألفاظاً مثل (كتاب) و(اللوح) و(القرطاس) و(الصحف) وهي ألفاظ لها دلالاتها وإيحاءاتها.

❖ عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: «كنتُ أكتبُ كلَّ شيءٍ أسمعه من رسول الله ـ ﷺ ـ أريد أن أحفظه»[3].

وروى الترمذيّ أن رجلاً من الأنصار شكا إلى النبيّ ﷺ قلةَ حفظه، فقال له: «**استعن بيمينك**»[4] أي بالكتابة وقال ﷺ: «**قيدوا العلم بالكتابة**»[5].

وعن معاوية بن قرة قال: سمعت ابن قرة يقول: من لم يكتبِ العلمَ فلا تعُدوه عالماً[6].

وقال إسماعيل بنُ جعفر بنِ سليمانَ الهاشمي: «عَجبتُ لمن لم يكتب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مَكْرُمة» وتأمل الحكمة التي تقول: «اصطيادُ العلم كتابته».

---

(١) القلم: (١).
(٢) العلق: (٤).
(٣) سنن أبي داود.
(٤) سنن الترمذي.
(٥) حديث حسن له طرق عدة.
(٦) تهذيب جامع بيان العلم، ص٥٣.

وما ألطف ما قاله الشاعر:

العلمُ صيدٌ وكتابتُه قيدٌ ... فقيّدْ صيودَك بالحبالِ الواثقةْ
ومن الحماقةِ أن تصيد غزالةً ... فتتركها بين الغزلان طالقةْ

وقال الضحاك: «إذا سمعتَ شيئاً فاكتبْه ولو في الحائط».

وهناك قول مأثور: «كلُّ خط ليس في القرطاس ضاع، وكل سرّ جاوز الاثنين شاع».

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي، واضع علم العَروض:

«اجعل ما تكتب بيت مال، وما في صدرك للنفقة».

وقال: «حدَّثَنا قوم من حِفْظهم، وحدثنا قوم من كتبِهم، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن».

ويقول أيضاً: «ما سمعتُ شيئاً إلا كتبته، ولا كتبْتُ شيئاً إلا حفظتُه ولا حفظتُ شيئاً إلا انتفعتُ به»(١).

ويقول المثل الإنجليزي: «أبْهَتُ حبرٍ يظل أقوى من أقوى ذاكرة».

❖ لذلك نقول لك: يا طالب العلم؛ ابذل الجهد في حفظ العلم؛ لأنَّ تقييد العلم بالكتاب أمانٌ من الضياع، وقِصَرٌ لزمن البحث عند الاحتياج، فاجعل لك (مذكرة) لتقييد الفوائد والفرائد، والأبحاثِ المنثورةِ التي قرأتَها من هنا أو هناك، ثم رتبْها تحت باب معين أو موضوع معين، مسجلاً اسمَ الكتابِ

---

(١) المصدر السابق.

ورقَمَ الصفحةِ والمجلد، ولْيكُن اسمُ هذه المذكرة (كشكول ما هبَّ ودب) أو (دفتر ما هبَّ ودب).

❖ وعلى طالب العلم أن يجعل قلمَه جاهزاً لكتابة كل ما يراه مفيداً نافعاً.

قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ لطالب العلم:

«وينبغي أن لا تفارقه محبرته وصحفه لئلا يعرض له مَنْ يحدثُه بما يحتاج إلى كتبه»[1].

وقيل: حُكم من يطلب العلم أن لا يفارقَ محبرته ومقلمته، وألاَّ يحْقِرَنَّ شيئاً يسمعه فيكتبه[2].

وقال ابن حماد: «القلم للكاتب كالسيف للشجاع».

وقال العقابيّ: «ببكاءِ الأقلام تضحكُ الصحف».

وقال الضحاك بن عجلان: «يا مَنْ تعاطَى الكتابَة اجمع عند ضربك بالقلم، فإنما هو عقلك تظهره» أي: ركزْ أثناء الكتابة.

❖ القلم أخو اللسان، ونعمة من الرحمن على عباده، ففي القلم البيان كما في اللسان، وبه قِوام المعارف والعلوم، والقلم لسانُ البصر، ومطيةُ الفكر، والكتابة وسيلة للتخاطب بين الناس، وحفظ للتراث على مرّ العصور.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١٨٣/٣).

(٢) المصدر السابق (١٨٤/٣).

وتتجلى حقيقة التعليم في السياق القرآني، بأن قرن الله - عزّ وجلّ - التعليمَ بالقلم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾؛ لأن القلم كما يقول صاحب (في ظلال القرآن): «كان ولا يزال أوسعَ وأعمقَ أدواتِ التعليم أثراً في حياة الإنسان... ولم تكن هذه الحقيقة - إذ ذاك - بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية.

ولكن الله - سبحانه وتعالى - كان يعلم قيمةَ القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية.. في أول سورة قرآنية...»[1].

ثم يقسم الله - سبحانه - في سورة القلم، بنون، وبالقلم، وبالكتابة، والعلاقة واضحة بين الحرف (نون) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم، والكتابة.. فأما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها، وتوجيه إليها، في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعليم عن هذا الطريق، وكانت الكتابةُ فيها متخلفةً ونادرة»[2].

أو كما يقول الرسول ﷺ: «**نحن أمة أميَّةٌ لا نكتب ولا نحسِب**»[3]. حيث عبر عن حال أمته وواقعها يوم أن بُعِثَ ﷺ.

٤ - تعلم اللغات الأخرى:

وإذا كان عند الآخرين علم، وبيننا وبينهم علاقات أو صلات فعلينا تعلم لغات الآخرين؛ لأن رسالة الإسلام رسالةٌ

---

(١) في ظلال القرآن، المجلد السادس، سورة العلق، ص**٣٩٣٩** دار الشروق.

(٢) المصدر السابق، سورة القلم، ص**٣٦٥٤**.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

عالمية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[١] وتعلم اللغات أصبح أمراً حيوياً ومهماً؛ حتى نُبلّغ هذه الشعوب رسالة الإسلام، وهكذا فعل النبيّ ﷺ عندما أمر كاتب وحيه زيدَ بنَ ثابت ـ رضي الله عنه ـ بتعلم اللغة السُّريانية التي يكتب بها اليهود فأتقنها قراءة وكتابة، واستغنى الرسول ﷺ بذلك عن الوسطاء من اليهود، كما أنه كان هناك الكثير من الصحابة ممَّن يعرف الفارسية، والرومية والحبشية[٢].

ولقد أحسن الشاعر صفي الدين الحلّي (٦٧٧ ـ ٧٥٠هـ) حين قال:

بقدر لغات المرء يكثُر نفعه فتلك له عند الملمات أعوانُ
فأقبل على درس اللغات وحفظِها فكلُّ لسان في الحقيقة إنسان

❖ بعد نجاح لينين ـ زعيم الثورة الشيوعية في روسيا وقضائه على حكم القياصرة سنة **١٩١٧**م أراد أن يبنيَ دولة عالمية كبرى، فأدرك أنه لكي يبني هذه الدولة لا بدّ أن يستند إلى العلم، خاصة أنه كان يدرك أن اللغة الروسية سيئة، وتوجد صعوبة شديدة في مواكبتها للعلوم الحديثة حينذاك، وأدرك أيضاً أن ميزانيةَ الدولةِ لا تسمحُ له بإرسال المبعوثين للخارج، فماذا فعل؟.

لقد أصدر لينين قراراً استراتيجياً بإنشاء أكبرِ جهاز في الدولة ألا وهو جهاز لترجمة كل العلوم من مختلف اللغات إلى

---

(١) الأنبياء: (١٠٧).

(٢) الرسول والعلم، ص٤٢.

اللغة الروسية... وسرعان ما تحولت روسيا إلى دولة حديثة قوية ومتقدمة...

❖ يحدثنا التاريخ أن تعلمَ الأوربيين للغةِ العربية ـ لغة العلوم ولغة العصر آنذاك ـ كان من أبرز عوامل قيام النهضة الأوربية وذلك ليتمكنوا من نقل علوم المسلمين إلى بلادهم والاستفادة من الكتب المترجمة تشهد بذلك المستشرقة الألمانية **(زيغريد هونكة)** في كتابها **(شمس العرب تسطع على الغرب)** فتقول:

«... وفي مراكز العلم الأوربية، لم يكن هناك عالمٌ واحد من بين العلماء إلا ومدَّ يديه إلى الكنوز العربية هذه يغرف منها ما شاء الله له أن يغرف، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب، رغبةً منه في سد الثغرات التي لديه.. ولم يكن هناك كتاب واحد، من بين الكتب التي صدرت في أوربا ـ آنذاك ـ إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية...».

وكان رجال الكهنوت في أوربا يترقون في مناصبهم بمقدار ما يحصلون على العلوم الإسلامية، والاستفادة من الكتب المترجمة[1]، تشهد بذلك المستشرقة الألمانية ذاتها.

وحول تعلم اللغات الأخرى جاء في تقرير لجنة رئيس الوزراء الياباني عن **(أهداف اليابان في القرن الحادي والعشرين)** أن العجز عن إتقان اللغة الإنجليزية (لغة التواصل والاتصال) سيجعل اليابانَ تقف مكتوفة الأيدي أمام ثورة تكنولوجيا المعلومات... واعتبر التقريرُ أن اللغةَ الإنجليزيةَ «هي شفْرةُ

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٠٥، من إصدار ومنشورات المكتب التجاري، بيروت.

الدخول إلى عالم تكنولوجيا المعلومات، وأداة التعامل على الشبكة العنكبوتية الإنترنت»[1].

ولكن لا بدّ أن ننوه إلى أنه ينبغي لطالب العلم أن يتقن لغتَه العربيةَ أولاً، حتى لا ينفصل عن هويته وعن قرآنه وعن تاريخه وثقافته.

٥ ـ التعليم المستمر:

لأن الأمم لا تنهض ولا تقوى إلا بالعلم والمعرفة بينما تتخلف وتضعف بالجهل والأمية، ولأنه جدَّتْ تطوراتٌ علميةٌ وتِقْنِيةٌ مذهلة خاصة في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين مثل ثورة العلم والتكنولوجيا، وثورة المعلومات، وثورة الاتصال والفضاء، والحاسوب، والإلكترونيات الدقيقة، والهندسة الوراثية والاستنساخ.. لكل هذا كانت الدعوة إلى التعليم المستمر[2]، أو التعليم مدى الحياة، وهذا ما جعل كثيرًا من دول العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين تجعل «مشروع تعليم الكبار جزءًا رئيسًا في سياسة التعليم المستمر أو التعليم مدى الحياة[3].. ليس هذا فقط، بل جاء في توصيات لجنة منظمة اليونسكو لتطوير التعليم سنة ١٩٧١م ما يلي:

---

(١) سلسلة إضاءات تربوية، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض العدد الأول لسنة ٢٠٠٠م.

(٢) التعليم المستمر: أي التعليم الذي يتصف بالاستمرارية، ولا يقتصر على مرحلة من العمر أو ينحصر في سنوات دراسية نظامية محددة، بل من المهد إلى اللحد.

(٣) الإسلام والتعليم المستمر، أ.د.محمد الدسوقي (مجلة منار الإسلام) سنة ١٤٢١هـ.

«التوصية الثانية عشرة: «ويجب أن يكون النهوضُ بتعليم الكبارِ داخلَ المدرسةِ وخارجَها في مقدمةِ أهدافِ السياسة التعليميةِ في السنوات العشر القادمة»[1].

❖ كما رفعت بعضُ الدول شعاراتٍ تدعو المتعلمين سواء أكانوا في سلك التدريس أم في غيره، للمساهمة في تعليم غيرهم، وبخاصة في تعليم الكبار، ومن بين هذه الشعارات «**الجارُ يُعلّم جارَه، وإن كنت متعلماً فعلِّمْ غيرَك، وإن كنت خلاف ذلك، فتعال فتعلم**» وذلك لتعميم المعرفة بين كل الناس، حيث إن طوفانَ المعارفِ يتدفق ليلاً ونهارًا.

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن المعرفة في العقود الأخيرة من القرن العشرين تتضاعف حجماً كل ثماني سنوات، ومعنى ذلك أن هذا المدى سينخفض إلى النصف في أوائل القرن الحادي والعشرين، وهذا يقتضي المتابعة لكل جديد من العلم والمعرفة، وذلك لمواجهة تحديات العصر، واللحاق بركب التقدم.

بل إن الأمر وصل إلى الاعتقاد بأن المؤهلاتِ العلميةَ التي تمنحها الجامعاتُ في كثير من التخصصات قد لا تُعبِّر بعد عدة سنوات من الحصول عليها عن مستوى علمي له صلته بالواقع وأثره في الحياة، وذلك بسبب الكم الهائل من الأفكار والنظريات والاختراعات التي تَجِدُّ كل يوم، بل كل ساعة.

ولعل هذا ما دعا مؤسسةَ الطاقةِ الذرية الفرنسية إلى إلغاء ما تمنحه من دبلومات لخريجيها بعد مرور خمس سنوات عليها،

---

(١) التعليم المستمر والتثقيف الذاتي، ص٢٢٦، أ. علي بركات.

ولا تعترف بهذه الدبلومات مرة أخرى، إلا بعد امتحان جديد يُثبِت متابعةَ صاحبِ الدبلوم للتطورات العلمية[1].

ولأهمية التعليم المستمر، باعتباره ضرورةً مُلِحةً وبالغةً، وباعتباره أنه يحقق للإنسان الحياةَ التي تليق بكرامته، ومكانته في الكون، لذا أصدرت منظمة اليونسكو سنة **١٩٧٢**م تقريرًا أعده بعض خبراءِ التربيةِ تحت عنوان «**تعلَّم لتكون**»[2] وقد جاء في هذا التقرير «إننا نقترح أن تتبنى البلدان المتقدمة والبلدان النامية على السواء مبدأ التربية المستمرة كفكرة رئيسة في سياستها التربوية في السنوات القادمة»[3].

وفي سنة **١٩٨٧**م عقد في القاهرة المؤتمر القومي لتطوير التعليم، وقد أصدر توصياته التي بلغتْ أكثرَ من مِائةِ توصية، ودعت التوصية الثالثة منها إلى:

«الأخذ بفلسفة التعليم المستمر مدى الحياة بحيث ينعكس في جميع المراحل والتبعيات التعليمية، ويشكل لدى المتعلمين كافةً اتجاهاً أساسيًا، إذ إن هذه الفلسفة أصيلةٌ تعود إلى تراثنا الإسلامي، ويتبناها العالم اليوم، فضلاً عن أنها تشكل ضرورةً ملحةً ليتمكن كل فرد من ملاحقة التطورات والتغيرات السريعة المتلاحقة سواء أكان في جوانب المعرفة أم في شتى نواحي الحياة.

إن التعليم المستمر يخرج بالتعليم إلى الناس في واقع حياتهم.. ويتخذ من البيئة المحيطة فصلَه الدراسيَّ الواسعَ، فيقدم

---

(١) تعليم الكبار، د.محمود قنبر، ص٣٤، دار الثقافة ـ الدوحة.

(٢) أي كيف تفكر وتصبح مواطناً منتجاً.

(٣) التعليم مدى الحياة: المدارس والمناهج في البلاد النامية، وهو تقرير عن الحلقة الدراسية الدولية التي عقدت في هامبورج بألمانيا سنة **١٩٧٤**م.

للناس المعرفة التي يحتاجونها والخبرةَ التي تنقصهم، والمهارةَ التي يرغبون في اكتسابها، إنه يحوِّل التعليم إلى حياة نامية، يصوغها الناس بالعلم والعمل، ويرفع فيها شعاراً جليلاً «**من عرف شيئاً علّمه، ومن جهل شيئاً تعلّمه**»[1].

هذا النمط من التعليم الذي يربط العلمَ بالعمل، والكتابَ بالحياة، والمدرسةَ بالمجتمع.. أي ربط الإنسان بحياته من حيث مواجهةُ كل متغيرات الحياة لتحسينِها والارتقاءِ بها، أقول: إن هذا النمط من التعليم هو المرتقب والمأمول وهو ما تسعى إليه التربية الحديثة؛ لأنه تعليم بلا حدود.

إن من محاسن هذا التعليم أنه يحقق الشموليةَ؛ لأنه يمضي بالإنسان في كل أدوار حياته وكل مراحله التعليمية، فالتعليم المستمر يضم كل أنظمة التعليم، وليس التعليم الرسميُّ مرادفاً للتعليم غير الرسمي، ولكن يُعَد التعليمُ الرسميُّ مقدمةً أو بدايةً أو مدخلاً للتعليم مدى الحياة...

إن التعليم الرسمي أو النظامي مقدمةٌ مهمةٌ وضروريةٌ لغرس اتجاه وعادة التعليم مدى الحياة في أفراد المجتمع؛ لأنه يتيح لكل الناس فرص التعليم، إنه مبدأ لا ينتهي بمرحلة دراسية محددة، وإنما يظل ملازماً لكل فرد.. وبالتالي يتواجد وعي تعلمي لدى الناس ـ كافة ـ منذ نعومة أظفارهم بحيث يظلون طلاب علم في كل مراحل حياتهم، وبهذا يصبح التعليم المستمر مشروعاً حضارياً عامّاً يسهم فيه الجميع، وتسود المجتمعَ ـ عامةً ـ روحُ الابتكارِ والإبداعِ والتجديد.

---

(١) انظر التعليم المستمر والتثقيف الذاتي، ص١٢٢، ١٢٣، بتصرف.

إن مبدأَ التعليم المستمر من المبادىءِ الخالدةِ التي دعا إليها الإسلام، وطبقها المسلمون منذ فجر الدعوة، ودعوةُ القرآن إلى التزود بالعلم دعوة مفتوحة لكل عصر ومصر، كما أن توجيه القرآن للعقل كي ينظرَ ويتدبرَ ويفكرَ ويبدعَ ويطورَ، توجيه دائم لا يعرف حدوداً للزمان أو المكان[1]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2].

❖ وقد قصّ علينا التاريخ نبأ الإمام أحمد بن حنبل حينما رآه الناس يحمل محبرته وقراطيسه، مواظباً على حضور جلسات العلم والدراسة يتعلم فيها كأنه تلميذ، وهو الإمامُ الفقيهُ العالمُ حتى قال كلمته: «**مع المحبرة إلى المقبرة**».

❖ وسُئل أحد الحكماء عن حدّ التعليم فقال: «إن حدّ التعليم هو حدّ الحياة»[3].

❖ وها هو ذا الجاحظ[4] ـ مثلاً ـ أصيب بالفالج (الشلل) وظل به ثماني سنوات ولكنه لم ينقطع عن العلم والتأليف، يَحْيَا ليله ونهاره بين الكتب حتى سقطت، فقضت عليه.

❖ لقد أجمعت كلمة الشعوب والأمم والمنظمات والهيئاتِ

---

(١) لمن يريد التوسع انظر (منار الإسلام) عدد (صفر، وجمادى الأول ١٤٢١هـ) (الإسلام والتعليم المستمر)، (بتصرف).
(٢) يونس: (١٠١).
(٣) تاريخ التربية في الإسلام، د.أحمد شلبي، ص٣٠١.
(٤) الجاحظ: هو عمرو بن بحر، كبير أئمة اللغة والأدب (ت ٢٥٥هـ).

الإقليمية والدولية المعنية في الوقت الحاضر على أهمية التعليم المستمر، فشرعت تُخطط في دأبٍ لتطبيقه ونشره وتعميمه.

هذا النمط من التعليم لا يعارضه الإسلام من حيث المبدأ، بل يحبذ الدعوة إليه، فهو أول من أرسى قواعدَه ومبادئَه. وكان المسلمون هم الرواد في الأخذ بنظرية هذا التعليم، وعنهم نقلت أوربا، فكان ما نقلته نورًا بدد ظلمات العصور الوسطى.

غاية التعليم المستمر عند المسلمين وعند غيرهم:

إن علماء التربية في الغرب لم يقولوا بالتعليم المستمر إلا مع مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، لكن التطبيق الفعلي للتعليم المستمر حدث بعد انعقاد المؤتمر الدولي لتعليم الكبار الذي عقد بمدينة طوكيو باليابان عام **١٩٧٢**م.

❖ أما الإسلام فقد دعا إلى هذا التعليم منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، حين نادى علماء المسلمين بالتعليم مدى الحياة منذ القرنِ الأول الهجري، وطبقوه في حياتهم تطبيقاً كاملاً. وكان من ثمرة ذلك تلك الثروة العلمية الضخمة التي وجهتِ الفكرَ الإنساني نحو التطوير والتغيير والحضارة.

❖ إن الذي حمل علماء التربية في الغرب على المناداة بالتعليم المستمر هو مواجهة التغيرات الحضارية المتلاحقة، فغايتهم تتمثل في مواكبة التطورات العلمية تحقيقاً لمبدأ «**تعلم لتكون**» أي كيف تفكر لتصبح مواطناً صالحاً منتجاً.

❖ إن غاية التعليم المستمر في الفكر التربوي الغربي تنحصر في النفع المادي، ورفاهية العيش، وإيجابية السلوك، ومتابعة التطور والنمو المعرفي.

❖ أما أهداف التعليم المستمر في الفكر التربويّ الإسلامي فإنها لا تجعل النفع المادي، ورفاهية العيش، وإيجابية السلوك غاية في ذاتها بل هي وسيلة لرقي الإنسان وتكريمه ليكون عبداً لله يخشاه، ويُعلي كلمته في الدنيا من أجل الآخرة.

* غاية التعليم المستمر في الفكر التربوي الوضعي خدمة الحياة الدنيا، ولكنه لا يُلقي بالاً للحياة الآخرة.

والمسلم الذي يطلب العلم ويحرص على طلبه من المهد إلى اللحد، يشعر بأنه مهما بلغ في تحصيل العلم يظل منهوماً إلى المزيد منه، فهو لا يشبع أبداً، ولهذا كان دعاؤه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]؛ لأنه كلما حصَّل نصيباً من العلم تطلع نحو نصيب آخر، وأدرك أنه يجهل أكثر مما يعلم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] فلا يسعه إلا مواصلة جهاده في الطلب موقناً بأنه إن لم يفعل ذلك فلن يحتفظ بما حصل عليه من العلم، فطلبه له أشبه ما يكون بمن يسبح ضد التيار، فإذا لم يتابع السباحة ويتقدم إلى الأمام أو وهن أو تكاسل ولم يتابع مقاومة التيار، فلن يتقدم؛ لأن التيار سيدفعه إلى الخلف حتى يرجع إلى نقطة البداية، ويذهب كل ما بذله من جهد سدى، وهكذا العلم يزكو وينمو بالمتابعة والاستمرار، ويخبو ويضمحل بالإهمال والهجران والتوقف[3].

والآثار التي رويت عن علماء المسلمين في طلب العلم

---

(١) طه: (١١٤).

(٢) الإسراء: (٨٥).

(٣) الإسلام والتعليم المستمر، أ.د .محمد الدسوقي.

طوال العمر ـ في جميع التخصصات، وفي كل مكان يلتمس فيه الإنسان ما يزيده معرفة وعلماً ـ أكثر من أن تحصى. ومن هذه الآثار قول القائل:

إذا مرّ يوم ولم أستفِدْ هدىً ولم أكتسب علماً فما هو من عمري

وجاء في كتاب (تعليم المتعلم في طريق التعلم) للإمام برهان الدين الزرنوجي (ت ٦٤٠هـ) أنه ليس لصحيح البدن والعقل عذر في ترك العلم مهما كان عمره.

لهذا تنادي الدراسات التربوية الحديثة، أنه لا بدّ للمدرس من أن يجدّد ويطوّر نفسه بصفة مستمرة تمشياً مع التوجهات والمعلومات والمناهج الحديثة المواكبة لعصر المعلوماتية والانفجار المعرفي، والكمبيوتر، وشبكة الإنترنت، وأن تُجرَى للمعلمين في الميدان دوراتٌ تدريبيةٌ بصفة مستمرة مع تزويد هؤلاء بالمجلات التربوية الدورية والمتخصصة، وإكسابِهم المهاراتِ والقدراتِ اللازمة، للتواصل مع تكنولوجيا التعليم، والتعليم الإلكتروني.

هذا الدور يجب أن تقوم به المدرسة، فالمدرسة الجيدة هي التي تنبت معلماً جيداً وترعاه ليكون معلماً دائم التعلم؛ لأن المعلمَ دائمَ التعلم هو الأساس لإيجاد متعلم دائم التعلم.



الباب الثالث

آداب طالب العلم

١ ـ حسن القصد وإخلاص النية.

٢ ـ البعد عن المعاصي والذنوب.

٣ ـ الدعاء واللجوء إلى الله تعالى.

٤ ـ العمل بالعلم.

٥ ـ عدم الحياء أو الاستكبار في طلب العلم.

٦ ـ الصبر والمثابرة والرحلة في طلب العلم.

٧ ـ الرفقة الصالحة.

٨ ـ الانتفاع بالأوقات.

٩ ـ الحرص على الاستزادة من العلم.

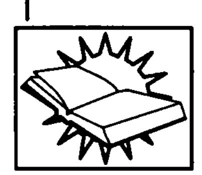
١٠ ـ علو الهمة.

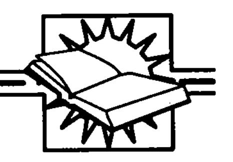
١١ ـ توقير المعلم وإكرامه.

١٢ ـ حسن السؤال.

١٣ ـ مذاكرة العلم.







الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم

❖ لا بدّ لطالب العلم من الالتزام بالقيم الخلُقية التي يفرضها العلم على أهله، والتي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا ورثة الأنبياء... وهذه أبرز الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم، إذْ لو حرص عليها لبلغ مقصِدَه، ونال مأرَبه، واستفاد وأفاد نفسَه وأهلَه ومجتمعَه وأمتَه وعالمَه، فهي آداب تربوية نبيلة، وحقوق اجتماعية كريمة عزيزة، وأصول ثابتة أصيلة، وصدق القائل «من لم يتقن الأصول، حُرم من الوصول»[1].

وإليك - أيها الحبيب - تفصيلها.

١ - حسن القصد وإخلاص النية لله تعالى:

لا بدّ من النية في تعلم العلم، إذ النية هي الأصل في جميع الأفعال، وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم إرضاءَ الله، والدارَ الآخرة، وإزالةَ الجهل عن نفسه، وعن سائر الجهال، وإحياءَ الدين، وإبقاءَ الإسلام فإن بقاء الإسلام يكون بالعلم.. وينوي به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن.

(١) تذكرة السامع والمتكلم - لابن جماعة، ص١٤٤.

وتصحيحُ النية أول ما يُطلب من طالب العلم الديني أو الدنيوي أو هما معاً، وذلك بأن يُجاهد نفسه على الإخلاص والتجرد، ويتحرى بعلمه وجهَ الله تعالى والدارَ الآخرة، بعيداً عن شهوات حب الظهور والمناصب والمادة والوصولية والجاه والسلطان؛ لأن طالبَ العلم يقضي سنواتٍ عديدةً من عمره في طلب العلم، يرافقه التعبُ والنصَبُ والمشقةُ والسفرُ والسهرُ، فإذا مر ذلك كله بعيداً عن الله والإخلاص لله تعالى فقد خسر خسراناً مبيناً، لذا وجب على طالب العلم أن يُجدّد النية ويجعلها ابتغاء مرضاة الله.

ولو أن طالبَ العلوم الدينية أراد بها الدنيا لكانت وبالاً عليه شديدًا، ولو أن طالبَ العلوم الدنيوية أراد بها وجهَ اللّهِ ونفعَ الأمة الإسلامية، وإعلاء شأنِها، وخدمةَ أفرادِها ومجتمعِها لنال عند الله حُظوتَه، وما ضاعت عليه لحظة من لحظات جهده[1] في طلب العلم، فأصلُ العلمِ خشيةُ الله ـ تعالى ـ كما قال الإمام أحمد بن حنبل.

وقيل: «العاقلُ لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصدُه العمل به».

وقال بعض العلماء: «العلمُ صلاةُ السرِّ، وعبادةُ القلبِ» وعليه، فإن شرط العبادة إخلاص النية لله[2].

وقال قائلهم:

مـن طـلـبَ الـعـلـم لـلـمـعـادِ فـاز بـفـضـلٍ مـن الـرشـادِ

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام. العلامة الشيخ حسن أيوب، ص٤٤٤.

(٢) حلية طالب العلم. بكر بن عبدالله أبو زيد.

ويقول الله ـ عزّ وجلّ ـ في أول آية قرآنية ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾[1]، ويقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[2] ويقول أيضاً: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾[3] ويقول الرسول ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى**»[4].

ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى فيقول: «**من تعلم علماً مما يُبْتَغَى به وجه الله تعالى** (وهي علوم الدين) **لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**»[5] ـ يعني ريحها ـ يفيد هذا الحديث ـ كما يرى فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي ـ أن من قصد الآخرة بعلمه وأراد معها شيئاً من الدنيا، فلا يتناوله الوعيد المذكور، شأنه شأن الحاج الذي يقصد الحج، ويقصد إلى جوار الحج شيئاً من التجارة[6] مصداقاً لقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾[7].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أولَ الناس يُقْضى يومَ القيامة عليه**

(١) العلق: (١).
(٢) الكهف: (١١٠).
(٣) الأنعام: (١٦٢).
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه أبو داود.
(٦) الرسول والعلم.
(٧) البقرة: (١٩٨).

رجلٌ استُشْهِدَ فأُتِيَ به فَعرّفَه نعْمَتَهُ فعرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشْهِدتُ، قال: كذبتَ.. ولكنك قاتلتَ لأن يُقال جريء، فقد قيل: ثم أُمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار، ورجلٌ تعلمَ العلمَ، وعلّمه، وقرأ القرآنَ، فأُتي به فعرّفه نِعَمَه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلّمته، وقرأتُ فيك القرآنَ، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلم ليُقال إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارِىء فقد قيل، ثم أُمر به فسُحِبَ على وجْهه حتى أُلقيَ في النار، ورجلٌ وسّع اللَّهُ عليه وأعطاه من أصنافِ المالِ كله، فأُتي به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك: قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليُقال هو جوادٌ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحِبَ على وجْهه ثم أُلقيَ في النار»[1].

فعلى كل منا أن يحاول إنشاءَ نيةٍ صالحة، ورغبةٍ صادقة في العلم، مع تنقية النية من الشوائب وذلك بالصدق والإخلاص وشدة الخوف من الرياء، والمراقبة لله عزّ وجلّ، ودوام الصلة به، والقيام بذكره وشكره وحسن عبادته.

يؤثر عن سفيان بن سعيد الثوري[2] ـ رحمه الله تعالى ـ قوله: «ما عالجتُ شيئاً أشد عليّ من نيتي»[3].

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) سفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١هـ) هو سفيان بن سعيد بن مسروق، وهو أمير المؤمنين في الحديث، وكان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد وعاش بالكوفة، ومات بالبصرة سنة ١٦١هـ، من مؤلفاته (الجامع الكبير)، (الجامع الصغير).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع).. للخطيب البغدادي، المتوفّى سنة (٤٦٢هـ).

بهذا سيجد كل منّا - بإذن الله تعالى - من العلم الذي يعيش في ظلاله، مع الاستهداء بالقرآن، والسنة، وصحبة من الرفقاء الطيّبين ما يُعينه على تصحيح النية وتجريد الإرادة لله جلّ وعلا.

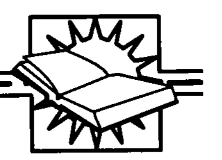
وقال عبدالله بن المبارك[1]: «أولُ العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر»[2].

ويقول أيضاً: «رُبّ عملَ صغيرِ تُعظِّمه النيَّة، ورُبّ عَملِ كبيرِ تُصَغِّره النّية».



(١) عبدالله بن المبارك: فقيه، ثقة، وأحد الأئمة الأعلام، وشيوخ الإسلام (ت ١٨١هـ).

(٢) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، ص٧٨.



العلمُ يقود إلى اللّه تعالى

وعن الإمام سفيان الثوريّ قال: طلبنا العلم للدنيا، فجرَّنا إلى الآخرة»[1].

قال معمر: «كان يقال: من طلب العلم لغير الله يأبى عليه العلم حتى يُصيِّره إلى الله»[2].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: «طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية، ثم جاءت النية بعد»[3].

ولْنتذكر قول سيدنا عبدالله بن عباس[4] ـ رضي الله عنهما ـ: «إنما يُحفَظ الرجل على قدر نيته»[5].

وقال العلماء: إن النية الصالحة تقلبُ العادة عبادة.

وقال سُفيان الثوريّ ـ رحمه الله تعالى ـ: «نَقُصَ الناسُ في حفظِهم كما نقصوا في نِيَّاتِهم».

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص١٥٤.

(٤) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، ابن عم النبيّ ﷺ، وصاحبه وحبر الأمة، وفقيهها، وترجمان القرآن، (ت ٦٨هـ).

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. للخطيب البغدادي.

وقال الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «تعلّم الصدقَ قبل أن تتعلم العلمَ» وهو صدق التوجه إلى الله عزّ وجلّ.

وها هو ذا الإمام وكيع[1] ـ رحمه الله ـ يُبين لنا أن العلمَ النافعَ لا ينالُ إلا بالصدق، فيقول: «هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق».

فعلى طالب العلم أن يكون صادقَ النية، حريصاً على التعلم، مواظباً عليه.

٢ ـ البعد عن المعاصي والذنوب:

من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم ملازمة خشية الله تعالى، وذلك بالبعد عن المعاصي والذنوب، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل[2] رحمه الله تعالى: «أصلُ العلم خشية الله تعالى»[3].

فالزم ـ وفقك الله ـ خشيةَ اللَّهِ تعالى في السرّ والعلن، فإن خيرَ البريةِ من يخشى اللَّهَ تعالى، وما يخشاه إلا عالم، والعالم لا يُعدُّ عالماً إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[4] فمن كان بالله أعرف؛ كان من الله أخوف.

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان، فقيه، محدث، حافظ، مفسر، ولد بالكوفة (سنة ٢٩هـ وتوفي سنة ١٩٧هـ).

(٢) أحمد بن حنبل: تلميذ الإمام الشافعي صار إماماً في الحديث، فقيهاً ورعاً مخلصاً زاهداً، (ولد في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٣١هـ).

(٣) حلية طالب العلم، ص١٣.

(٤) فاطر: (٢٨).

فاحذر ـ أخي الحبيب ـ المعاصيَ والذنوبَ؛ لأن العلمَ نورٌ يقذفه الله في القلب، والمعصيةُ تُطفىء ذلك النور.

ولما جلس محمد بن إدريس الشافعي[1] بين يدي الإمام مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنتِه، وتوقد ذكائِه، وكمال فهمِه، فقال: إني أرى أن الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئْه بظلمةِ المعصية»[2].

إن المعاصيَ سمومٌ قاتلة مُهلِكة مُضِرَّة بالقلب والبدنِ، وهي آفة الأفراد والجماعات والأمم، لا محاباة فيها ولا مجاملة لأحد.

ونجد ذلك واضحاً في كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ:

قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ...﴾[4].

وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾[6].

---

(١) الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة بفلسطين، توفي بمصر سنة (٢٠٤هـ).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.. لابن القيم ص١٠٤.

(٣) النساء: (١٢٣).

(٤) ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ جزء من آية رقم (٦) في سورة الأنعام، وجزء من آية رقم (٥٤) في سورة الأنفال.

(٥) الأنفال: (٥٢).

(٦) الشمس: (١٤)، ومعنى الآية أن الله ـ عزّ وجلّ ـ أطبق العذاب على قوم ثمود الذين كذبوا رسولهم صالح ـ عليه السلام ـ وطغوا وفجروا.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾[1].

وقال الصحابي الجليل عبدالله بنُ مسعود - رضي الله عنه -: «إني لأحتسبُ أن الرجلَ ينسى العلمَ قد علمه بالذنب يعملُه»[2].

وأُثِر عن السلف الصالح أنهم كانوا يدعون بدعاءٍ يتضح منه أثر مخافتهم من الذنوب «اللّهم لا تُسلطْ علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا».

وهذا علي بن أبي طالب يقول: «ما نزلَ بلاءٌ إلا بذنب وما رُفِع إلا بتوبة».

وكان الخليفة أبو بكر الصديق يوصي قوادَه بقوله: «احترسوا من الذنوب، واستحيوا من الملائكة» ويقول: «واحذروا ما حذَّركم الله بترك المعاصي...».

وهذا الفاروق عمر - رضي الله عنه - يوصي قائدَه سعدَ بنَ أبي وقاص: «إني لا أخشى على الجيش من أعدائه، وإنما أخشى عليه من ذنوبه» ويقول: «أخْوفُ ما أخافُ عليكم ذنوبُكم»[3].

---

(١) سبأ، الآيات: (١٥ - ١٧).

(٢) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٧٢.

❖ وعندما فتح المسلمون جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ، وكان مع الفاتحين الصحابيُّ الجليلُ أبو الدرداء (عويمر بن عامر) فوجدوه يبكي، فسئل لماذا تبكي في يوم أعز الله فيه الإسلامَ وأهلَه؟ قال: ويْحَكَ يا جبيرَ بنَ نُفَيْر ما أهونَ الخلقَ على الله إذا تركوا أمره؟[١].

❖ ويقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**إن العبدَ ليُحرمُ الرزقَ بالذنب يُصيبه**»[٢] فالذنوب تحرم من الرزق.

❖ ويقول الشاعر مبيناً أن النعم تزول بالمعاصي، وأن الشكر يبقيها:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَها فإن المعاصي تُزيلُ النِّعَم
وداوم عليها بشكرِ الإلهِ فإنّ الإلهَ سريعُ النِّقَم

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣] أي أن الله لا يغير نعمةً أنعمها على أحد إلابسبب ذنب ارتكبه، وأنه لا يُبدل النعمة بالنقمة حتى يبدلوا نعمة الله بالكفر والعصيان.

نصيحة: إذا كنت ـ يا أخي ـ تعاني من مشكلة النسيان وعدمِ الحفظ، فتذكر هذه الحكمة التي رويت عن الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ عندما شكا إلى شيخه (وكيعِ بن الجراح بن مليح) سوءَ حفظِه، فقال:

---

(١) بين العقيدة والقيادة... محمود شيت خطاب ص٥٠٨.

(٢) صحيح الإسناد، رواه الإمام أحمد في المسند ٢٧٧/٥، وابن ماجه من حديث ثوبان رضي الله عنه، وتمام الحديث: «**ولا يردُّ القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر**».

(٣) الأنفال: (٥٣). انظر إن شئت (صفوة التفاسير) للصابوني.

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشدني إلى تركِ المعاصِي
وأخْبرني بأن العلمَ نورٌ ونورُ اللَّهِ لا يُهدَى لعاصِي

فمن آفات المعاصي حرمان العلم، فقد قيل: إن أحدَهم وقعَ نظره على حرام، فقال له بعض أهل الفضل: سترى غِبَّها - أي عاقبتَها الوخيمة - فقيل: إنه نسي القرآنَ بعد سنين.

ورحم الله القائل:

لا تَحْقِرنَّ صغيرةً إن الجبالَ من الحصى

وكان من دعاء السلف: «اللّهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك».

وما أحسن ما أنشده عبدالله بن المبارك حين قال:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ وقد يُورثُ الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسِك عصْيانُها
وهل أفسدَ الدينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

وقال بعض السلف: إن من عقوبة السيئةِ سيئةٌ بعدها، وإن من ثواب الحسنةِ حسنةٌ بعدها.

وشكا رجل لبعض الصالحين، أنه لا يستطيع قيام الليل!.

فقيل له: يا أخي، وأنت تعصي الله في النهار؟.

وجاء في الأثر: أَعِزَّ أمرَ الله، يُعِزّكَ الله.

فالمعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه.

قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصَوْه ولو عَزُّوا عليه

لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمْه أحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[1].

وأنشد بعضهم:

لا ينفعُ العلمُ قلباً قاسياً أبداً ... ولا يلينُ لفك الماضغ الحجر

وسأل رجلٌ أنسَ بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فقال:

«يا أبا عبدالله، هل يَصْلُح لهذا الحفظ شيءٌ؟ قال: إذا كان يصلح له شيء فتركُ المعاصي»[2].

وكان الرسول ﷺ يتعوذ من خمس: «**اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[3].

وفي رواية: «**ومن عين لا تدمع**».

فمن عقوبات الذنوب والمعاصي:

ـ حرمان العلم، وحرمان الرزق، وزوال النعم، ومنع النصر، وَوَهنٌ في القلب، وتعسير الأمور ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[4].

❖ إن المعاصي والذنوب تورثُ الذلَّ: فإن العزّ كل العزّ في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[5]، أي فليطلبْها بطاعة الله فإن ما عند الله لا يُنالُ إلا

---

(١) الحج: (١٨).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي /للخطيب البغدادي ٢٥٨/٢.

(٣) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٤) طه: (١٢٤).

(٥) فاطر: (١٠) انظر «صفوة التفاسير، للصابوني».

بطاعته، ولذا قال أحد العارفين: «من أراد عزّ الدارين فليطع العزيز».

وقال عبدالله بن عباس - ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ -: «إن للحسنةِ ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسَعةً في الرزقِ، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهناً في البدن، ونقصًا في الرزق، وبُغْضًا في قلوب الخلق»[1].

وقال الحسن البصري: إنهم وإن طقْطَقَتْ بهم البغالُ وهَمْلَجَتْ[2] بهم البراذين[3]، فإن ذلَّ المعصيةِ لا يفارق قلوبَهم، أبى اللَّهُ إلا أن يذلَّ من عصاه.

وقال بعض السلف: إني لأعصي اللَّهَ تعالى، فأرى ذلك في خلقِ دابتي وامرأتي.

٣ ـ الدعاء واللجوء إلى الله تعالى:

الدعاء يعني شعور العبد بفقره إلى الله تعالى، وشعوره بقدرة الله، وأن الأمور كلَّها بيده سبحانه، وهذا لب العبودية، والتسليم لله والإيمان به سبحانه، إنه شعور بالانكسار بين يدي الله، وبالتضرع والتذلل له سبحانه، وشعور بفضله وكرمه وإحسانه، وأنه على كل شيء قدير، والدعاء عبادة، والإعراض عنه استكبار وجحود.

---

(١) الطقطقة: صوت قوائم الخيل على الأرض الصلبة.

(٢) هملج: حُسن سير الخيل في سرعة وتبختر.

(٣) البراذين: نوع من الخيل.

فيا طالب العلم لا تفزع إذا لم يُفتح لك في علم من العلوم، فقد تعاصَتْ بعض العلوم على بعض الأعلام والمشاهير كالأصمعيّ[1] في علم العَروض، وأبي حامد الغزاليّ[2] في النحو فكانوا يلجؤون إلى الله بالدعاء.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية[3] - رحمه الله تعالى - كثيرًا ما كان يقول في دعائه إذا استعصى عليه تفسير آية في كتاب الله تعالى فكان يدعو بهذا الدعاء:

«اللّهم يا معلمَ آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهمَ سليمان فهمْني» فيجد الفتح في ذلك[4].

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾[6].

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[7].

وقال الرسول الله ﷺ: **«ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء»**[8].

---

(١) الأصمعي: أبو سعيد عبدالملك بن قريب - راوية العرب، وأحد أئمة العلم والشعر واللغة، ولد في البصرة، ومات فيهة سنة (٢١٦هـ).

(٢) الغزالي: حجة الإسلام، محمد بن محمد الطوسي، فيلسوف الإسلام، توفي سنة (٥٠٥هـ).

(٣) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن تيمية، شيخ الإسلام، ناصر السنة، قامع البدعة مصلح عظيم، جاهد ضد التتار، توفي سنة (٧٢٨هـ).

(٤) فتاوى ابن تيمية (٣٨/٤).

(٥) غافر: (٦٠).

(٦) البقرة: (١٨٦).

(٧) النساء: (٣٢).

(٨) رواه الترمذي.

«الدعاء هو العبادة»[1]، «أفضل العبادة الدعاء»[2].

«أعجز الناس من عجز عن الدعاء...»[3].

فعلى طالب العلم أن يضاعف الرغبة، وأن يفزع إلى الله بالدعاء واللجوء إليه، والانكسار بين يديه.

فالدعاء من أبرز الأساليب التربوية التي ترقق القلوب، وتزكي النفوس، وهو كجهاز الشحن الذي يشحن القلب دائماً بالطاقة والقوة التي يفيضها الله على قلب عبده الذاكر. والدعاء جزء من الذِّكْر الذي يُذكّر الإنسان بربه.

أدعيـة قرآنيـة:

❖ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4].

❖ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[5].

❖ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[6].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.
(٢) صحيح الجامع.. رقم (١١٣٣).
(٣) المصدر السابق، رقم (١٠٥٥).
(٤) البقرة: (١٢٧).
(٥) البقرة: (٢٠١).
(٦) البقرة: (٢٨٦).

❖ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[1].

❖ ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[2].

❖ ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾[3].

❖ ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4].

❖ ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾[5].

❖ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6].

❖ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[7].

❖ ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[8].

❖ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[9].

---

(١) آل عمران: (٨).

(٢) الأعراف: (١٢٦).

(٣) طه، الآيات: (٢٥ ـ ٢٨).

(٤) طه: (١١٤).

(٥) القصص: (١٦).

(٦) الحشر: (١٠).

(٧) الكهف: (١٠).

(٨) آل عمران: (١٩٣).

(٩) آل عمران: (١٩٤).

❖ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[1].

❖ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

❖ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

❖ وجاء في الحديث الصحيح أن النبيّ ﷺ قال: «**إنه من لم يسأل اللَّهَ تعالى يغضبْ عليه**»[4].

وصدق القائل:

لا تسألنَّ بنيَّ آدمَ حاجةً ... وسَلِ الذي أبوابهُ لا تُحجَبُ
اللَّهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالهَ ... وبنيَّ آدمُ حين يُسألُ يغضبُ

أدعية مختارة من السنة المطهرة:

❖ **رب اغفر لي، وتب عليّ. إنك أنت التواب الرحيم**[5].

❖ **اللّهم أنت ربيّ لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك،**

---

(١) إبراهيم: (٤٠، ٤١).
(٢) النمل: (١٩).
(٣) الأنبياء: (٨٧).
(٤) صحيح الجامع الصغير ـ برقم (٢٤١٤) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
(٥) رواه ابن عمر.

وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتِكَ عليَّ وأبوءُ بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[1]. وهذا الدعاء يسمى سيدَ الاستغفار.

❖ اللّهم باعِدْ بيني وبين خطايايَ كما باعدْتَ بين المشرق والمغرب، اللّهم نقني من خطايايَ كما ينقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدنس، اللّهم اغسلني من خطايايَ بالثلج والماء والبرد[2].

❖ اللّهم زدنا ولا تُنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤْثِرْ علينا، وأرْضِنا وارضَ عنا[3].

❖ اللّهم إني أعوذُ بك من الكفر والفقر، اللّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت[4].

❖ اللّهم إني أعوذ بك من الهم والحزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجُبْنِ والبخل وأعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهرِ الرجال[5].

❖ اللّهم لا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلاً، وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئتَ سهلاً»[6].

❖ يا حيُّ يا قيومُ برحمتِك أستغيث[7].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي.

(٤) رواه أبو داود والنسائي والبخاري.

(٥) أخرجه أبو داود.

(٦) رواه ابن حبان من حديث أنس، (والحَزْن: بفتح الحاء وإسكان الزاي أي المكان المرتفع الصعب).

(٧) رواه الترمذي.

٤ ـ العمل بالعلم:

على الطالب أن يعلم أن العلم في الإسلام ليس ترفاً عقلياً، ولا متعةً ذهنيةً، ولا غايةً في ذاته، إنه وسيلة للعمل والتطبيق، فإذا تعلم الإنسان شيئاً نافعاً ولم يترجمْه إلى سلوك فلا جدوى منه.

وأشرف العلم ما كان دالاً على الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وموصلاً إلى معرفته وتوحيده، والعلم النافع هو الذي يُتوَصَّلُ به إلى عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، حسب مفهوم العبادة الشامل ـ الذي بينه ـ الله عزّ وجلّ ـ في قوله جلَّ شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[1]، والعبادة كما عرفها **شيخ الإسلام ابن تيمية** بقوله: «هي اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرة والباطنة»[2].

يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله: «لا يُقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة».

وهناك تلازم بين العلم والعمل، فالعلم لازم لصحة العمل، والعمل لازم للحصول على ثمرة العلم. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[3].. فالله أمر عباده بالعلم أولاً، ثم العمل به ليتحرك الإنسان بعلمه على هدىً وبصيرة وعلى وضوح، فيحصل له بذلك اليقين والرسوخ.

والعلاقة بين العلم والعمل في القرآن الكريم وثيقة جداً،

---

(١) الأنعام: (١٦٢).

(٢) رسالة العبودية لابن تيمية ـ المكتب الإسلامي ـ ط٦ سنة ١٩٨٧م.

(٣) محمد: (١٩).

فلفْظةُ العلم في القرآن والسنة ليست قاصرةً على مجرد العلم بمعنى المعرفة، بل تشمل العلم والعمل معاً، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فالعلماء هم أعرف الناس بربهم ولذلك هم له أشد خشية، وكلمة (العلماء) في الآية عامة تنسحب على كل علم نافع يصلح الأمة ويعزّ الدين، لذلك قيل: «إن شأن العلم أن يستلزم الإيمان، والإيمان يستلزم العمل..» فإن لم يكن هناك عمل كان العلم ناقصاً، وكان الإيمان مختلاً ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[1].

والعلمُ لا خير فيه إن لم ينبنِ على سلوك مستقيم، ويورث في النفس عملاً صالحاً، يقول عبدالله بن مسعود[2] ـ رضي الله عنه ـ: «إن الناسُ أحسنوا القولَ كُلّهُم فمن وافَق فعلُهُ قولَه فذلك الذي أصاب حظّه، ومن خالف قولَه فإنما يوبّخُ نفسه»، فالعلم وسيلة إلى العمل[3].

وقال سفيان الثوري: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»[4].

وقال الفضيل بن عياض[5]: «لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً».

---

(١) الجمعة: (٥).

(٢) عبدالله بن مسعود: من السابقين إلى الإسلام، سادس ستة أسلموا وهو من كبار علماء الصحابة، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، وتوفّي بالمدينة سنة (٣٢هـ)، وهو أول الصحابة جهرًا بالقرآن.

(٣) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، ص١٤١.

(٤) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، ص١٤٤.

(٥) الفضيل بن عياض من العباد الزهاد، ولد بخراسان، عاصر الخليفة العباسيّ هارون الرشيد، توفّي في مكة في شهر محرم.

ويقول الإمام الشاطبي[1]: «العلمُ المعتدُّ به هو: العلم الباعثُ على العمل».

ومن طرائف لغتنا العربية الجميلة أن العلم والعمل يشتركان في الحروف الثلاثة نفسِها، بل ويبدءان بالحرفِ الأولِ نفسه وهو حرف العين. فتأمل - ابني الطالب وفّقك الله إلى العلم والعمل - كم هما متلازمان.

إن العلم الحق هو الذي ينير بصيرة صاحبه، ويجسم أمام عينيه الجزاء فيبدو البعيدُ قريباً، والغائبُ حاضرًا، والآجلُ ناجزًا، فتقوى عزيمته على البر والتقوى، وتضعف رغبته في الإثم والفجور[2].

والعمل من أقوى أسباب حفظه وبقائه في الذاكرة، وقد روى ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «كان الرجلُ منا إذا تعلمَ عشر آيات لم يجاوزْهن حتى يعرف معانيَهن والعملَ بهنّ»[3] وقال آخر: «فتعلمنا القرآنَ والعملَ جميعاً».

وقال علماء الحديث: «إذا أردت أن تحفظَ الحديث فاعمل به»[4].

وقال الإمام وكيع - أستاذ الإمام الشافعي -: «العلم إمام العمل».

---

(١) الإمام الشاطبي: إمامٌ وحجة في علوم القرآن والحديث واللغة، (ت ٥٩٠هـ).

(٢) الرسول والعلم.

(٣) ذكره ابن كثير في مقدمة التفسير.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع «للخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المتوفى سنة (٤٦٢هـ) وهو مؤرخ وفقيه.

وقال ﷺ: «**يا أيها الناسُ تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرًا يفقههُ في الدين**»[(١)].

وقال بعض السلف: «قيدوا العلمَ بالعمل».

يقول الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ: «والواجب أن يكون طلبة الحديث (العلم) أكملَ الناسِ أدباً، وأشدَّ الخلق تواضعاً...»[(٢)].

واقتران العلم بالعمل من صميم تعاليم ديننا، فأركان وتعليمات الإسلام ليست طقوساً ومُثُلاً خياليةً لكنها واقعيةٌ عمليةٌ حياتيةٌ تتطلب مراناً وممارسة يومية، فالدين المعاملة كما يقول الرسول ﷺ.

والشهادتان ليست كلمةً تلوكها الألسنة ولكنها منهاج حياة، لها مدلولات ومقتضيات، ومستلزمات وأخلاقيات.

فقد سأل رجل، رسول الله ﷺ: إلى أي شيء تدعو الناس؟ قال: «**أدعوهم إلى لا إله إلا الله، قال الرجل: إن هذا شيء لا تتركه لك العرب**».

أمِنْ أجل الكلمة كانت الحرب، أم أنها لها ترجمتُها الحياتية؟.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»: أورده ابن أبي عاصم، والطبراني من حديث معاوية، وإسناده حسن.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه.

❖ يقول فرنسيس بيكون[1]: «المعرفة قوة، أما التطبيق العملي للمعرفة فتلك قوة كبرى».

❖ وهناك مقولة تربوية تقول: «أعط التلميذ شيئاً يعمله، أفضل من أن تعطيه شيئاً يحفظه» فهذا هو الأنفع والأجدى، أي التطبيق العملي للعلم.

وقد أكدت الدراسات والتجارب أن: «ما يسمعه الطالب ينساه بعد وقت قليل، وما يراه يتذكره، وما يعمله يتعلمه» فلقد ثبت أن المعلومات التي تظل مع الطالب ـ في المدارس العربية ـ بعد الامتحان لا تزيد على ١٣٪ فقط.

فتثبيت العلم وترسيخه وتنميته يكون بالتطبيق العملي مما يحقق التكيف مع الحياة بل تحسينها والارتقاء بها.

والمثل الصيني يقول: «إذا أتاك ابنك يطلب منك السمكةَ فلا تعطه إياها بل علِّمْه كيف يصطاد السمكة» فلا شك أنه لو تعلم كيف يصطاد السمكة لأمكنه أن يصطاد آلاف الأسماك.

وتأمل مقولة سيدِنا عمر بن الخطاب ووصاياه القيمة: «علّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» فلم يكتف بتعلم القراءة والكتابة فقط، بل ركّز أيضاً على المهارات الحياتية والتطبيق العملي وهذا ما فعلته التربية الحديثة.

وقال الفاروق عمر بن الخطاب: أيها الناس تعلموا كتاب الله تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله.

---

(١) فيلسوف وسياسي وأديب بريطاني (١٥٦١ ـ ١٦٢٦م).

وقالِ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ:

«يا أهلَ العلم: اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عملهُ علمَه»[1].

ويؤكد هذا المعنى الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل».

وقال مطر الوراق ـ رحمه الله تعالى ـ: «خيرُ العلم ما نفعَ، وإنما ينفعُ اللّهُ بالعلمِ من عَلِمَهُ ثم عملَ به، ولا ينفعُ به من عَلِمَه ثم تَركَهُ»[2].

ولقد حذر القرآن الكريم من التفريق بين القول والعمل، ومن فرق بينهما تعرض لأكبر المقت وأشد البغض من خالقه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[3].

وقد تنبه المسلمون لهذا يقول الحسن البصري[4]: (كان الرجلُ يطلب العلمَ، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشُّعِه وهديِه، ولسانِه وبصرِه ويدِه).

وقال عبدالله بن مسعود: تعلموا، تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا[5].

---

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله. . مصدر سابق، ص١٤١.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي، مصدر سابق ٩٠/١.

(٣) الصف: (٢، ٣).

(٤) الحسن البصري: من سادات التابعين ولد بالمدينة، وسكن بالبصرة، تتصبب الحكمة من فيه (ت ١١٠هـ).

(٥) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق.

❖ وحول ارتباط العلم بالعمل جاء في كتاب «نيل الأرب من آداب الطلب»[1]: أن عبدَاللَّهِ بنَ المبارك ـ رحمه الله ـ قال: قال حبيب بن حجر: «كان يقال: ما أحسنَ الإيمانَ يزينُه العلم، وما أحسنَ العلمَ يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق! وما أضيف شيءٌ إلى شيءٍ أَزْيَنَ من حلم على علم».

وقيل: لولا العمل لم يطلب العلم، ولولا العلم لم يطلب العمل.

وقال الحسن البصري: «ما أحسنَ الرجل ناطقاً عالماً، ومستمعاً واعياً، وواعياً عاملاً» ويقول: «ومن العمل بالعلم: بثّه بين المحتاجين إليه» أي: نشرُه وتعليمه للناس.

وعن محمد بن سيرين[2] ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: «كانوا يتعلمون الهَدْي كما يتعلمون العلم»[3].

إن العمل بالعلم هو الغاية المرجوة، فمن طلبه دون أن يعمل به كان حسرةً ووبالاً عليه. ومن ثم كان العلم من أجل التنفيذ الفوري هو ماعرف به سلفُنا الصالحُ رضوان الله عليهم أجمعين.

يقول فضيلة العلامة الشيخ حسن أيوب: «.. يجب أن يكون مفهوماً أن العلم إذا لم يطبق عمليّاً، ولم يكن له أثر في

---

(١) نيل الأرب من آداب الطلب.. أحمد بن عبدالعزيز.

(٢) محمد بن سيرين البصري، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، اشتهر بالورع وتفسير الرؤيا، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ).

(٣) الهدي أي السمت والاستقامة.

حياة الناس فإن العالم يكون قد ضاع مرتين: مرةً حين أضاع نفسه ولم يُفِدْها بالعلم الذي حصَّله، ومرةً حين أضاع أمتَه التي يعيش بينها، ولها عليه حقُّ العونِ والنهوضِ بها وإنقاذِها من التردي.. فليحذر الطالب من أن يكون طالبَ علمٍ لا يعمل بما يعلم، ولا يستفيد ويفيد بما تعلم»[١].

إن تطبيقَ العلم هو الأساس في طلبه، فمن طلبه دون أن يعمل به كان وبالاً عليه، ومن ثم كان النظر والتطبيق متلازمين، أو وجهين لعملة واحدة، وبالتالي يصبح العلم هادياً لليقين، ومرسّخاً للإيمان، بل ويفسح المجال أيضاً لقدرات الطالب الإبداعية حيث التركيز على مفاتيح العلوم، أي يتعلم الطالب كيف يفكر، كيف يبحث، كيف يحلل؟ بدلاً من التلقين والحشو الذي سرعان ما يتبخر.

إن كل علم يحقق للإنسان في حياته خيرًا يجب الاهتمام به والتعمق فيه. ومن الخطأ الموازنة بين علم نظري وعلم تجريبي، فلكل مجاله ورسالته، وهما متكاملان وليسا متخاصمين.

لقد كان من أوزار الحضارة المعاصرة أنها أوْلت العلم المادي كل الاهتمام، فكان من ثمرة ذلك أن نشأت أجيال من العلماء لا قلوبَ لها، وأصبح العلم لديها سلاحاً للطغيان والبغي، والعدوان والدمار، والحروب المدمرة، وأسلحة الإبادة، وما فاجعتي هيروشيما ونجازاكي عنا ببعيد، ثم يتواصل الطغيان العلمي لنرى بأم أعيننا ما حملته إلينا هذه الحضارة المادية من

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام.

كيد خطير، وشر مستطير، فيما يسمى بالاستنساخ الذي حرمته قوانينُ الأرضِ[1] وشرائعُ السماء.

٥ ـ عدم الحياء أو الاستكبار في طلب العلم:

ينبغي لطالب العلم ألا يغلبه الحياء في طلب العلم، وأن يسأل في أي أمر أُشْكل عليه.

إذ ليس من توقير العالم (الأستاذ) ترك سؤاله حياءً منه، فإن هذا ليس من الحياء الشرعي المحمود، الذي هو من الإيمان، كما جاء في أقوال الرسول محمد ﷺ: «**الحياء من الإيمان**»[2]، وقوله: «**الحياءُ لا يأتي إلا بخير**»[3]، إنما هو ضعف ومهانة.. ولهذا قال مجاهد[4]: «لا يتعلم العلم مُسْتَحْيٍ ولا مستكبرٌ»[5].

علم المسلمون ذلك من نصوصِ قرآنِهم، وإرشادِ نبيِّهم ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾[6].

---

(١) نشرت جريدة الخليج (الإماراتية) في عددها (٧٨٦٦) بتاريخ (١ ديسمبر ٢٠٠٠م) أن البرلمان الياباني أقر تشريعاً يحرم الاستنساخ ويعده جريمة عقوبتها السجن.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) مجاهد بن جَبْر، أبو الحجاج المكي، تابعي، مفسر من سودان مكة ـ ومولى لعبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) وتوفي سنة (١٠٣هـ).

(٥) رواه البخاري.

(٦) البقرة: (٢٦).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[1].

وتقول السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها وأرضاها -: «نعم النساءُ نساءُ الأنصارِ، لم يمنعْهن الحياءُ أن يتفقَّهْن في الدين»[2].

وروى الإمام البخاريُّ عن أمِّ سلمةَ - رضي الله عنها - زوج النبيّ ﷺ قالت: «جاءت أم سُلَيْم إلى رسولِ الله ﷺ فقالت[3]: يا رسول الله إن الله لا يستحْيِي من الحق، فهل على المرأة من غُسْلٍ إذا احتلَمَتْ؟ (تعني إذا رأت في منامها أن رجلها يجامعها) فقال النبيّ ﷺ: «**إذا رأت الماء**».

وهنا نجد أم سلمة تُغطي وجهها حياءً، والسيدة عائشة - رضي الله عنها زوج النبيّ - تقول لها - كما في صحيح مسلم - فضحْتِ النساء.

فتأمل لم يمنعِ الحياءُ رسولَ الله من الإجابة، ولم يمنعِ الحياءُ أم سُلَيْم من السؤال فهذا تعليم للأستاذ والتلميذ.

يقول ابنُ جماعةَ في كتابه[4] وهو ينصح طالب العلم: «ألا يستحْيِي من سؤال ما أُشكلَ عليه، وتفهُّم ما لم يفهمه، في تلطفٍ وحسنِ خطابٍ وأدبِ سؤال».

وقال عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز: «ما شيءٌ إلا وقد

---

(١) الأحزاب: (٥٣).

(٢) رواه البخاري معلقاً.

(٣) أي أم سليم: وهي سهلة بنت ملحان بن خالد بن جندب - وهي أم أنس بن مالك - خادم رسول الله ﷺ.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم - لابن جماعة.

علمتُ منه، إلا أشياءَ كنتُ أستحيي أنْ أسأل عنها، فكَبِرْتُ وفيَّ جهالتُها»[1].

وقال عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ: «قُرِنت الهيْبةُ بالخَيْبة، والحياءُ بالحرمان»[2].

❖ ومن غلبه الحياء في أمر ما، فليأمر غيره ليسأل له عما يريد، كما فعل سيدُنا عليُّ بن أبي طالب، حين استحْيَا أن يسألَ النبيّ ﷺ عن المذْي، لمكان رسول الله ﷺ، من ابنته فاطمةَ التي هي زوجة (سيدنا علي) لذا أمر الإمام عليّ بن أبي طالب المقدادَ وعمارًا، فسألا رسول الله ﷺ عن ذلك. (رواه البخاري).

وقال الحسن البصري: «من تركَ طلَبَ العلمِ حياءً، ألبسهُ الجهلُ سرْباله، ومنْ رقَّ وجْهُه رقّ علْمُهُ».

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي[3]: «منزلةُ الجهل بين الحياءِ والأنفة».

وقيل:

إذا شئت أن تزداد قدرًا ورفعةً فَلِنْ وتواضَعْ واترك الكِبْرَ والعُجْبا

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله. مصدر سابق، ص٦٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي، و(فراهيد) بطن من بطون الأزد، ولد في عمان سنة (١٠٠هـ) ورحل إلى البصرة، ثم إلى خراسان ومات فيها سنة (١٧٠هـ) واقتحم عدة ميادين: العروض، النحو والنقط والتشكيل، والمعجم، وهو أستاذ سيبويه.

❖ لذا يقول الإمام الغزالي: «لا ينُالُ العلمُ إلا بالتواضع، وإلقاءِ السمع...».

احذر أن تكون «أبا شبر»[1].

فقيل قيل: العلمُ ثلاثةُ أشبارٍ، من دخلَ في الشّبْرِ الأولِ تكبّر، ومن دخلَ في الشبرِ الثاني تواضع، ومن دخلَ في الشبْرِ الثالث، علم أنه ما يَعْلَمُ.

❖ يقول د. أحمد زويل: «كلما تتعمق في العلم تكتشف أنك صغير» فلا تغترَّ.

فالمتواضع من طلاب العلم أكثرُهم علماً، كما أن المكانَ المنخفضَ أكثرُ البقاع ماءً.

لذا قيل:

العلمُ حربٌ للفَتى المتعالي   كالسيلِ حرب للمكان العالي

❖ فلا يُنال العلمُ إلا بالتواضع، ولا يتأمر طالب العلم على المعلم بل يلقي إليه زمام أمره، ويُذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق..

وعلى طالب العلم أن يحذر من الكِبْر فإنه أول ذنب عُصيَ اللَّهُ به ـ عندما أمر اللَّهُ الملائكة بالسجود لآدم، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ...﴾ وقال اللعين: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[2].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم. ص٦٥.

(٢) ص، الآيات: (٧٣ ـ ٧٦).

❖ يقول الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ: «لا يسْتَحْيي أحدُكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم».

٦ ـ الصبرُ والمثابرة والرحلةُ في طلب العلم:

❖ من الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم الجِدُّ والمواظبةُ والصبرُ والمثابرةُ وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾(١) وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٢) فعليه أن يتحمل مشاق ومتاعبَ الحياةِ في سبيل الحصول على العلم، ومن لاح له بريق الأجر هانت عليه المشقة.

وهذه قصة سيدنا موسى ـ عليه السلام وهو كليم الله ومصطفاه، عليه وعلى نبيّنا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ وهي تبين صبرَ سيدِنا موسى وإصرارَه، وكيف ارتحل في طلب العلم إلى سيدِنا الخضر ـ عليه السلام ـ وهو كما أخبر عنه القرآن ﴿...عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(٣).

إن في قصة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وفتاهُ (يوشع) نموذجاً للأدب والصبر والجهاد في طلب العلم، لقد قطعا مسافاتٍ طويلةً لا يعلم مداها إلا اللَّهُ، كان من أثرها ما عبّر عنه

---

(١) مريم: (١٢).

(٢) العنكبوت: (٦٩).

(٣) الكهف: (٦٥).

سيدُنا موسى بقوله لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ ثم تأمل قول سيدِنا موسى (التلميذ) وهو يقول لسيدنا الخضر (الأستاذ) ضارباً المثل في الأدب الرفيع والإصرار على العلم ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[1].

هكذا الأدب الجمُّ الرفيع، والحرص على طلب العلمِ الرشيدِ النافعِ، والصبرِ والاعتمادِ على الله، هذه أهم سمات طالب العلم، يرسمها لنا المشهد القرآني كأنها ماثلة للعيان، ثابتةٌ في الأذهان، شاخصةٌ للأبصار، ويصورها تصويرًا عجيبًا، فلا ينالنا منها إلا الإعجاب بذلك الأدبِ الجمِّ من التلميذِ لأستاذه.

تلك بعض أسلحة طالب العلم؛ لكي ينتصرَ ويتغلبَ على كل المشاق والمتاعبِ التي تواجهه، فلابدّ من الإرادة والتصميم والاستعانة بالله عزّ وجلّ.

ولنتذكر دائماً قول الرسول ﷺ: «**من سلَكَ طريقاً يلْتمسُ فيه علماً سهّل اللَّهُ به طريقاً إلى الجنة**»[2].

ولنتذكر أيضاً قول الرسول ﷺ: «**إنما العلمُ بالتعلُّم وإنما الصبرُ بالتصبُّر**».

ولقد وجدَتْ هذه المشاهدُ القرآنيةُ وتلك الأقوالُ النبويةُ صدىً لدى الصحابة ومن تبعهم من جِلَّةِ التابعين فأسرعوا يطلبون

(١) الكهف: (٦٦ ـ ٦٩) وأوردها الإمام البخاري في صحيحه.

(٢) رواه مسلم.

العلم في حرص شديد، فلا غَرْوَ أن نجد أعرابياً يقطع المسافاتِ الطويلةَ في سبيل طلب العلم، والسماع من رسولِ الله - ﷺ - ومن ذلك ما حدث مع ضمامِ بن ثَعْلَبَةَ السعدي الذي كان يسكن الكوفة حين دخل المسجد على جمل، قال أنس - رضي الله عنه -:

«.. فأناخه في المسجد ثم عقَلَه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبيّ - ﷺ - متكىءٌ بين ظهرانيْهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيضُ المتكىءُ، فقال ضُمام: ابنَ عبدالمطلب، فقال له النبيّ ﷺ: **قد أجبتك**. فقال الرجل: إني سائلك فمشددٌ عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك، فقال: **سل عما بدا لك**..»[1].

❖ قال بشر بن عبيد - رحمه الله -:

«يا معشرَ القراء سيحوا تطيبوا، فإن الماءَ إذا ساح طاب، وإذا طال مقامه في موضع تغير».

❖ لا بدّ لطالب العلم من المواظبة على الدرس والتكرار، والجد والإصرار.

يا طالبَ العلْمِ باشر الورَعا   وجَنّبِ النوْمَ واتركِ الشِّبَعَا
دَاوِمْ عَلَى الدرسِ لا تُفَارِقُهُ   فالعلمُ بالدّرسِ قامَ وارتفعا

❖ وقال الإمام أبو حنيفة - رحمهُ اللّهُ - لتلميذه أبي يُوسُف:

«كنتَ بليداً أخْرَجتْكَ المواظبةُ، وإياكَ والكَسَلَ فإنه شؤمٌ وآفةٌ عظيمةٌ».

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.. لابن حجر العسقلاني - (ت ٨٥٢هـ).

ورحم الله القائل:

قل للذي طلب المعاليَ قاعدًا　　لا مجدَ في الدنيا لغير العامل

❖ يقول المثل الإنجليزي: «دماغ الكسلان معمل للشيطان».

❖ وقديمًا قالوا: إنه ليست للعلم طريقٌ معبدةٌ.

فعلى المسلم الذي يطلب العلم أن يحتسب ويجتهد ويستعين بالله ليُعينه على مشقة التكاليف.

❖ يقول الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ: «من ظنَّ أنه بدون الجهد يصل فهو متمنٍّ، ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو مستغْنٍ»[1].

❖ وصدق القائل:

الجِدُّ يُدْني كُلَّ أمْر شَاسع　　والجدُّ يفتحُ كُلَّ بابٍ مُغْلَقِ

❖ وقيل: اتخذِ الليلَ جَمَلاً، تُدْرِكْ به أملاً.

❖ وقيل: من أسْهر نفسَه بالليل فقد فرَّح قلبه في النهار.

واسمع إلى قول القائل:

بتسعٍ يُنالُ العلمُ: قوتٌ، وصحةٌ　　وحرصٌ، وفهمٌ ثاقبٌ في التعلمِ

وحفظ ودرسٌ للعلوم وهمّةٌ　　وشرخ شبابٍ واجتهادُ معلمِ

❖ وقيل: من طلب شيئاً وجَدَّ وجَد، ومن قرعَ البابَ ولجَّ (أي أصرَّ) ولج (أي دخل).

❖ وقيل أيضاً: بقدر ما تَتَعَنَّى، تنالُ ما تتمنّى.

---

(١) كتاب «تعليم المتعلم في طريق التعلم» للإمام برهان الدين الزرنوجي، ص٦٢.

❖ وقيـل:

بقدْر الكَدّ تكتسب المعالي ومن طلب العُلا سهِر الليالي
ومن طلب العلا من غير كدٍّ أضاع العمر في طلب المحالِ
تروم العزَّ ثم تنامُ ليلاً يغوصُ البحرَ مَنْ طلب اللآلي

❖ وقال أبو يعلى الموصلي:

إني رأيتُ وفي الأيامِ تجربةٌ للصبر عاقبةٌ محمودةُ الأثرِ

❖ وقيـل:

ومنْ يضْطبر للعلم يظْفَرْ بنْيله ومنْ يْخطُبِ الحسناءَ يصبرْ على البذلِ
ومنْ لم يذلَّ النفسَ في طلبِ العُلا يسيراً، يعشْ دهراً طويلاً أخا ذُل

❖ وقيل: «إن لم تصبر على طلبِ العلمِ، صبرت على شقاءِ الجهلِ».

❖ وقيـل:

من لم يذُقْ طعمَ المذلة ساعة قطعَ الزمان بأسره مذُلولا

❖ وقال ابن عباس: طلبتُ العلمَ، فلم أجده أكثر منه في الأنصار، فكنتُ آتي الرجل فأسأل عنه؛ فيُقال لي: نائم، فأتوسَّدُ ردائي أضطجع حتى يخرج إلى الظهر، فيقول: متى كنتَ هاهنا يا ابنَ عمِّ رسول الله، فيقول عبدالله بنُ عباس: منذ زمن طويل، فيقول: بئسما صنعت، هلا أعلمتني؟.

فأقول: «أردتُ أن تخرج إليّ وقد قضيت حاجتك»[1].

---

(١) سنن الدارمي، ج١، ص١١٤.

وقالوا: من لم يصبر على ذل التعلم، بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر آل أمره إلى عزّ الآخرة والدنيا.

- وكان ابن عباس يقول: ذللتُ طالباً، فعززتُ مطلوباً.

❖ وقال سعيد بن المسيب[1].

«إنْ كنتُ لأسيرُ الليالِيَ والأيامَ في طلب الحديث الواحد»[2].

❖ وقال الشعبي[3]: «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمعَ كلمةَ حكمةٍ، ما رأيتُ أن سَفرَه قد ضاع»[4].

❖ والتاريخ يحدثنا عن رحلات الأئمة الأعلام مثل الشافعي، وابن حنبل، والبخاري، ومسلم وغيرهم مثل ابن بطوطة الذي ولد في طنجة سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٤م) وهو العالم الرحالة العربي المشهور الذي قضى ثمانية وعشرين عاماً في ترحال دائم جاب خلالها بلدان العالم الإسلامي.

وأهم ما كان يميزهم قوة طلبهم للعلم وصبرهم عليه، وجَلَدِهمْ في الرحلة إليه، فلنراجع تراجم هؤلاء العلماء لنقتدي بهم في الحياة.

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث، والفقه، والزهد، والورع. توفي بالمدينة سنة (٩٤هـ).

(٢) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، ص٦٦.

(٣) الشعبي: عامر بن شراحيل الشعبي الحميري: راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، وهو من رجال الحديث الثقات، وكان فقيهًا شاعرًا، ولد ونشأ ومات بالكوفة (١٠٣هـ).

(٤) تهذيب حامع بيان العلم وفضله، ص٦٦.

يقول الصحابي الجليل عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «قَل لطالب العلم يتخذ نعلين من حديد».

❖ لقد بذل هؤلاء وغيرهم الجهد والمال والوقت في سبيل العلم؛ لأنهم تلقوا عن شيوخهم الحكمة التي تقول:

«لا يُنال العلمُ براحة الجسم».

❖ وكان الإمام مالك يقول: «إن هذا الأمر (العلم) لن يُنال حتى يُذاقَ فيه طعمُ الفقر»[1].

ومن الصبر المحمود والمطلوب لطالب العلم: أن يصبر على أستاذه، ويحتمل شدته إن كان شديدًا، وغضبه إن كان غضوبًا.

❖ يقول الدكتور عبدالسميع سيد أحمد[2] «**في اليابان** تقوم الأسرة بدور أقرب إلى التلقين العقائدي لأطفالها، تبث فيهم ثلاث فضائل هي: **الالتزام، والواجب، والمثابرة**، وتتبلور تلك القيم في الاهتمام الفائق بالقدرة على تحمل المعاناة، اعتقادًا منهم **بأن المعاناة تقوي الروح**، وأبلغ مثال على ذلك ما يُحكى عن تدريب بعض المستخدَمين في أحد البنوك على السير مسافة (**٢٥**) ميلاً في الحَرِّ بلا توقف للراحة أو الشراب؛ لضمان أن أولئك المستخدمين على استعداد لتحمل أقصى درجات الجهد الجسمي والعقلي.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أستاذ أصول التربية بجامعة الإمارات العربية المتحدة ـ في مقال له بجريدة الخليج الإماراتية سنة ١٩٩٩م.

٧ ـ الرفقة الصالحة الواعية:

ينبغي لطالب العلم أن لا يصحب إلا من يعينه على تقوى الله تعالى وطاعته، ويحذر كل الحذر من مخالطةِ السفهاء، وأهلِ المجون والوقاحة، وسيئي السمعةِ والأغبياءِ والتنابلةِ، فإن مخالطتَهم شقاء وحرمان. وصدق أبو بكر الخوارزمي حين يقول:

لا تصحب الكسلان في حالاته   كم صالحٍ بفساد آخر يفْسُدُ
عدوى البليدِ إلى الجليد سريعةٌ   كالجمر يوضع في الرماد فيخْمُدُ

وقديماً قالوا: «الصاحب ساحب».

أما الإمام الزهري ـ عالم الحجاز، والشام، فيقول: «من المروءة تركُ صحبةِ من لا خير فيه».

❖ وصدق القائل:

من جاورَ الشر لا يأمَنْ عواقبهُ   كيف الحياةُ مع الحياتِ في سَفَطِ؟[1]

❖ وقال آخر:

إذا كنتَ في قومٍ فصاحبْ خيارَهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

❖ وقال عدي بن زيد:

عن المرءِ لا تسلْ وسَلْ عن قرينِه   فكل قرينٍ بالمقارنِ يَقْتَدي

❖ ورحم الله القائل:

صحبةُ الصالحين بلسمُ قلبي   إنها للنفوس أعظمُ راقِ

---

(١) سفط: الوعاء الذي يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء.

❖ وقال آخر:

واحذر مؤاخاةَ الدنيء فإنه ... يُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ
واختر صديقك واصطفيه تفاخرًا ... إن القرين إلى المقارن يُنسَبُ

❖ وقال أهل العلم: لا تقل لي: من أنا؟ بل قل لي: من أصاحب، فتعرف من أنا».

❖ وقيل: الجاهل عدو نفسه، فكيف يكون صديقَ غيره؟.

❖ يا طالب العلم: اعلم ـ وفقك الله ـ أن الصديق الفاضل المتحلي بالأخلاق الكريمة، هو الذي ترتاح إليه النفس، ويطمئن به الفؤاد، وتنتعش به الروح.

واعلم ـ وفقك الله ـ أن صديقَ السوء هو الذي فسدت طباعُه، وساءت أخلاقُه.

والصداقة سجية كريمة، وفضيلة عُليا، وسمُي الصديق صديقاً لصدقه، وسمي الخليل خليلاً، لأن محبته تتخلل القلب، فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته.

❖ وإليك ـ أخي طالب العلم ـ توجيهاتُ الإسلام وتحذيراتُه من قرناء الشر، ورفقاء السوء. قال الله ـ عزّ وجلّ ـ:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾[1].

---

(١) الفرقان: (٢٧، ٢٨).

وقال أيضاً: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٢].

❖ ولنستمع إلى المربي الأول عليه الصلاة والسلام الذي يؤكد وينبه إلى أثر الصديق.

❖ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبيّ ﷺ قال: «**إنما مثلُ الجليس الصالح**[٣]**، والجليسِ السوءِ**[٤] **كحامل المسكِ ونافخ الكيرِ، فحاملُ المسك إما أن يُحْذِيَك**[٥]**، وإما أن تبتاعَ منه، وإما أن تجدَ منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرقَ ثيابك، وإما أن تجدَ منه ريحاً خبيثة**»[٦].

* وقال أيضاً: «**لا تصاحبْ إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلا تقيّ**»[٧].

وقال أيضاً: «**المرء على دينِ خليله، فلينظر أحدُكم من يُخالِل**»[٨].

---

(١) ق: (٢٧).
(٢) الزخرف: (٦٧).
(٣) الجليس الصالح: الصديق الفاضل المتحلي بالأخلاق الكريمة.
(٤) الجليس السوء: الصديق أو الصاحب الذي فسدت طباعه، وساءت أخلاقه.
(٥) يحذيك: يعطيك.
(٦) متفق عليه.
(٧) رواه أبو داود والترمذي.
(٨) رواه أبو داود والترمذي.

وقال ﷺ أيضاً: «**المرءُ مع مَنْ أحب**»[1].

وقال كذلك: «**إياكَ وقرينَ السوءِ فإنك به تُعرَف**»[2].

وقال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ما من شيءٍ أدلُّ على شيءٍ، ولا الدخانُ على النار، من الصاحب على الصاحب[3].

وقال جعفر الصادق ـ رضي الله عنه: «لا تفَتشْ على عيب الصديق فتبقى بلا صديق»[4].

وقال بعض الأدباء: «يُظَنُّ بالمرء ما يُظَنُّ بقرينه»[5].

وقال سيدنا عمر بن الخطاب: «ولا تصحب الفاجر فيحملك على الفجور، ولا تُفْشِ إليه سِرَّك» وقال كذلك: «وِحدةُ المرء خيرٌ من جليس السوء».

يا بُني احذر أن تقول يوم القيامة:

﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[6].

❖ اعلم ـ وفقك الله ـ أن الإسلام بتعاليمه التربوية وجَّه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة، وخاصة في

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن عساكر.

(٣) من كتاب (دليل السائلين)، أنس إسماعيل، ص١٥٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الفرقان: (٢٨، ٢٩).

سن التمييز والمراهقة، ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون، وإلى أين يغدون ويروحون؟ وإلى أي الأماكن يذهبون ويرتادون؟.

كما وجّههم أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم، وأدب رفيع، وعادة فاضلة، كما وجههم أن يحذّروهم من خلطاء الشر، ورفاق السوء، حتى لا يقعوا في حبائل غيهم، وشباك ضلالهم وانحرافهم، فإن أدب السوء دسَّاس، إذ الطبيعة نقّالة، والطباع سَرَّاقة، فتخير الصديق الصالح الذي يعينك على مطلبك، ويُقربك من ربك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1].

٨ ـ الانتفاع بالأوقات:

يا طالب العلم اعلم ـ وفقك الله ـ أن الأيام ماضية صاعدة، بينما أيام العمر على النقيض متناقصة، لذا كان حتمًا ولزامًا أن نهتم ونشعر بقيمة الوقت ونعي حقيقته، فالوقت هو لحظات يعيشها المرء على ظهر الأرض، وكما قيل: الوقت هو الحياة، وقيل: «الواجبات أكثر من الأوقات فعاونْ أخاك على الانتفاع بوقته، وإن كان لك مهمة فأوجز في قضائها»، وقيل أيضاً: «الوقت كالسيف إن لم تقطعْه قطعك».

والقرآن الكريم يبين لنا أهمية وقيمة الوقت حيث يُقسم الله تعالى في كتابه بكثير من الأوقاتِ والليالي والأيام حتى نتذكر ونتعلم ونعتبر وننتفع بأعمارنا.

---

(١) التوبة: (١١٩).

❖ قال تعالى:

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾[1].

❖ قال تعالى:

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[2].

❖ قال تعالى:

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾[3].

❖ قال تعالى:

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾[4].

❖ قال تعالى:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾[5].

❖ قال تعالى:

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١﴾[6].

❖ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾[7].

---

(١) التكوير: (١٧، ١٨).

(٢) الليل: (١، ٢).

(٣) الفجر: (١، ٢).

(٤) الضحى: (١، ٢).

(٥) العصر: (١، ٢).

(٦) ص: (٨١).

(٧) الفرقان: (٦٢).

وقد وصف الله تغير وتحول الأحوال في حياة الأمم بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] (أي صعود وهبوط، ومدّ وجزر)؛ حتى نشعر بقيمة الوقت والإحساس بالتاريخ وعجلة الزمن، ولأنَّ العمرَ قصير، لذا يَطلبُ منا القرآنُ أن نسارعَ إلى فعل الخيرات.

وفي السنُّة المطهرة نجد توجيهات الحبيب المصطفى ﷺ تحثنا على الانتفاع بالوقت. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ**»[2] أي الوقت.

وعنه أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتَك قبل موتِك، وصحتَك قبل سقَمِك، وفراغَك قبل شُغْلِك، وشبابَك قبل هَرَمِك، وغناك قبل فَقْرِك**»[3].

❖ وقال ﷺ: «**من خاف أدلج** (أي بادر الأعمال الصالحة) **ومن أدلج دخل الجنةَ، ألا إن سلعةَ اللَّهِ غاليةٌ، ألا إن سلعةَ اللَّهِ الجنة**»[4].

❖ وقال ﷺ: «**لن تزولَ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟**

---

(١) آل عمران: (١٤٠).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن عباس.

(٤) رواه البخاري وغيره.

وعن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه: ماذا عمل به؟»[1].

فمن استغل عمرَه وشبابَه وعلمَه ومالَه فيما ينفعه أَمِنَ الإجابةَ يوم القيامة، فعلى كل منا أن يبادرَ ويبكِّر في إنجاز أعماله، يقول رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال...**»[2].

ودعا لأمته: «**اللّهم بارك لأمتي في بكورها**»[3].

وقال عمر بن الخطاب[4] ـ رضي الله عنه ـ: «إني لأكره أن أرى أحدكم سبَهْلَلاً (أي فارغاً) لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

وقال أيضاً: «القوة في ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد».

❖ فعلى طالب العلم أن ينتفع بالوقت الذي هو رأسُ ماله، فهو هبة القدر الأعلى لنا، فالوقت لا يجامل أحدًا، فهو إما صديق، وإما عدو، صديق إن انتفعت به، وعدو إن أهملتَه وأضعتَه.

---

(١) رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له كما في الترغيب حديث (١٥٦٤).

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

(٤) عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين، كان إسلامه فتحًا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة، من المبشرين بالجنة، واصل الفتوحات، وحقق النصر على الفرس والروم، مؤسس التقويم الهجري، مصر الأمصار، دوّن الدواوين، طهّر شبه الجزيرة العربية من اليهود. استشهد في صلاة الفجر ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

❖ لذا جعل الله سبحانه وتعالى من مرور الأيام والليالي والشهور والسنين أكبر واعظ وأبلغ مذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

❖ وقال عمر بن عبد العزيز[1] ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما»[2].

وقال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «ما ندمتُ على شيءٍ ندمي على يوم غربت فيه شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي»[3].

ومن أقوال الحسنِ البصري ـ رحمه الله ـ:

«يا ابنَ آدم إنما أنت أيام، فإذا ذهبَ يومٌ ذهب بعضُك».

ويقول: «ما مِنْ يومٍ ينشقُّ فجرُه إلا ويقول: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة»[4].

إذا كان مرور يوم واحد على الإنسان شيء خطير وله أهمية كبرى فكيف بمرور عام؟.

---

(١) عمر بن عبدالعزيز: الخليفة الأموي الثامن، (٩٩ ـ ١٠١هـ)، لورعه وعدله وزهده، لقبه البعض بخامس الخلفاء الراشدين، قيل عنه: «كانت العلماء مع عمر بن عبدالعزيز تلاميذه».

(٢) دليل السائلين. أنس إسماعيل، ص٦٢٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

❖ ورحم الله أحمد شوقي:

دقـاتُ قـلـبِ الـمـرءِ قـائـلـةٌ لـه إن الـحـيـاةَ دقـائـقٌ وثـوانِ
فارفع لنفسِك بعد موتِك ذكْرَها فـالـذِّكْـرُ لـلإنـسـانِ عـمـرٌ ثـانِ

❖ إن الوقت سلاح ينبغي أن ننتفع به ونستغله لمصلحتنا وإلا سيكون سلاحاً ضدنا، وعلينا أن نعتبر بمَنْ حولَنا من الأمم الواعية، وكيف يخططون لمستقبلهم.

إن قطارَ الزمنِ يجري بسرعةٍ فائقة، إنه لا يتوقف في محطة أبدًا، فهو دائب الحركة ليلاً ونهارًا، هكذا خلق الله الليل والنهار وجعلهما يتعاقبان؛ ليختبر الغافل من الذاكر، والجاحد من الشاكر.

❖ يا طالب العلم احذر اللهوَ، والغفلةَ، فالعمرُ قصيرٌ، والأنفاسُ معدودة.

إنّـا لـنـفـرحُ بـالأيـام نـقـطـعـهـا وكل يوم مضى يُدني من الأجل
اعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإنما الربح والخسران في العملِ

❖ يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «العبدُ من حين استقرت قدمُه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره عمره، والأيام والليالي مراحل...».

ويقول: السَّنةُ شجرةٌ، والشهورُ فروعُها، والأيامُ أغصانُها، والساعاتُ أوراقُها، والأنفاسُ أثمارُها، فمن كانت أنفاسُه في طاعة فثمرة شجرتِه طيبة، ومن كانت أنفاسه في معصية فثمرة شجرتِه حنظلة...».

وهذا شاعر يعاتب الكسلان الذي لا ينتهز وقته في طلب العلم فيقول له:

إذا كان يُؤذيك حرُّ المصيف ويُبْس الخريف وبرد الشتا
ويُلْهِكَ حسنُ زمانِ الربيعِ فأخْذُكَ للعلم قل لي متى؟

❖ والعجيب أننا - نحن المسلمين - نَنْسَى، بينما غيرنا يتذكر، مع أن الله ينادينا صباحًا ومساءً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ ومعنى خِلْفَةً: أي يخلف أحدهما الآخر لمن أراد أن يتذكر آلاء الله، ويتفكر في بدائع صنعه.

قال بعض الحكماء: اغتنم بياضَ النهار قبل سواد الليل، وسوادَ الليل قبل بياضِ النهار؛ لأنك لا تعلم إذا كنت في بياض النهار هل يأتي عليك سواد الليل أم لا؟.

وقال الخليل بن أحمد: «أيامي أربعة: يوم أخرجُ فألْقَى فيه من هو أعلم مني فأتعلم منه فذاك يوم فائدتي وغنيمتي، ويوم أخرج فألْقَى فيه من أنا أعلم منه فأعلِّمه فذاك يوم أجري، ويوم أخرج فألْقَى فيه مَنْ هو مثلي فأذاكره فذاك يوم درسي، ويوم أخرج فيه فألقى فيه من هو دوني وهو يرى أنه فوقي فلا أكلمه وأجعله يوم راحتي»[1].

وكان من دعاء أبي بكر الصديق[2] - رضي الله عنه -:

«اللّهم لا تدعْنا في غَمْرة، ولا تأخذنا على غِرَّةٍ، ولا تجعلنا من الغافلين»[3].

---

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله. ص٩٩.

(٢) أبو بكر الصديق: بويع بالخلافة (١١هـ حتى ١٣هـ)، أول من أسلم من الرجال، ثاني اثنين إذ هما في الغار، بُشِّر بالجنة، جمع القرآن، قضى على المرتدين، بدأ حركة الفتوحات.

(٣) دليل السائلين.

وكان من دعاء عمر بن الطاب ـ رضي الله عنه ـ:

«اللّهم إنا نسألك صلاحَ الساعاتِ، والبركةَ في الأوقات»[1].

وكان بعضهم يدعو: «اللّهم اجعل أولَ هذا النهار صلاحًا، وأوسطَه فلاحًا، وآخرَه نجاحًا»[2].

«اللّهم اجعل صباحَنا صباحَ الصالحين، ومساءَنا مساءَ الصالحين».

«اللّهم ارزقنا خيرَ الصباحِ، وخيرَ المساء، وخيرَ القضاء، وخيرَ القدر».

«ونعوذ بك من شرِّ الصباح، وشرِّ المساء، وشرِّ القضاء، وشرِّ القدر».

٩ ـ الحرص على الاستزادة من العلم:

❖ ومن آداب طالب العلم أن يكون حريصًا على طلب العلم، مواظباً على تحصيله في جميع الأوقات التي يتمكن فيها من نيل العلم، ولا يقنع بالقيل مع تمكنه من الكثير، لكن لا يحمِّل نفسه ما لا يطيق، مخافة الملل، بل عليه أن يكون شديد الحرص على الاستماع والمسارعة إليه، والاستزادة منه.

❖ وفي القرآن الكريم يأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ نبينا محمداً ﷺ بالاستزادة من العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3] وذلك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) طه: (١١٤).

من أجل تحقيق التعلم المستمر؛ لأن العلم بحر لا قرار له، ولا شطآن له، وكلما تعمق طالبه فيه، تفتحت له أبواب جديدة وأمور عجيبة كانت خافية، تدعوه إلى المزيد من البحث والاكتشاف.

لذا قال العلماء: لم يؤمر رسول الله ﷺ بالاستزادة من شيء كما أُمر بالاستزادة من العلم.

❖ يقول الدكتور أحمد زويل: «كلما تتعمق في العلم تكتشف أنك صغير»[(١)].

❖ وفي سورة الكهف نقرأ قصة لنموذج طالب العلم هو كليم الله موسى عليه السلام، وهو نَبيٌّ من أولي العزم، نراه يسعى ويرحل من أجل طلب العلم ويذهب إلى مجمع البحرين، ليقابل الخضر ـ عليه السلام ـ ولذا قال قتادة[(٢)]: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى ـ عليه السلام ـ، ولكنه قال للخضر عندما قابله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[(٣)]؟.

انظر إلى ذلك الحرص من سيدنا موسى على العلم، وتأمل الأدب ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ في الاستئذان الراقي، هذا هو سيدنا موسى الذي قال الله في حقه: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي

---

(١) كتاب «أحمد زويل العبقري العربي». صاحب نوبل ٩٩ لمحمد صديق المنشاوي.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، مفسر، وحافظ، ولغويّ، ضرير، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل «قتادة أحفظ أهل البصرة»، مات في (واسط) بالعراق سنة (١١٨هـ).

(٣) الكهف: (٦٦).

﴿وَبِكَلَٰمِي﴾[1] رغم هذا سافر وارتحل وتعب هو وفتاه (يوشع) - عليهما السلام - من أجل العلم.

❖ وكان سيدُنا سليمانُ الحكيمُ - عليه السلام يقول: «اطلب العلم يزيدك العلم علماً».

ويبين الله لنا أنه مهما أوتينا من علم فعلمنا قليل.

يقول الله عزّ من قائل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[3].

وفي هذا يقول الحسن البصري - الواعظ البكّاء - ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عزّ وجلّ.

وعن سعيد بن جبير[4] قال: كنا عند ابن عباس فحدث بحديث عجيب، فتعجب رجل فقال: الحمد لله، وفوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئس ما قلت، الله العليم فوق كل عالم، يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم.

وقال قتادة: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، منه بُدِىءَ، ومنه تعلمتِ العلماء، وإليه يعود[5].

---

(١) الأعراف: (١٤٤).

(٢) الإسراء: (٨٥).

(٣) يوسف: (٧٦).

(٤) سعيد بن جبير: تابعي، حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، قتله الحجاج في مدينة (واسط) سنة ٩٥هـ.

(٥) مختصر تفسير ابن كثير - المجلد/٢ ص٢٥٧، ٢٥٨.

❖ وقال ﷺ: «**منهومان لا يقضي واحدٌ منهما نُهْمَتَه: منهوم في طلب العلم، ومنهوم في طلب الدنيا**»[1].

وقال ابن عباس: منهومان لا تنقضي نُهْمتُهُما: طالبُ علمٍ، وطالب دنيا[2].

وقال لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله[3].

وكان الإمام أحمد بنُ حنبل يقول: «مع المحبرة حتى المقبرة».

والإمام الشافعي يحث على الحركة والتجديد والاستزادة فيقول:

إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يُفسدُه   إن سالَ طابَ وإن لم يجْرِ لم يطب

وقال آخر:

وإن أنت لم تبغ الزيادة في العُلا   فأنت على النقصان منهنَّ حاصِلُ

وكان من دعاء الرسول ﷺ: «**اللّهم انفعني بما علَّمْتَني، وعلِّمني ما ينفعني، وزدني علماً**»[4].

❖ وكان من شدة حرص الصحابة على تلقي العلم، أنه إذا

---

(١) ذكره الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) في كتابه. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) (١٠/١).

(٢) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.

(٣) المصدر السابق.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه.

تغيب أحدهم لظرف ما عن درس من دروس رسول الله - ﷺ - يسأل صاحبه عن خبر ذلك المجلس، فهذا هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يسكن في عوالي[1] المدينة، بعيدًا عن مسجد رسول الله، فلا يستطيع النزول كل يوم إلى المسجد، لاشتغاله بالزراعة، فيقول: (كنت وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزولَ على رسول الله - ﷺ - ينزل يومًا، وأنزل يومًا، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك[2].

ومن أقوال سعيد بن جبير: «لا يزال المرء عالماً ما تعلم، فإذا ترك كان أجهل ما يكون»[3].

ويقول سيدنا علي بنُ أبي طالب: «الإعجاب يمنع من الازدياد» لذا شاع بين المسلمين هذه الحكمة (اطلبِ العلمَ من المهد إلى اللحد).

ومن حِكَم عبدالله بن المبارك التي يقول فيها: «لا يزال المرء عالماً ما طَلَب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل»[4].

ومن كلمات الإمام الشافعي: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم».

---

(١) عوالي المدينة: أقاصي المدينة.

(٢) فتح الباري. كتاب العلم. باب التناوب في العلم.

(٣) (الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه) - لأبي هلال العسكري، ص٦٢.

(٤) كتاب «المجالسة» للدينوري ١٨٦/٢.

❖ ومن أقوال السلف: «آفةُ العبدِ رضاهُ عن نفسه».

❖ وقال الشاعر للذين يدَّعون العلم:

قل لمن يدعي في العلم معرفة عرفتَ شيئاً وغابت عنك أشياء

وتذكر - يا طالب العلم - قول الحق: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

وسُئِل سفيانُ بنُ عُيينة: منْ أحوج الناس إلى العلم؟

قال: أعلمهم؛ لأن الخطأ منه أقبح[1].

وكان سلف الأمة حريصين على ألا يمر يوم دون أن يكتبوا فيه شيئاً من العلم، مما قل منه أو كثر، وإلا عدّوا هذا اليوم ضياعاً وغُبْناً.

فلقد جاء في الأثر قولُ أحدهم: «إذا أتى عليَّ يوم لم أزدد فيه علماً يقربني من الله - عزّ وجلّ - فلا بُورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»[2].

هذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم مطبقاً ذلك المبدأ وعاملاً بهذا الشعار «تعلمْ لتتعلم» (Learning to learn).

ومن كلمات أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم[3] «من ظنّ نفسه عالماً فليبك على نفسه»، فاحذر - يا أخي - خطأ العبارات

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله. ص٦٧.

(٢) (الرسول والعلم) العلامة الشيخ يوسف القرضاوي.

(٣) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: أول من عين في منصب قاضي القضاة، وكان في زمن الخليفة هارون الرشيد.

التي تلوكها الألسنة من مثل: (ليس في الإمكان أفضل مما كان) أو (ما ترك الأول للآخر) ولكن نقول: كم ترك الأول للآخر! فهي دعوة لإعمال العقل وحضّ على طلب العلم، وقدر كلّ امرىءٍ ما كان يُحسِنه[1].

١٠ ـ عُلُو الهمة:

من سجايا الإسلام التحلي بُعلُوِّ الهمة، ولابدّ لسالك العلم من همة تُسَيِّرُه وترقيه، وعلم يُبَصِّره ويهديه، وكِبَرُ الهمة يجلب لك ـ بإذن الله ـ خيرًا كثيرًا لترقى إلى درجات الكمال، فيجري في عروقِك دمُ الشهادة، والاندفاع في طلب العلم والعمل.

والتحلي بعلو الهمة يجعل الإنسان يسمو ويترفع عن سفاسف الأمور، ويجتث شجرة الذل والهوان والتملق والمداهنة. فكبير الهمة ثابتُ الجأش، لا تُرهبُه المواقف، وعلوُّ الهمة حلية ورثة الأنبياء، أما فاقد الهمة إنسانٌ جبان، كسلان.

يقول ابن القيم: «من علامةِ كمالِ العقلِ عُلُوُّ الهمة، والراضي بالدون دنيء»[2].

وقال الجنيد أحدُ علماءِ الصوفية:

«ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله، فإن لم ينلْه كلَّه نال بعضه»[3].

---

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.
(٢) (صيد الخاطر).. لابن القيم.
(٣) «الجامع لأخلاق الراوي» ١٧٩/٢.

وقيل:

عُلو القَدْرِ بالهممِ العوالي وعزُّ المرءِ في سَهَرِ الليالي

ورحم الله القائل:

إذا كنت ترجو كبارَ الأمور فأعْدِدْ لها همةً أكبرا

وقيل:

خذ المعالي إذا ما رمتَ تُدركها واعبر إليها على جسر من التعب

وقيل:

لا تحسبِ المجدَ تمرًا أنت آكله لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرا

❖ إن عالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بُغْيته؛ لأنه يعلم أن المكارمَ منوطةٌ بالمكاره. وأن المصالحَ والخيرات، واللذات والكمالات، كلها لا تُنال إلا بحظ من المشقة، ولا يُعبر إليها إلا على جسر من التعب.

❖ وصدق القائل: «من طلب الراحة، ترك الراحة».

❖ وعلمنا التاريخ أننا بالإيمان والثقة والعزم والإرادة يمكن أن نجابه المحن ونتغلب عليها، وأن الأيام دول، وفي الأمثال اليابانية (كل كارثةٍ كاشفة)، وعند أهل الصين فإن كلمة (الأزمة) تعني (المصيبة) وقد تعني (الفرصة) مصيبة إذا استسلمتَ لها، وفرصة إن تعلمت منها، واعتبرت بها.

وانظر إلى هيروشيما ونجازاكي اللتين ضُرِبتا بقنبلتين ذريتين سنة ١٩٤٥م ودمرتا تماماً ولكن أصبحتا اليوم قلعتين صناعيتين، وذلك بعلو الهمة والعزيمة والتحدي.

❖ وما أروعَ قولَ المتنبيّ:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسامُ

أما أمير الشعراء فيقول:

وما نيلُ المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا
وما استعصى على قوم منال إذا الإِقدام كان لهم ركابا

وقال محمود سامي البارودي ـ رحمه الله ـ:

ومن تكن العلياءُ همةَ نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

وقال الإمام مسلم في صحيحه: قال يحيى بن كثير: «لا ينال العلم براحة البدن».

❖ فلابدّ لطالب العلم من الهمة العالية، فإن المرءَ يطيرُ بهمته كالطير، يطير بجناحيه، فمن أراد الغنيمة صحّح العزيمة، وإذا صح العزم وضُحَ السبيل.

❖ وصدق أبو الطيب المتنبيّ:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكِرام المكارمُ
وتعظمُ في عين الصغير صغارُها وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

وقال آخر:

تهونُ علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناءَ لم يغلِها المهر

❖ ابني الحبيب هل سمعت بالأمريكية هيلين كيلر (١٨٨٠ ـ ١٩٦٨م) عمياءُ صماءُ خرساءُ، ولكنها تغلبت على كل هذا فدرست مختلف العلوم واللغات، وأصبحت محاضرةً في الجامعة وكاتبةً ومؤلفةً.

لقد «أجمع عقلاء كل أمة من الأمم على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن مَنْ آثر الراحة، فاتته الراحة.

وأنه بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا همة له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً، استراح طويلاً.

وصدق القائل:

ومن لا يحب صعود الجبال   يعش أبد الدهر بين الحفر

فهذا حال ضعيف الهمة.

❖ يا كبير الهمة: «لا يضرُّك التفرد، فإن طرقَ العلا قليلةُ الإيناسِ».

وقال سفيان بن عيينة[1]: «اسلكوا سبيلَ الحقِّ، ولا تستوحشوا من قلة أهلها».

❖ وقيل:

فكن رجُلاً رجْلُه في الثرى   وهامةُ همته في الثريا

❖ وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «الزم طريقَ الهُدى، ولا يضرك قلةُ السالكين، وإياكَ وطرقَ الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين».

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي، من الموالي، وتوفي سنة (٩٨هـ).

❖ ويقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - في هذا المعنى:

أخي فامض لا تلتفت للوراء طريقك قد خضَّبتْه الدماء
ولا تلتفت هاهنا أو هناك ولا تتطلع لغير السماء

❖ إن الحركة وَلود، والسكونَ عقيم، والحركة في قاموس الدعاة وطلاب المعالي هي الحياة، والسكون هو الموت.

❖ قال الجيلاني: «الحركة بداية، والسكون نهاية، وبالحركة انتشر الإسلام» ويقول سيدنا عمر بن الخطاب: ترك الحركة غفلة.

❖ وقيل في الأمثال: الحركة بركة.

❖ وعلمنا الإسلام أنه من قلب ظلام اليأس ينبثق الأمل، ومن قلب الذي نكره قد تتفجر ينابيع الخير ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

❖ علمنا الإسلام أيضاً أن الانفراجَ يأتي بعد الشدة، وأن الضياءَ بعد الظلام، وأن اليسر بعد العسر ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2].

❖ بالإرادةِ وعلوِّ الهمةِ يمكن لطالب العلم أن يتغلب على كل التحديات والمحن التي سرعان ما تنقلب إلى منح بإذن الله.

---

(١) البقرة: (٢١٦).

(٢) الطلاق: (٧).

❖ يقول الحكماء: معرفة أسباب الفشل نصف النجاح.. ومعرفة أسباب النجاح استمرار النجاح.

❖ يقول أحد أبرز أبطال حرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٦ ـ **١٧٨٣**م) ضد بريطانيا، وهو «جورج واشنطن» «إنما الهزيمة عامل يحفز الهمم، وسوف ننجح في المرة التالية»[١]. وفعلاً حقق الأمريكان الاستقلال سنة **١٧٨٣**م.

❖ فعلى طالب العلم أن يتسلح بالعزم، والثقة بالنفس، واليقين بالنجاح، وعدم اليأس.

وليتذكر الشعار الذي رفعه «توماس أديسون» وهو: «حاولْ مرة ثانية».

❖ وليتذكر طالبُ العلم أيضاً نظرية الفيلسوف البريطاني (توينبي)[٢] وخلاصتها أن تحَدي الإنسان للظروف الصعبة هو الذي يؤدي إلى قيام الحضارة.

❖ قيل: «جلس أحد الحكماء تحت شجرة، فقامت النملة تريد أن تطلع فسقطت، فحاولت فسقطت، فحاولت فسقطت، وبعد السبعين حاولت وطلعت»... فهل نتعلم؟.

وصدق من قال: «رب همَّة؛ أحيت أمَّة» وقيل: «رب همَّة أوصلت إلى القمَّة».

---

(١) جورج واشنطن: قاد الثورة ضد الوجود الإنجليزي، أصبح أول رئيس للولايات المتحدة سنة (١٧٨٩م) ثم أعيد انتخابه سنة **١٧٩٢**م ثم رفض أن يرشح نفسه مرة ثالثة.

(٢) أرنولد توينبي: مؤرخ وفيلسوف بريطاني (١٨٨٩ ـ ١٩٤١) صاحب نظرية التحدي والاستجابة.

❖ والتاريخ خير شاهد، فأصحاب الهمم العالية هم الذين حولوا الأحلام إلى حقائق واقعية، وغيروا مجرى التاريخ.

❖ نعم، إن من يملك الإرادة يملك القوة وأسبابها.

١١ ـ توقير العلم وإكرامه:

❖ إن من أهم ما يجب على طالب العلم أن يوقرَ أستاذَه، ويقدرَه، ويبجلَه لله تعالى، ولقد أثنى القرآن الكريم على العلماء، ورفعَ شأنهم، يتضح ذلك من خلال الآيات القرآنية العديدة التي تمجد العلماءَ وتعظمُ منزلتهم، وتبين مرتبتَهم وقدرَهم فوقَ سائرِ البشر. من هذه الآيات:

﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2].

﴿... شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[3].

﴿... فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

والعلماء هم الذين يُلجأ إليهم وقت الشدة والفتن والأخطار، فهم مصابيح هذه الأمة، ومنارات الهداية، تستضيء بقولهم، وتستنير برأيهم، وتسترشد بهديهم.

---

(١) الزمر: (٩).

(٢) المجادلة: (١١).

(٣) آل عمران: (١٨).

(٤) النحل: (٤٣).

يحكي لنا القرآن الكريم أن قارون عندما خرج على قومه في أظهر زينة ومعه حَشَمه وخَدَمه في موكب حافل باهر، فلما رآه ضعفاء الإيمان ممن تخدعهم الدنيا ببريقها وزخرفها وزينتها، قالوا يا ليت لنا مثل هذا الثراء والغنى الذي أُعطيه قارون، هنا ظهر العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة فردعوهم وزجروهم، نجد بيان ذلك في سورة القصص في قوله تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[١].

❖ ويسجل لنا شيخ المؤرخين الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الشناوي ـ رحمه الله ـ في كتابه القيم «الأزهر جامعاً وجامعة»[٢] أن الأزهر «كان قلعةً إسلامية دفاعاً عن الإسلام والعروبة...» فعلماؤه هم الذين تصدوا للفساد والاستبداد الداخلي والغزو الخارجي، وهم الذين قادوا الجهاد بالتوجيه والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء السنة، ورد البدعة، عبر التاريخ.

لذا يجب ـ أيها الحبيب ـ أن تجعل أستاذَك محل إجلالٍ منك وإكرام وتقدير، تلطف عند الجلوسِ أمامه، أو التحدثِ إليه، أو الاستماعِ له، وإذا تصفحْتَ كتاباً أمامه فبرفقٍ ولين.

---

(١) القصص: (٧٩، ٨٠).

(٢) مكتبة الأنجلو المصرية ـ المجلد الأول طبعة ١٩٨٣م.

ودع الجدال والمماراة معه، ولا تتقدم عليه بكلام أو مسير، ولا تُكثِرِ الكلامَ عنده، وتجنب الإكثار عليه في السؤال، أو الإلحاح في الجواب، أو مداخلته في حديثِه ودرسِه بكلام منك. ولا تناديه باسمِهِ مجردًا، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان أو يا أستاذ فلان! بل قل: يا شيخي! أو يا شيخنا، أو يا أستاذي أو يا أستاذنا، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبْه بتاء الخطاب (أنت..) أو تناده عن بعد من غير اضطرار «إنّ من السنّة أن توقِّر العالم»[1].

❖ هذه مجموعة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم، فإن المعلم لتلميذه بمنزلة الأب لولده، بل قال يحيى بن معاذ[2] ـ رحمه الله ـ: العلماءُ أرحم بأمة محمد ـ ﷺ ـ من آبائهم وأمهاتهم، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءَهم وأمهاتِهم يحفظونهم من نار الدنيا، والعلماءُ يحفظونهم من نار الآخرة.

❖ ويقول الإمام الغزاليّ في كتابه (الإحياء)[3]: حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر، والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية.

❖ يقول الشاعر مبيناً الفرق بين المعلم والأب:

فهذا مربي الروحِ والروحُ جوهرٌ وذاك مربي الجسم والجسمُ كالصدف

---

(١) «من السنة توقير العالم» قول طاووس (تهذيب جامع بيان العلم. ص٨١).

(٢) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، واعظ، زاهد، توفي بنيسابور سنة (٢٥٨هـ).

(٣) إحياء علوم الدين/ أبو حامد محمد الغزالي.

ومن إكرام العلماء حتى بعد موتهم: ما فعله الرسول ﷺ مع شهداء غزوة أُحد سنة ٣هـ.

- فعن جابر بن عبدالله أن النبيّ ﷺ، كان يجمع بين الرجلين من قتلى غزوة أُحد (يعني في القبر) ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد[١].

وفي هذا التقديم رمز لتكريمه لفضل ما معه من قرآن أكثر.

تعظيمُ العلمِ وأهلِه:

تأمل النصيحة الذهبية التي أسداها إمام المتقين سيدنا عليّ بن أبي طالب - كرمّ الله وجهه - وهو يقول:

«من حق العالم عليك إذا أتيته أن تُسلم عليه خاصةً وعلى القوم عامةً، وتجلس قدَّامه، ولا تشِرْ بيدك، ولا تغمِزْ بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثربه، ولا تلح عليه في السؤال، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء»[٢].

❖ قال العلماء: «التملقُ مذمومٌ إلا في طلب العلم، فإنه ينبغي للطالب أن يتملّقَ أستاذه ليستفيد منه».

ويقول ابن القيم: «إذا جلستَ إلى عالمٍ، فسل تفقُّهاً لا تعنُّتا»[٣].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) العقد الفريد. للفقيه ابن عبد ربه الأندلسي.. ج٢، ص٨٤.

(٣) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم.

وبقدر تأدب الطالب مع المعلمين يكون انتفاعه بالعلم وفهمُه له، وصدق الشاعر الذي يقول:

إن المعلمَ والطبيبَ كليْهِما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائِك إن أهنْتَ طبيبَه واصبِرْ لجهلك إن جفوت معلما

❖ اعلم - وفقك الله - أن طالب العلم، لا ينال العلم، ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله، وتعظيم الأستاذ وتوقيره، وتوقير أولاده.. وتعظيم الكتاب بالاهتمام والعناية به.

❖ وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ، قال:

«ليس من أمتي من لم يجِلَّ كبيرَنا ويرحمْ صغيرَنا، ويعرفْ لعالمنا»[1]، أي: يعرف له حقه.

❖ وجاء في كتاب (الحث على طلب العلم... لأبي هلال العسكري) أن الخليفةَ هارونَ الرشيد أرسل إلى الإمام مالك[2] ليحدث في قصره، فرد عليه أن العلم يُؤتَى ولا يأتِي، فجاءَ الخليفةُ إلى منزلِ الإمامِ، وجلس مع الإمام مستنداً إلى الجدار، فقال الإمام: يا أميرَ المؤمنينَ إن من إجلال اللَّهِ إجلال ذي الشيبة المسلم، فجلس الخليفة بين يدي الإمام، وبعد مدة قال الخليفة للإمام: تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علمُ سفيانَ بنِ عيينةَ فلم ننتفع به!! (وكان يأتي إلى بيوتهم فيحدثهم، ويأخذُ دراهمَهم).

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن، والطبراني، والحاكم إلا أنه قال: **«ليس منا»**، (بدلاً) من: **«ليس من أمتي»**.

(٢) مالك بن أنس: إمام دار الهجرة، ولد بالمدينة سنة (٨٤هـ) وتوفي فيها سنة (١٧٩هـ)، تتبين منزلته من القول المشهور: «لا يفتى ومالك في المدينة» قال عنه الشافعي: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم».

❖ وحسبنا أن نذكر ونؤكد لكل طالب علم قصة نبي الله موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ حين احتاج إلى علمه حيث شرط عليه سيدنا الخضر أن يصبر ولا يعصي له أمرًا، وألاّ يسألَه عن شيءٍ يعمله حتى يخبره الخضر بحكمته. وكان سيدُنا موسى مؤدباً ومتواضعاً، يظهر ذلك جلياً في قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فهو اتباعٌ وليس رفقةً أو مصاحبة وهو يستأذنه في هذا، لأن المعلمَ المتطوعَ هو صاحب الحق في انتقاء طلبته، يقبل من يشاء، ويرفض ولا معقب عليه، وعلى الرغم من أن سيدنا موسى (التلميذ) من أولي العزم من الرسل، أما سيدنا الخضر وهو مختلَفٌ في نبوته، هل هو نبيٌّ أم وليّ؟، وعلى الرغم من ذلك ارتحل سيدنا موسى إليه ليتعلم منه.

❖ وعن الشعبي قال: صلّى زيد بن ثابت على جنازة، ثم قُرِّبَتْ له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس، فأخذ بركابه توقيرًا وتعظيماً لعلمه وفضله، فقال له زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله. فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء والكبراء[1]. (أي في الدين) فقبّل زيدُ بنُ ثابت يدَه وقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا ﷺ.

❖ ومن توقير المتعلم للمعلم: أن يحسنَ الصمتَ في موضعه، كما يحسن الكلامَ أو السؤالَ في موضعه، وأن يعترف بحق أستاذه عليه.

❖ وقال الشعبي: كل من سمعتُ منه حديثاً، فأنا له عبد.

---

(١) تهذيب جامع بيان العلم وفضله. ص٩٥.

❖ وجرى على ألسنة المسلمين أمثلة حول هذا المعنى مثل قولهم: «من علمني حرفاً صرت له عبداً».

وحفظ الناس كلمات أمير الشعراء أحمد شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رسولا!!
أرأيت أعظمَ أو أجلَّ من الذي   يبني وينشىء أنفساً وعقولا؟

والعالم أو الأستاذ هو الغارس الذي يغرس في هذه الأمة سمو الخلق، وحسن التربية، ونور العلم والمعرفة.

❖ وكذلك نستطيع أن نقول: إن كل عاملٍ أو موظفٍ أو طبيبٍ أو مهندسٍ أو مفكرٍ أو أديبٍ أو فنانٍ هو نتاج هذا المعلم أولاً. ولذلك قيل: «لولا المرَبِّي ما عرفت ربي».

❖ والمعلم هو ميزان الأمة، فإن رجَحَتْ كفتُه تقدمت أمته، وإن أضاعته الأمة ضاعت معه، ولم يحدث أن بُنِيَتْ حضارةٌ بغير معلم، أو ازدهرت حياةُ أمةٍ ومعلمُ أبنائِها منكس الرأس مضيع[1].

❖ ومما يؤيد ما ذهبنا إليه، اليابان التي تُعد إحدى الأمم الراقية التي حققت نهضةً شاملةً، ومرد ذلك إلى نجاح نظامها التعليمي، فالمعلم يعد أحد أسباب هذا النجاح؛ فوظيفته هي أرقى الوظائف الاجتماعية، وأعلاها راتباً، وأعظمَها تقديرًا.

---

(١) «السلوك الاجتماعي في الإسلام» فضيلة العلامة الشيخ حسن أيوب.

تلاميذ صاروا قدوة في العلم والأدب:

قال الشافعي: «كنت أتصفح الورق بين يدي مالك برفق لئلا يسمع وقْعَه»[1].

❖ كان الشيخ الكسائيّ ـ عالمُ النحو المشهور ـ مُعلِّماً في قصر هارون الرشيد وكان معلم ابنيه الأمين والمأمون، وفي ذات يوم شرح الدرس، فلما انتهى منه استبق التلميذان لحمل نعله، فاختلفا على ذلك ثم اتفقا على أن يقدم كل واحدٍ نعلاً له[2].

❖ وقال الربيع تلميذ الشافعي: «والله ما اجترأتُ أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبةً له»[3].

❖ وقال أبو يوسف يعقوب بنُ إبراهيم تلميذُ الإمام أبي حنيفة: «إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويّ، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: «إني لأدعو لحماد مع أبوي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمني علماً».

❖ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «ما بِتُّ منذ ثلاثين سنةً إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له».

❖ حكي أن هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي[4]

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم. لابن جماعة، ص٨٨.

(٢) هارون الرشيد الخليفة العباسي الخامس وهو الخليفة الذي كان يحج عاماً ويغزو عاماً (١٧٠ ـ ١٩٣هـ)، الأمين (١٩٣ ـ ١٩٨هـ)، والمأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم. ص٨٨.

(٤) الأصمعي: أبو سعيد عبدالملك بن قريب، أديب لغوي، نحوي، محدث، فقيه (ت سنة ٢١٦هـ).

ليعلمه العلم والأدب، فرآه يوماً يتوضأ، ويغسل رجليه، وابن الخليفة يصب الماء على رجليه، فعاتب الخليفةُ الأصمعيَّ في ذلك، فقال: إنما بعثته إليك لتعلمه العلم وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل بالأخرى رجلَك»؟[1].

❖ وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: «أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر الدعاء له» فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للجسد، فانظر هل لهذين خَلَفٌ أو عنهما من عِوَض».

❖ وكان أحد التلاميذ يقول لأستاذه: «علمني ـ رحمك الله ـ مما علمك الله».

❖ ومما يجدر التنبيه إليه أن يحذَر طالبُ العلم الاقتصارَ على قراءة كتب العلم دون الأخذ عن العلماء أو المعلمين، لأن الأخذَ عنهم فيه اختصار للوقت، وتنبيهٌ على أخطاء بعض المؤلفين، وذكرٌ للفوائد، وحلٌّ للمشكلات القرائية، وفيه ربط للمعاني والمسائل، واكتسابُ خبرةٍ، وفيه وقاية للطالب من الاجتهادات غير الصائبة والمنحرفة، وفيه تعلُّمٌ لطرائق التأدب مع العلماء، ومعرفةُ الطالبِ حجمه بين أهل العلم.

❖ وقد قيل قديماً: «من كان شيخه كتابه، فخطؤه أكثر من صوابه».

❖ وقد قال الإمام الشافعي: من تشيخ من بطون الكتب ضيع الأحكام.

---

(١) «تعليم المتعلم في طريق التعلم» الإمام برهان الدين الزرنوجي، ص٥٠.

وقيل: «من دخل في العلم وحده خرج وحده» أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ (معلم) خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكلُّ صنعةٍ تحتاج إلى صانع[1].

١٢ ـ حُسْنُ السؤالِ:

لقد تناول المنهج الإسلامي طريقةَ الأسئلةِ والأجوبةِ وأسلوبَ الحوارِ في كثير من القضايا بإقناع الناس بها وتثبيتها في العقول حول بعض القضايا، كقضية الخلق والغيب مثلاً، قال تعالى في **سورة الطور**:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

وقال تعالى في **سورة الروم**:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

❖ أسلوب السؤال والجواب يُعَدُّ في المرتبة الأولى في مناهج التربية والتعليم لقوة وضوحه، وشدة تأثيره، وتحديد

---

(١) «الجواهر والدرر» للسخاوي (٥٨/١).

مدلوله، فهو يثير الشعورَ، ويسترعي الانتباهَ، ويركز الفكرَ، ويوقظ الذهنَ؛ لتصور المسؤول عنه، ولتلقي الجواب.

❖ والسؤال من ضروريات التعليم الناجح، بل لقد كانت كثير من أسباب النزول القرآني عبارةً عن أسئلةٍ أو مسائلَ أو مشاكلَ مثل: «**يسألونك عن**. . .».

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[1].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾[2].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[3].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[4].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[5].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[6].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[7].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[8].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[9].

---

(١) الإسراء: (٨٥).
(٢) طه: (١٠٥).
(٣) البقرة: (٢٢٠).
(٤) النازعات: (٤٢).
(٥) البقرة: (٢٢٢).
(٦) البقرة: (٢١٧).
(٧) البقرة: (١٨٩).
(٨) البقرة: (٢١٥).
(٩) البقرة: (٢١٩).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[1].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[2].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾[3].

وجاء في كتاب الله هذه الآية: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والتي وردت في سورتين النحل: آية (٤٣)، وسورة الأنبياء الآية (٧).

كما ورد في السنة المطهرة الكثير والكثير من الأسئلة التعليمية مثل:

«أتدرون من المفلِس؟»، «أتدرون ما أخبارُها؟»، «أتدرون ما الغِيبةَ»، «أتدرون من المهاجر؟»، «ما الإسلامُ؟»، «ما الإيمانُ؟»، «ما الإحسانُ؟»، «ما الساعةُ؟»، «وما أماراتُها؟»، «ما الدينُ؟»، «ما الوهنُ؟» الكثير من الأسئلة التعليمية.

أهمية السؤال:

❖ هناك حكمة تقول: إن الأسئلةَ هي الطريقُ السحريُّ إلى قلوبِ وعقولِ الآخرين.

❖ ولو تأملنا الآياتِ القرآنيةَ أو الأحاديثَ النبويةَ التي وردت بصيغة أسئلة وهي كثيرة، لرأيناها تدير حوارًا مع النفس البشرية، لتحقيق أغراضٍ ومقاصدَ شتى، فقد يكون السؤال دعوةً

---

(١) الأنفال: (١).

(٢) الكهف: (٨٣).

(٣) المائدة: (٤).

للإيمان، أو تأييدًا للحق، أو زجرًا عن باطل، أو إعانةً على خير يُمتثَل، أو نهيًا عنِ شعب يُجتنب، أو قَدْحاً لزنادِ الفكر، أو إثارةً لكوامن النفس، أو تفتيحاً للأذهان والعقول كي تتطلّع وتتشوّف للجديد، وقد يكون للفت حواس الإنسان وتوظيفِها حتى يدْرك ما حولَه؛ ليتفاعل ويبحث، وينقب ويفكر، ويبدع ويستكشف المجهول.

❖ روى الإمامُ مسلمٌ عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ قال: **«سلوني، لا تسألوني عن شيء إلا بينتُه لكم ما دمتُ في مقامي هذا»**.

وكان الرسول ﷺ يستخدم - كثيرًا - الطريقةَ الاستنباطيةَ لاستخراج الحقيقة من أفواه المتعلمين، فيقول: «... **إن من الشجر شجرةً خضراءَ لما بركتها كبركة المسلم، لا يسقط ورقها، ولا يَتَحاتَّ، وتؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربها، وإنها مثل المسلم فحدّثوني ما هي؟**»[1].

❖ يبين الرسول ﷺ أهميةَ السؤالِ في العملية التعليمية «**هلا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاءُ العِيِّ** (الجاهل) **السؤالُ**».

❖ وعن ابن عباس، أن رجلاً أصابه جُرح على عهد رسول الله ﷺ، ثم أصابه احتلام، فأُمِرَ بالاغتسال، فقُرَّ فمات، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال:

«**قتلوه قتلهم الله، ألم يكن شِفاءُ العِيِّ السؤال**»[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم انظر إن شئت كتاب (الرسول المعلم...) الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ص١٠٣.

(٢) صحيح: أبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢).

أثر وقيمة السؤال:

❖ قال ميمون بن مهران ـ رحمه الله تعالى ـ:

«التوددُ إلى الناس نصفُ العقل، وحسنُ المسألةِ نصفُ الفقه».

❖ وقيل: من لم يسأل أضاع على نفسه أمورًا كثيرة.

يقول النضر بن شميل ـ رحمه الله تعالى ـ:

صحبتُ الخليل بنَ أحمدَ عشرينَ سنةً، فكان يُنشِدنا في كل يوم:

إذا كنت لا تدري، ولم تك بالذي
يسائلُ من يدري، فكيف إذاً تدري؟[1]

❖ وقالوا: وسلِ الفقيهَ تكن فقيهاً مثلَه.

❖ وللوقوف على أثر الأسئلة في الحياة التعليمية بعامة، يجدر بنا أن نتذكر أن أهم ما حصل عليه الإنسان من معارفَ كان أجوبةً عن أسئلةٍ طرحها على نفسه، أو على غيره، أو على الحياة. (ماذا، لماذا، أين، كيف، متى).

❖ قيل: إن الناسَ كل الناس، أشدُّ تذكراً لما تلقوه جواباً عن سؤال أكثر مما أخذوه عن طريق القراءة والحفظ؛ ذلك لأن عمليةِ طرح الأسئلة، تحمل على التفكير الجاد، وتجعل الأمور واضحةً في الذهنِ، حيةً في الفكر.

---

(١) «المجالسة» للدينوري (٢/٩٦).

❖ ولعل أهم ما في السؤال، أنه يحدد للمتعلم هدفاً، ولذلك قيل قديماً: «من كان لديه سؤال، كان عنده هدف».

فالأسئلة هي لبّ التعلم، ومخ الدراسة.

❖ قال الإمام ابنُ شهاب الزهري[1]: العلمُ خزائن ومفاتيحُها السؤال. يعني أن الذي يَستخرِج ما في صدور العلماء من العلم هو مساءَلتُهم»[2].

وفي هذا فائدة للعالم نفسه، ليظهر المخبوء من علمه ويحيا وينتشر، وفائدة للمتعلم، ليعرف ما يجهل، ويؤكد ما يعلم، ويستوثق مما يستريب فيه.

روى أبو نعيم في (حلية الأولياء) عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمحب لهم**».

❖ وكان الخليل بن أحمد يقول: «العلوم أقفال، والسؤالات مفاتيحها»[3].

❖ وقيل لعبدالله بن عباس ـ ابن عم رسول الله، وترجمان القرآن ـ: بِمَ تعلمت؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول».

(١) محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري أحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي، توفي (سنة ١٢٤هـ).

(٢) تهذيب جامع بيان العلم. ص٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص٦٢.

وقال الفاروق عمر بن الخطاب: من علم فلْيُعَلِّم، ومن لم يعلم فليسأل العلماء[1].

❖ وهناك مقولة تعبر عن هذا المعنى: «**كنوزُ العلم في أسئلة وأجوبة**».

❖ وقال سيدنا علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - وهو يحث القوم على السؤال: «ألا رجلَ يسأل؟ فينتفع، وينفع جلساءه».

❖ وروى الإمام البخاري عن أبي مليكة: أن عائشة - أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها - «كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعَتْ فيه حتى تعرفه»[2].

وكما مرّ بنا كانت النساء تسأل رسول الله ﷺ أسئلةً غايةً في الدقة والحياء، كما سألت أم سُلَيْم، في حضور أمهات المؤمنين.

❖ **وجاء في تهذيب جامع بيان العلم وفضله**[3]:

- عن الحسن أنه كان لا يبتدىء الناس بالعلم، وإنما يقول: «سلوني».

- وقال عكرمة: «ما لكم لا تسألوننا؟ أفْلسْتُم».

- وها هو ذا سعيد بن جبير يحث تلاميذه قائلاً: «أما أحد يسألني؟».

---

(١) الرسول والعلم، ص١٠٧.

(٢) الفتح /٢١٧.

(٣) تهذيب جامع بيان العلم... ص٨٤، ٨٥.

❖ ويقول الفيلسوف والسياسي والأديب البريطاني فرنسيس بيكون (**١٥٦١ ـ ١٦٢٦م**): «إن من يسألْ كثيرًا يتعلم كثيرًا».

❖ ويقول أيضاً «السير فرانسيس بيكون»:

«السؤال الحصيف هو النصف الأول من الحكمة، أما النصف الثاني هو: الإنصات بعناية للإجابة»[١].

❖ ويقول غربي آخر يدعى «كيلي» **١٩٦٣م** «إن تاريخ الإنسان على ظهر هذه الأرض عبارة عن سلسلة من الأسئلة المطروحة».

❖ ويقول (بوستمان **١٩٧٩م**): «إن كل ما توصلنا إليه من معارف ومعلومات كان نتيجة الأسئلة، أي إن طرح الأسئلة هو أهم أداة فكرية لدى الإنسان».

وقالت العرب قديماً: «حسنُ السؤالِ نصفُ العلم».

❖ قال عطاء: دخلت على سعيدِ بنِ المسيب وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟.

قال: ليس أحد يسألني عن شيء!!.

❖ وحكي أن سفيانَ الثوري: أنه لما قَدِم عَسْقَلان[٢] مكث لا يسأله إنسان، فقال: أكروا (أي أجروا لي راحلة لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم[٣].

---

(١) كتاب «ماذا تسأل عندما لا تعرف ماذا تقول...» مترجم (سام ديب)، (لايل سوسمان) ـ مكتبة جرير.

(٢) عسقلان مدينة ساحلية فلسطينية، بين غزة وبيت جبرين.

(٣) تهذيب جامع بيان العلم.

تنبيه مهم

قد يعترض البعض على كثرة السؤال مستنداً إلى بعض الأدلة الشرعية منها الحديث الذي رواه الإمام مسلم «**إن الله كره لكم ثلاثاً منها كثرة السؤال**» وقوله ﷺ: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرةَ السؤال**» ونقول: قال العلماء: كثرة السؤال في المال. وقال بعضهم: بل كثرة السؤال عند نزول الوحي، أما بعد نزول الوحي فلا.

وقد بين العلماء المواضع التي يُكره فيها الإكثار من الأسئلة:

١ ـ السؤال عما لا ينفع في الدين.

٢ ـ السؤال من غير احتياج إليه.

٣ ـ السؤال فيما لا يزيد عن الحاجة.

٤ ـ أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارِها.

٥ ـ أن يسأل عن علةِ الحكمِ في التعبدات.

٦ ـ أن يبلغ السؤالُ حد التكلفِ والتعمق.

٧ ـ أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي.

٨ ـ السؤال في المتشابهات.

٩ ـ السؤال عما حصل بين السلف الصالح من خلاف وسوء فهم.

١٠ ـ سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام والمجادلة.

❖ وكان ابن سيرين إذا سِئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل: أمسِكْها حتى تسأل عنها أخاك إبليس[1].

١٣ ـ مذاكرة العلم:

إذا انتهى طالب العلم من المحاضرات أو الحصص اليومية، فينبغي له أن يدمنَ النظر في كتبه، ويردد ما حفظه حتى لا ينساه، فإن حياةَ العلم مذكراتُه ومدارستُه وترديدُه.

❖ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نَفْسُ مُحمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقُلها**». متفق عليه.

وإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب ويُنسى إن لم يُتعاهدْ، فما ظنكَ بغيره من العلوم المعهودة.

ويحسن بطالب العلم أن يجالس من يذاكر معه الدروس فإن المذاكرةَ حياةُ العلم، وبدونها يُدَرس ـ أي يُنسى ـ كما قال بعض السلف: ملاقاةُ الرجالِ تلقيحُ الألبابِ، فالمذاكرة بها لقاحُ العقل.

❖ وقال الحسن: «لولا النسيانُ لكان العلم كثيرًا»[2].

ولأن آفة العلم النسيان، كما يقولون فلابدّ من المراجعة المستمرة والدورية.

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبدربه. . . (ج٢، ص٨٤).

(٢) تهذيب جامع بيان العلم، ص٧٨.

❖ يقول الإمام شهاب الدين الزهري: «إنما يُذهِبُ العلمَ النسيانُ وتركُ المذاكرة»[1].

وقيل: «إحياءُ العلم مذاكرتهُ»[2].

❖ وقال عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: «مَنْ أحبَّ أن يستفيد فلينظرْ في كتبه»[3] وسئل أيضاً فقيل له: «يا أبا عبدالرحمن تكثر القعود في البيت وحدك؟ قال: لستُ وحدي، أنا مع النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. (يعني النظر في الكتب)[4].

❖ ويُروى عن علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أنه قال:

«تزاوروا، وتذاكروا هذا الحديث، إن لا تفعلوا يُدرس، أي يُنسى»[5].

❖ وقال بعض الحكماء: «العلم بذر، والعمل زرع، وماؤه الاستذكار».

❖ وقال أبو الدرداء: «مذاكرةُ العلمِ ساعة خيرٌ من قيام ليلة».

وقيل: المذاكرةُ حياةُ العلم، وإذا لم يكن درس لم يكن

(١) المصدر السابق، ص٧٧.
(٢) كتاب «حلية طالب العلم» بكر بن عبدالله أبو زيد.
(٣) كتاب «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/٢٤٩).
(٤) المصدر السابق.
(٥) «نيل الأرب من أدب الطلب».. أحمد بن عبدالعزيز الحمدان.

حفظ، وإذا لم تكن مذاكرة قلَّت منفعة الدرس».

❖ ومن فوائد النظرِ في الكتب أنه يساعد على الحفظِ، وهذا ما بينه شيخ الحفاظ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ المغيرة (البخاري) حين سئل عن **دواء للحفظ** فقال: «إدمانُ النظر في الكتب»[1].

❖ وهذا هو الصحابي الجليل عبدالله بنُ مسعود يقول: «الدراسةُ صلاة» أما سيدنا معاذ بن جبل فيقول عن العلم: «..ومدارسته تسبيح...».

وأنشد محمد بن هارون الدمشقي[2]:

لَمحبرةٌ تجالسني نهاري ... أحبُّ إليَّ من أنس الصديق
ورزمة كاغدٍ في البيت عندي ... أحبُّ إلي من عدل الدقيق[3]
ولطمةُ عالمٍ في الخَدِّ مني ... ألذُّ إلي من شرب الرحيق

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «لقاحُ المعرفة؛ دراسةُ العلم»[4].

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «كن على مدارسةِ ما في صدركِ أحرصُ منك على مدارسة ما في كتبك»[5].

---

(١) «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل» ص٩٥.
(٢) تهذيب جامع بيان العلم وفضله.. ص٣١٧.
(٣) حزمة من ورق الكاغد، والكاغد هو الورق المصنوع من الكتان.
(٤) المصدر السابق، ص٩٤.
(٥) المصدر السابق، ص٧٢.

قال الرياشي: قيل للأصمعي: حفظتَ ونسي أصحابُك، قال: «درستُ وتركوا»[1].

كيف تستذكر دروسك في البيت؟

١ ـ التفرغ الذهنيُّ الكاملُ من شواغلك الخاصة والعامة، واستحضر النية الخالصة، أي الاهتمامَ الحقيقيَّ، فالنيةُ تقوي الفهم والاستيعاب، وإلا فسوف يضيع عملك كله، فابدأ: بسم الله.

٢ ـ قبل البدء في قراءة ما شُرِح في المدرسة، استرجع من ذاكرتك كل ما سمعته من شرح الأستاذ، وما كان مكتوباً على السبورة مما خطه الأستاذ بيده عند الشرح، وما دار في الحصة من أنشطة وأسئلة وأجوبة.. بعد ذلك اقرأ الدرس في الكتاب.

٣ ـ احرص على أن تجعل لكل مادة دفترًا مصاحبًا لها عند المذاكرة، لتسجل فيه ملحوظاتك، أو صياغة أسئلة، أو الأفكار أو النقاط الرئيسة.

وقبل بدء تسجيل ملحوظاتك فيه، اكتب عنوان الدرس أعلى الصفحة، ليكون كل درس مستقلاً بالمدونات المتصلة به، ومن المفيد أن تجعل كل عنوان في أول الصفحة، وفي سطر مستقل.

٤ ـ ابدأ قراءة الموضوع المشروح، مع التخلي عن عادة القراءة

---

(١) المصدر السابق، ص٧٢، (والرياشي هو إمام في النحو واللغة، قتل سنة ٢٥٧هـ).

الجهرية، فالقراءة الصامتة البصيرة أدعى إلى تثبيت الأفكار والمعاني.

٥ ـ قارن بين شرح الأستاذ، والعرض المدون بالكتاب، ثم سجل في دفتر المادة ملحوظاتك بخصوص هذه المقارنة.

٦ ـ صغ من عندك أسئلةً على موضوع الدرس، على أن تكون هذه الأسئلة جزئية تَتَبُّعِيَّةً لأجزاء الدرس[١].

٧ ـ بعد قراءة الموضوع، اترك الكتاب، ثم استرجع بذاكرتك كل ما قرأت.

٨ ـ بعد استرجاع ما قرأت، أجب شفوياً عن الأسئلة التي قمت بصياغتها وكذلك الأسئلة الواردة بالكتاب.

٩ ـ حاول أن تخرج بمعلومات الكتاب من نطاقها الضيق إلى الواقع المعاش، وربطها بالأحداث الجارية.

١٠ ـ أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن المعلوماتِ والحقائقَ التي يحصل عليها الطالب بنفسه هي الأرسخُ وهي الأبقى والأكثرُ فائدة.

١١ ـ ثبت أن الحافظ عن ظهر قلب، أي بدون فهم حقيقي يكون أكثرَ عرضةً للنسيان. فالفهم أولاً.

١٢ ـ احرص على استعمال وتوظيف وسائل الإيضاح المختلفة، من خرائط ورسوم وأشكال وصور وما إلى ذلك، وأيضاً استدعاء الصور الذهنية لتثبيت المعلومات في الذهن.

---

(١) «كيف تقرأ كتاباً؟» أبو بكر عبدالعليم ـ مكتبة ابن سينا ـ القاهرة.

١٣ ـ اربط بين المعلومات السابقة واللاحقة، وأوجه الشبه والاختلاف.

١٤ ـ حاول إيجاد أي نوع من الوزن أو الإيقاع أو القافية أو الترميز أثناء المذاكرة حتى لا ينسى.

١٥ ـ قسّم الدرس إلى وحدات مترابطة متسلسلة ومتوائمة ومتلاحمة.

١٦ ـ اهتم بالتسميع الذاتي لأنه أفضل من القراءة المجردة، ففي التسميع تركيز وانتباه(١).

١٧ ـ لا تنس أهمية المراجعة الدورية لاستدعاء المعلومات متى تشاء.

١٨ ـ حدد واجمع كل النقاط غير المفهومة أو الصعبة، واطلب من أستاذك ـ بلطف وأدب ـ المساعدة، فمن يسأل كثيرًا يتعلم كثيرًا. ولا تنس قول القائل: «لولا المربي ما عرفتُ ربي».

١٩ ـ نشط ذاكرتك من خلال: الفهم، التكرار، التنظيم، للمعلومات والمعارف.

بعد كل هذا عندما يمن الله عليك بشيء من العلم، ويفتح عليك مغاليقه، فقل كما قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ:

إنما أدركتُ العلمَ بالحمدِ والشكرِ، فكلما فهمتُ، أوْ وَقَفْتُ على فقهٍ وحكمةٍ فقلتُ: الحمدُ لله ازداد علمي.

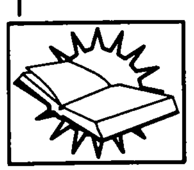


(١) «فن المذاكرة» نجلاء محفوظ ـ دار الطلائع ـ القاهرة.

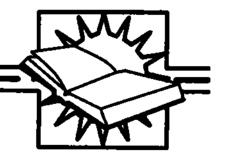
الباب الرابع

صـــورة معاصـــرة

- الحياة تافهة إذا . . .
- الدكتور أحمد حسن زويل .
- سيرته الذاتية .
- اكتشافاته العلمية .
- مؤلفاته وأبحاثه .
- جوائزه العالمية .
- مولـده . . .
- طفولته . . . وصباه .
- طالب في الجامعة .
- طموح وأمل .
- طبيعة الحياة في مصر وفي أمريكا .
- يتغلب على التحديات والصعوبات .
- لم يتأمرك .
- نجم مصر يلمع في سماء أمريكا .
- لماذا حصل على جائزة «فرانكلين»؟
- قصة الاكتشاف .
- وجاءته البشرى .
- ماذا تعني جائزة «نوبل»؟
- الحلم الأكبر .
- عناصر النجاح .
- الانتفاع بالوقت .
- يقول عن . . .
- كيف يمكن لي أن أصنع من ابني «دكتور زويل» آخر؟
- التواضع والحياء .
- أقوال وحكم .
- الخاتمـة .







الحياة تافهة إذا خلت من مثل أعلى[1]

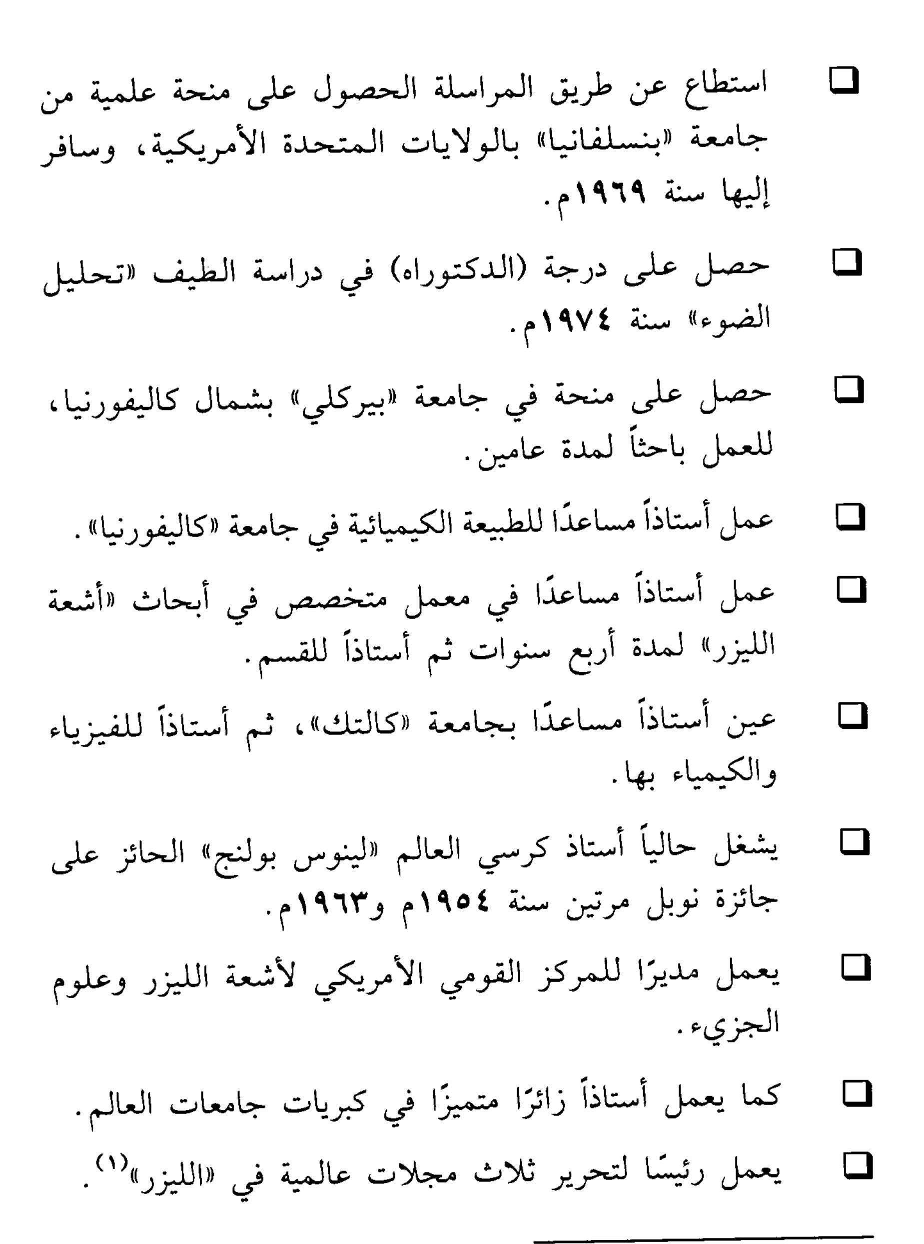
صورة معاصرة
الدكتور أحمد حسن زُويل

سيرته الذاتية:

- مولده في ٢٦ فبراير ١٩٤٦م بدمنهور إحدى مدن محافظة البحيرة.
- التحق بكلية العلوم جامعة الإسكندرية سنة ١٩٦٣م.
- حصل على البكالوريوس بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى سننة ١٩٦٧م.
- عين معيدًا بقسم الكيمياء بكلية العلوم جامعة الإسكندرية في ١٩٦٧/١٠/١م بمرتب قدره عشرون جنيهًا.
- حصل على درجة الماجستير سنة ١٩٦٩م بعد ثمانية أشهر من تعيينه.

---

(١) الأستاذ عبدالرزاق السنهوري.



- استطاع عن طريق المراسلة الحصول على منحة علمية من جامعة «بنسلفانيا» بالولايات المتحدة الأمريكية، وسافر إليها سنة ١٩٦٩م.
- حصل على درجة (الدكتوراه) في دراسة الطيف «تحليل الضوء» سنة ١٩٧٤م.
- حصل على منحة في جامعة «بيركلي» بشمال كاليفورنيا، للعمل باحثاً لمدة عامين.
- عمل أستاذاً مساعدًا للطبيعة الكيميائية في جامعة «كاليفورنيا».
- عمل أستاذاً مساعدًا في معمل متخصص في أبحاث «أشعة الليزر» لمدة أربع سنوات ثم أستاذاً للقسم.
- عين أستاذاً مساعدًا بجامعة «كالتك»، ثم أستاذاً للفيزياء والكيمياء بها.
- يشغل حالياً أستاذ كرسي العالم «لينوس بولنج» الحائز على جائزة نوبل مرتين سنة ١٩٥٤م و١٩٦٣م.
- يعمل مديرًا للمركز القومي الأمريكي لأشعة الليزر وعلوم الجزيء.
- كما يعمل أستاذاً زائرًا متميزًا في كبريات جامعات العالم.
- يعمل رئيسًا لتحرير ثلاث مجلات عالمية في «الليزر»[١].

---

(١) الليزر: عبارة عن شعاع ضوئي مثل الذي يخرج من أي مصباح كهربائي، أمكن بواسطة الطرق الفنية إخراجه في صورة عمود، أو خط مستقيم، أو تكبيره، أو تضخيمه كما يحدث للصوت.

❑ حصل على «الدكتوراه الفخرية» من كبريات جامعات العالم المختلفة.

اكتشافاته العلمية:

❖ حقق إنجازاً علميًا وعالميًا في مجال «أشعة الليزر» وذلك باكتشافه إمكانية تصوير ميلاد الجزيء لأول مرة، مما يحقق دقة قياس الزمن في واحد على المليون من البليون من الثانية.

❖ حققت اكتشافاته علمًا جديدًا يسمى «علم الفمتو» الذي له تطبيقات في علوم وتكنولوجيا جديدة، مثل العلوم البيولوجية، وعلوم الطب الحديث وغير ذلك، ليخطو بالبشرية آلاف السنين نحو المستقبل في المجالات المختلفة.

❖ وسُجلت باسمه «براءةُ اختراعٍ» في تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية.

مؤلفاته وأبحاثه:

❖ له مؤلفات علمية عديدة في «الليزر وتطبيقاته» و«أشعة الطيف» (تحليل الضوء) تزيد على ثمانية كتب.

❖ له أكثرُ من ثلاثمائة وثلاثين بحثاً علميًا.

جوائزه العالمية:

❖ حصل على العديد من الجوائز القيمة المتنوعة منها:

- وسام «بنيامين فرانكلين»[١] الذي حصل عليه من قبل «أينشتين[٢]، جراهام بل[٣]، مدام كوري[٤]، وأديسون»[٥].

وهو أول عربي يحصل على تلك الجائزة منذ إنشائها سنة **١٨٢٤**م.

❖ جائزة «رونتجين» الألمانية في الذكرى المئوية لاكتشاف أشعة (X) اكس.

❖ جائزة الإيطالي «ليوناردو دافنشي» من فرنسا **١٩٩٥**م.

---

(١) جائزة «بنيامين فرانكلين» (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠م) تعد أرقى وسام في الولايات المتحدة، وتمنح للعظماء والعلماء والمخترعين وقد أنشئت هذه الجائزة سنة **١٨٢٤**م لتكريم العالم الفيلسوف «بنيامين فرانكلين» أحد الأعلام البارزين، والشخصيات اللامعة في تاريخ الولايات المتحدة، وسفير الإنسانية واخترع (فرانكلين) المدفأة، والمنظار، والكرسي الهزاز، ومصابيح الشوارع، والإعلانات التجارية.

(٢) ألبرت أينشتاين (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥م) صاحب نظرية النسبية وهي التي حاول عن طريقها حل بعض معضلات الدنيا وأسرارها. وهو عالم فيزيائي يهودي. ولد في ألمانيا، حصل على جائزة «نوبل» **١٩٢١**م فر من ألمانيا سنة **١٩٣٣**م إلى الولايات المتحدة وشارك مع العلماء في إنتاج القنابل الذرية التي قصفت كلاً من هيروشيما ونجازاكي كما أنه عرضت عليه رئاسة دولة (إسرائيل) ولكنه رفض.

(٣) جراهام بل (١٨٤٧ ـ ١٩٢٢م) مخترع التليفون، والفوتوفون، أساس الأفلام الناطقة الحديثة، وجهاز لتحديد مكان الرصاص، أو سائر المواد الصلبة التي تدخل الجسم البشري.

(٤) مدام ماري كوري (١٨٦٧ ـ ١٩٣٤م) مكتشفة أشعة الراديوم.

(٥) أديسون (١٨٤٧ ـ ١٩٣١م) الذي سجل باسمه (١٢٠٠) براءة اختراع من أشهرها الآلة الكاتبة، والمصباح الكهربائي، والفوتوغراف.

❖ جائزة «روبرت إيه ويلش» الأمريكية، وتعد أكبر جائزة تمنحها أمريكا في تخصصه سنة ١٩٩٧م.

❖ جائزة «ماكس بلانك» وهي الأولى في ألمانيا.

❖ جائزة وكالة «ناسا» سنة ١٩٩١م.

❖ جائزة «الملك فيصل» سنة ١٩٨٩م.

❖ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من الرئيس محمد حسني مبارك ١٩٩٥م.

❖ سجل اسمه في قائمة الشرف بالولايات المتحدة الأمريكية من بين الشخصيات العالمية البارزة التي عملت على تقدم أمريكا.

❖ حصل على العديد والعديد من الجوائز العلمية.

❖ اختير عضوًا في أكاديميات ومؤسسات عالمية مختلفة.

❖ توجت هذه الجوائز بجائزة نوبل[1] للكيمياء سنة ١٩٩٩م.

مولده:

❖ شب أحمد زويل وترعرع في بيت بسيط، وأسرة متواضعة الحال، فالأب حسن زويل كان موظفاً بسيطاً في وزارة

---

(١) نوبل: هو العالم الكيميائي السويدي ألفريد نوبل (١٨٣٣ ـ ١٨٩٦م) ولد في استكهولم اخترع المادة المفرقعة التي صنع منها الديناميت، سجل (١٢٩) اختراعاً، لم يتزوج، جعل ثروته لإنشاء جائزة باسمه.

الصحة بمدينة «دسوق»، يكد ويكافح من أجل لقمة العيش الحلال، عاش وتمتع بسمعة طيبة.

❖ أما أم أحمد زويل فكانت امرأة تحمل في صدرها قلباً مليئاً بالحنان والعطف نحو ابنها.

طفولته.. وصباه:

طفولتي كانت من أجمل أيام حياتي، رغم الشهرة والنجاح، طفولتي كانت بسيطة ودينية.. كنتُ الابن الأوحد لأبوي، حظيتُ بكل حب واحترام واهتمام، فكان الحب من الوالدين كبيرًا لا مثيل له، حب الأمومة الصادق الصافي، حب مطلق وحنان لا حدود له.. وكنتُ الحُلْمَ والأمل لهما.. وكانت طفولتي والمراحل الأولى من سنوات عمري كلها صفاء وسعادة، تميَّزَتْ بالهدوء، اطمأن قلبي بالدين، جذور شجرة حياتي كانت في البداية مغموسةً في الإيمان والتقوى، تفتحت عيناىَ، وقلبي على معان بسيطة مثل: الصدق، والحب، والود[1].

أتذكر نفسي وأنا طفل ألجأ مع أصحابي إلى المسجد نصلي، وتستريح أنفسنا كالعصافير الصغيرة في محراب الخشوع، في المسجد حيث تعلمنا الاحترام والأدب.

هذا الجو الرائع ملأ نفسي أملاً، وتفاؤلاً، واطمئناناً، مما جعلني أهتم كثيرًا بدروسي، كي أكون جديرًا بهذا الحب، وتلك

---

(١) حبذا لو حرصنا على أن ينشأ أبناؤنا في جوّ من الحنان والحب والصدق والاحترام والإيمان والقيم.

الرعاية، وكان والدي يأملُ أن أكون طبيبًا، فكتب على باب حجرتي الصغيرة، وكراساتي «الدكتور أحمد».

هذه الطفولة السعيدة جعلتني دائمًا أرى الدنيا بمنظار الأملِ والتفاؤلِ والاطمئنان والسعادة. كانت أمي واحةً من الحنان واللهفة عليَّ، والشوقِ إليَّ، هذه العاطفة التي غُذيت بها منحتني الثقة والثبات، وهي سرّ من أسرار نجاحي. وقد جمعتني بأصدقائي علاقةٌ حميمة، وأوقاتٌ لطيفةٌ عذبة نستذكر معاً فيها الدروس، ونتنزه معاً في جو من الألفة والمودة الصادقة.

طالب علم في الجامعة:

أولُ العلم النية، وإنما يحفظ الرجل على قدر نيته، كما قال العلماء.

يقول أحد زملاء[1] أحمد زويل في الكلية: أتذكر أولَ كلمةٍ قالها لي عند دخولنا الكلية قال: «سوف أكون الأول على الكلية إن شاء الله».

فالمستقبل يولد في القلوب، ومن القلوب إلى العقول، ومن العقول إلى الإرادة، وكما يقال: «إن الإنسانَ حيثُ يضع نفسه».

من الوهلة الأولى عشق أحمد زويل المحرابَ الجامعي، وأحبَّ العلم، وأحس برغبة جياشة في التعلم، واكتشاف

(١) من زملائه الأستاذ عصام محمود النقيدي موجه أول الكيمياء بمحافظة البحيرة.

المجهول فيقول: «عندما ذهبت للمرة الأولى إلى جامعة الإسكندرية، لم أكن أعرف ما العلم؟ ولكن كان بداخلي حب الاستكشاف، فأنا أحببت أن أسبحَ فيما لم أعرفه، كانت الجامعة بالنسبة لي هذا العالم الجديد الذي أريد الغوص فيه.

ذهبتُ للمرة الأولى في الجامعة مع خالي، وبكيت ولا أدري لماذا؟!! المباني عتيقة لها مهابتُها، أساتذة الجامعة والطلبة تنظر لهم بإعجاب ورهبة، تمنيت منذ أول يوم من أيام العام الجامعي أن أصبح واحدًا مثل هؤلاء الأساتذة.

كانت حياتي مليئةً بالنشاط والبحث والمراجعة والدراسة، وساعدني على ذلك اهتمام الأساتذة بالطلاب اهتمامًا كبيرًا، فكنا نحصل على المراجع منهم، كان عدد الطلاب قليلاً، وكان الأساتذة يعرفون الطلاب بالاسم، والعلاقةُ بينهم كانت حميمة، وأحياناً كنا نأخذ المحاضرات في مكاتب الأساتذة.

نشبت منافسةٌ جميلةٌ بيني وبين سبعة من زملائي، وكانت المنافسة بيننا تمتاز بالنبل والشرف والأمانة.. وحصلتُ على (البكالوريوس) بتقدير (امتياز مع مرتبة الشرف) وعملتُ معيداً بقسم الكيمياء بكلية العلوم جامعة الإسكندرية». نعم، إن من يملك الإرادة يملك القوة، كما يقولون.

طموح وأمل:

كان أحمد زويل مفتوناً بالعلم، حاذقاً بتخصصه، بالرغم من أنه كان أصغر المعيدين سناً، إلا أنه استطاع بالطاقة الكامنة داخله، والأملِ، والصبرِ، والإرادةِ أن يُعِد رسالةَ «الماجستير» بعد

ثمانية أشهر، يقول عنه أستاذه د.يوسف رياض «لم يكن يملُّ من الوقوف في المعمل لساعات طويلة... ولم تكن تفوته محاضرة...».

يقول أحمد زويل: «بعد حصولي على الماجستير طلبتُ حصولي على منحة في الولايات المتحدة لدراسة الدكتوراه، لكنهم رفضوا في الجامعة (الإسكندرية) بحجة أنني صغير السن، ويجب أن يمر عامان على التعيين حتى يمكنني السفر، لكن لم أيأس، وبدأتُ أراسلُ الجامعات الأمريكية».

«تلقيتُ ردًا من جامعة «بنسلفانيا» بالموافقة على المنحة وتكفُّلِهم بكل المصروفات ومرتب قدره (**٣٠٠** دولار) لكن رفض المسؤولون بكلية العلوم جامعة الإسكندرية هذا العَرْض؛ لأنهم يريدون أن تكون المنحةُ موجهةً لإدارة الجامعة ثم تختار الجامعة الإنسان المناسب»... ولم أيأس أيضاً وحاولتُ إقناعَ المسؤولين بالجامعةِ والكليةِ وبعد محاولات عديدة وافقوا، وكان السفر والارتحال.

طبيعية الحياة في مصر وفي الولايات المتحدة:

❖ في يوم **٢٣** أغسطس **١٩٦٩**م سافر أحمد زويل إلى أمريكا، وهو في شوقٍ إلى العلم، وخوفٍ عميقٍ من مغادرة مصر.

وما إن خرج أحمد زويل من المطار، وانطلق إلى الحياة الجديدة، حتى واجه أول اختبار كان له أثرٌ كبيرٌ في حياته، فبمجرد أن وضع قدميه على الأرض الوليدة التي كُسِيتْ بطبقةٍ رقيقةٍ من الثلج حتى تاهت قدماه ولم تستقر إلا وهو طريح على ظهره،

فتناثرت أمتعتُه ولم يقترب منه أحد من المارة ليأخذ بيده!!.

في تلك اللحظة عرف أحمد زويل الفارق الشاسع بين عادات، وتقاليد، ومروءة، ونخوة أهل بلده، وطيب أرومتهم، وجمال نبلهم، وبين أخلاط مفككة غير مترابطة ولا متجانسة تعيش في أمريكا.

وهنا شعر أحمد زويل ـ المرهف الحسّ ـ بالحنين، وخيم عليه شبح الغربة، وألم الفراق وكأني به يردد:

بلادي وإن جارتْ عليَّ عزيزةٌ وأهلي وإن ضنُّوا عليَّ كرامُ

أو بقول أبي تمام:

نقّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأولِ

كم منزلٍ في الأرض يألفهُ الفتى وحنينُه أبداً لأول منزلِ

أو بقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

وطني لو شُغلتُ بالخلد عنه نازعتني إليه في الخُلد نفسي!

يتغلب على التحديات والعقبات:

بالإيمان والثقة بالنفس تمكن أحمد زويل من الانتصار على كل التحديات والصعوبات التي واجهَتْه في رحلته العلمية في بلاد الإبداع المادي (الولايات المتحدة).

يقول الدكتور أحمد زويل: «.. فور وصولي إلى أمريكا أعطاني أستاذي الأمريكي بحثاً معيناً لأعمل فيه.. ولكن حاسة غامضة وشعورًا لا أعرف ماهيته جعلني أرفض موضوع هذا البحث، وطلبتُ تحديد مقابلة لي مع الأستاذ الأمريكي.

وقلت له بثقة: ليس هذا هو النمط العلمي الذي أحبه.

صعق الأستاذ الأمريكي مما سمع.. مندهشاً متعجبًا.. كيف يتحدث هذا الطالب الشرقي القادم من بلاد فقيرة في العلم ولم يطل مُكْثُه في أمريكا عن النمط العلمي؟!!.

يقول أحمد زويل: كانت هذه هي اللحظة المصيرية في حياتي، ويبدو أن الأستاذ الأمريكي أعجب باستقلاليتي، واعتزازي برأيي، فوافقني ونزل على رغبتي، واتجهتُ ناحية دراسة الليزر.

ويقول: «ما كان يشغل بالي هو كيفية الدخول إلى المجتمع الأكاديمي هناك، فلم يكن مألوفاً لديهم وجود عربي أو مصري بارز في العلوم، أو في الطب، وكان مطلوبًا مني أن أبرهن لهم أن المصريين والعرب قادرون على الإنجازات العلمية الجديدة. والحمد لله كنت أول أستاذ مصري وعربي يحتل موقعاً متميزًا في جامعة «كالتك» بكاليفورنيا.

يقول الشافعي:

سافر تجدْ عِوضًا عمن تفارقه   وانْصَبْ فإن لذيذَ العيشِ في النَّصَبِ

لقد أدرك أحمد زويل أن ثقافة المجتمع الأمريكي تختلف عن ثقافة المجتمع المصري المسلم، لذا لم ينبهر بما رآه من انقلاب أخلاقي. يقول معبرًا عن ذلك: «لم أكن منبهرًا بما رأيته في المجتمع الأمريكي؛ لأنني ذهبتُ إلى هناك من أجل العلم، وكنت دائمًا أضع أمام عيني إيجابياتِ هذا المجتمع وأتعايش معها، وليس مفروضاً عليَّ أن أتقبلَ سيئاته من وجهة نظري، والحمد لله ذهبت إلى أمريكا ومعي الثقافةُ المصريةَ، والعقيدةُ

الدينيةُ، والتقاليدُ والعاداتُ المصريةُ، وما زلت حتى اليوم أحتفظ بها وأمارسها، فأنا إنسانٌ محافظ، وشرقي مائة في المائة».

ويقول: «يجب علينا أن نأخذ ما يناسبنا من كل الثقافات والحضارات، وليس بالضرورة أن يكون كل ما عند الآخر سيئاً».

لـم يتأمـرك:

رغم أنه عاش في أمريكا أكثر من خمسة وثلاثين عاماً لكنه ظل متمسكاً بهويّته، يقول أحمد زويل واصفاً لنا خواطره في سنوات الغربة: «دائمًا كان وجداني مليئاً بروح العائلة المصرية.. أي الوطن، هذا الترابط العجيب حافظ دائمًا على كياني واتزاني».

❖ وتحكي الإذاعية الشهيرة والمتألقة المصرية آمال فهمي قائلةً: «إن أحمد زويل وقف ليخطب في ألف وخمسمائة عالم في بريطانيا وقال لهم: أنا إنتاج مصري، نتاج الأسرة البسيطة، نتاج الأرض الطيبة، وورائي حضارة سبعة آلاف سنة».

ودائمًا يقول: «مصر أعطتني الأساس الصُّلب الذي يضم الثقةَ والاحترامَ والمبادئَ والقيمَ النابعةَ من الإيمان، كل هذه العناصر لا تجعل الإنسان يهتز بسهولة، فمصر علمتني أهمية التعليم والعلم».

نجم مصري يلمع في سماء أمريكا:

انكب أحمد زويل على العلم بشوق ولهفة، متغلبًا على كل الصعوبات والمناوشات الجانبية، والصراع المستمر، ومنتصرًا على كل التحديات، حتى وصل إلى القمة بحب كبير وصبر ومصابرة،

وإصرار على النجاح، حتى استطاع أن ينتهي من أول بحث له في مدة وجيزة له لم تتعد أربعة أشهر، ثم حصل على درجة «الدكتوراه» من جامعة «بنسلفانيا» سنة **١٩٧٤**م في دراسة الطيف «تحليل الضوء».

❖ في عام **١٩٩٠**م كان أول من شَرُفَ بشغل كرسي الأستاذ «لينوس باولنج»[١] للكيمياء والطبيعة، وقد جرت العادة في الجامعات الغربية على إطلاق أسماء الأساتذة العظماء الراحلين على بعض كراسي الأستاذية بحيث لا يشغل هذه الكراسي إلا من ينبغون في عملهم مثل هؤلاء الراحلين العظماء.

لماذا حصل على جائزة «فرانكلين»؟

❖ ثم حصل على جائزة «فرانكلين» ولم يكن حصوله على هذه الجائزة عفوًا، أو بمحض المصادفة، وإنما عن دراسة وبحث، وتمحيص دقيق، ويوضح الدكتور أحمد زويل الأسباب التي من أجلها نال هذا الشرف قائلاً:

تم اختياري لجائزة «بنيامين فرانكلين» بسبب:

❖ أبحاث مثمرة في الكيمياء.

❖ اكتشاف أصغر وحدة زمنية حتى الآن، وهي الفمتوثانية وهي تعادل ١/مليون من البليون من الثانية.

---

(١) الأستاذ (لينوس باولنج) الذي يشغل د.أحمد زويل كرسيه حالياً فاز بجائزة نوبل مرتين عام ١٩٥٤، و١٩٦٣م ويعد من أعظم الكيميائيين في القرن العشرين.

❖ ابتكار كاميرا الليزر، والتي تمكنْتُ بها من تصوير الجزيئات الدقيقة، وتحديد حركاتها في أي مُركَّب من خلال الزمن الجديد - أي تصوير التفاعلات التي تتم بين الذرات لتكوين الجزيء، وتوصلت إلى ذلك سنة ١٩٨٨م بعد أبحاث عديدة قمتُ بها في جامعة «كالتك» بولاية (كاليفورنيا) بالولايات المتحدة.

كان أحمد زويل أولَ عربي يحصل على جائزة «فرانكلين» وتم تكريمه في حفل كبير ضم خمسة آلاف مدعو من أشهر شخصيات العالم، وكان من بينهم عدد من رؤساء أمريكا السابقين، يقول أحمد زويل معبرًا عن تلك اللحظة:

«أثَّرَتْ في وجداني اللحظة التي تسلمتُ فيها الميدالية، فقد شدّ على يدي العلماء الأفذاذ، وهم يقولون: شكرًا. وهذا يدل على أن العالم ممتن لي، ومقدر قيمة الكشف العلمي الذي توصلت إليه، ويدل على الاحترام الكبير والتقدم العظيم للعلم.

قصة الاكتشاف:

يبين الدكتور أحمد أنه عندما وصل إلى أمريكا كان الليزر مكتشفاً حديثاً، فيقول: «ولم أكن أعلم في هذا الوقت شيئاً عن الليزر، ولكنني قررت أن أتعلم كل شيء في سبيل الوصول إلى الأشياء اللامرئية، واستطعت عن طريق فريق العمل الوصول إلى أصغر وحدة زمنية وهي «الفمتوثانية» التي تقدر بـ ١/مليون من البليون من الثانية.

ولتبسيط ذلك أقول - والكلام للدكتور زويل: إننا إذا أصدرنا شعاعاً من الليزر إلى القمر فإنه سوف يذهب ويعود في

زمن قدره «الفمتوثانية»، فقيمة «الفمتو» للثانية تعادل قيمة المسافة بين القمر والرجل القريب.

أهمية وآفاق الاكتشاف:

إن ما توصل إليه الدكتور أحمد زويل يفتح باباً كبيرًا من أبواب الرفاهية والتقدم للحياة البشرية في المجالات المتنوعة للحياة، يقول الدكتور أحمد: «الفامتوسكند» فتحٌ علميٌّ للوصول إلى هذا العامل الزمني لهذه الوحدة الزمنية الجديدة.. ستُحدث انقلاباً علميًا وتحولات رهيبة.. فلقد اكتشفت زمنًا أصغر من الثانية.. زمنًا أقل من الثانية بمليون من البليون من الثانية». أي أنه استطاع لأول مرة في تاريخ العلم تصوير لحظة التفاعل الكيماوي بين الجزيئات في عملية لا تستغرق إلا جزءًا واحدًا من ألف مليار من الثانية (فمتوثانية = $١٠^{-١٥}$ ثانية).

ما الذي سيعود على الإنسان من «علم الفمتو»؟

يجيب الدكتور أحمد زويل: «باكتشاف هذا الزمن الجديد نستطيع أن نصور وندرس الخلية في جسم الإنسان، ونعرف هل الجسم - مثلاً - سيصاب بمرض السكر أم لا، وإذا كان هذا الجسم سيصاب نستطيع أن نعالج الجزيء[١] أي الاكتشاف المبكر للمرض.

---

(١) جسم الإنسان يتكون من خلايا، والخلايا تحتوي على أنوية، والنواة تحتوي على الكروموسومات (الصبغيات) التي تتكون من جينات، والجينات تتكون من جزيئات، ولو حدث للجزيء خلل ما فإننا نستطيع أن نعرف بهذا الزمن الجديد (الفمتو ثانية) لماذا أخطأ، وبالتالي نعالج الخلل أو نمنعه أصلاً.

ما توصلتُ إليه هو تصوير حركة الجزيء، وهذا يفتح مجالات عديدة في الطب والكيمياء والصناعة والزراعة والحرب و. . . نستطيع أن نقلل الأمراض بل ونعالجها كالإيدز والسرطان والشلل، وإجراء العمليات الجراحية بدون فتح أو ألم، وبأقل التكاليف، عن طريق تحديد الطبيب لموضع الألم والخلل، وإعطاء جرعات من ضوء الليزر، فتندفع إلى إصلاح الخلل الذي يصيب الخلية».

وجاءته البُشْرَى:

في الساعة السادسة صباحًا، استيقظ الدكتور أحمد زويل وأفراد أسرته على رنين الهاتف. . وإذا بكلمات المتحدث المسؤول عن الأكاديمية السويدية للعلوم، يبشر الدكتور أحمد زويل بفوزه بجائزة نوبل للعلوم **١٩٩٩**م.

وكانت فرحة كبيرة وسعيدة، ثم كان الاحتفال السنوي لتوزيع الجوائز، وهو يوم (١٠ ديسمبر)[1] في احتفال رسمي، على أعلى مستوى.

أكدت الوثيقة الدائمة التي نشرتها الأكاديمية السويدية «أنها تمنح هذه الجائزة للدكتور أحمد حسن زويل؛ لأنه استطاع أن يحقق إنجازًا، عندما أثبت إمكانية متابعة حركة الجزيئات خلال التفاعلات الكيميائية باستخدام الليزر، وكذلك لأبحاثه الرائدة. . .» وتمضي الوثيقة «إن هذا العمل العظيم هو جدير بأن تحفظه ذاكرة

---

(١) (١٠ ديسمبر) من كل عام يوم لتوزيع الجوائز، وهو ذكرى وفاة نوبل، وهو يوم عيد وعطلة في السويد، وتاريخ أول جائزة كانت سنة (١٩٠١م) للفيزيائي الألماني رونتجن مكتشف أشعة إكس.

التاريخ، ويعرفه العالم كله، وتشهد به ساحات العلم في كل مكان».

ماذا تعني جائزة «نوبل»؟

أولاً: قيمة علمية عظيمة، حيث تعَدُّ دخولاً إلى التاريخ العلمي من خلال عالم مصري عربي مسلم.

ثانياً: عامل مهم في تشجيع الشباب على الإيمان بأن المصري والعربي والمسلم يستطيع بالمثابرة، والجدية، والنية، وكل السجايا التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم أن يصل إلى المستوى العالمي.

ثالثاً: أهمية ودور العلم العظيم عند العالم المتقدم.

رابعًا: أن حصول الدكتور أحمد حسن زويل على هذه الجائزة يمثل نجاحًا وشرفاً لمصر وللعرب وللمسلمين.

خامسًا: أن هذا الفوز بمثابة مصباح أضاء - في ليلة حالكة الظلام - الطريق لأمتنا، فكان مصباحاً وضاءً بثّ الأمل والطموح في الجسد العربي النائم.

سادسًا: هذا الفوز أعاد الثقة بالنفس، ولفت الأنظار إلى أن ماء النيل ما زال يُخرِج نباتاً طيبًا، وما زالت التربة المصرية تجود بالعباقرة والرواد، وتربية الرواد الذين كانوا ولا يزالون أعلاماً محلقةً في سماء المجد.

الحلم الأكبر:

عندما سُئِل عن الحلم الأكبر الذي يتمنى تحقيقه أجاب قائلاً:

الحلم الأول: هو الشباب، والاهتمام بهم بعقد اللقاءات والندوات التي تتحول إلى ملتقى علمي... ويقدم من خلاله تجاربه وخبراته العلمية.

الحلم الثاني: إنشاء جامعة علمية عالمية... تتوافر فيها الأمانة العلمية..

عناصر النجاح:

للنجاح أدوات ووسائل إذا أمسك بها طالب العلم كان النجاح والتفوق، يقول الدكتور زويل معبرًا عن ذلك عندما سُئِل عن أسباب النجاح أجاب قائلاً:

١ - المثابرة الحديدية التي تجعله ينكب على عمله بجد واجتهاد.

٢ - الموهبة التي هي هبة من الله سبحانه وتعالى.

٣ - وجود الهدف، وأنا أعتقد أن كلمة نجاح معناها تحديد الهدف.

فالنجاح هو الابن الطبيعي لتزاوج هذه العناصر جميعًا.

الانتفاع بالوقت في القراءة:

حرص الدكتور أحمد زويل على وقته منذ صباه، حتى الأوقات التي يقال عنها أوقات الفراغ، حافظ عليها وجعلها للهوايات الجميلة، وعلى رأس تلك الهوايات الجميلة بعد أبحاثه العلمية تأتي القراءة.

أحبَّ القراءة حبًا جمًا، وكثيرًا ما كان يقول: «أعطني كتابًا واتركني على المريخ، وتأكد أنني سوف أكون أسعد الكائنات».

ويقول للشباب:

عليكم بالقراءة والاطلاع، فالحياة ليست فقط متعة ولهوًا، فالنجاح له متعته وجماله التي تفوق متعة اللهو.

والمعرفة بكل نواحي الثقافة هامة جدًا لتكوين شخصية متوازنة للإنسان تجعله محترمًا في كل الأوساط.

ويقول: على الشباب أن يعمل ويتعلم ويتحدى الصعاب، وأن يكون لدى الشباب خطة، وأن يطلع على كل جديد.. عن طريق الأسرة والقدوة.

ويقول عن البيت:

أخذت عن أهلي الثقةَ والحبَّ، فتعلمتُ احترامَ الكبير والتواضعَ، والحبَّ والحنان، والثقة، فالبيت أهم مكان يشب فيه الإنسان حيث ينهل الطفل الأخلاق الفاضلة، ويتربى على المبادىء الصافية الصادقة النقية. وصدق رسول الله - ﷺ - «**كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**»[1] وإلى هذا أشار أبو العلاء المعري بقوله:

وينشأ ناشىءُ الفتيانِ منّا   على ما كانَ عوّده أبوه

يقول عن والدته:

لقد سخَّرتْ كل شيء لتربيتي، كانت تستيقظ في الفجر لتعطيني كوبًا من اللبن، كانت رقيقة القلب، امتلأ فؤادها بالحب

---

(١) أخرجه الشيخان.

والحنان والعطف، وعندما كنت أقول لها: «ادعي لي بالرزق وبالفلوس الكثيرة» كانت تصيح قائلة: لا. لا.. ثم تردد قائلة: «ربنا يحبب فيك خلقه، وربنا يبعد عنك الشر».

كانت أمي واحةً من الحنان، وكان حنانُ أمي سرًّا من أسرار نجاحي، فقد منحتني الثقةَ بالنفس والثبات في الحياة.

❖ وصدق شاعر النيل - حافظ إبراهيم - الذي يشيد بدور الأم وأهميتِها في تربية الجيل، وبناء المجتمع:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددْتَها ... أعددتَ شعبًا طيب الأعراقِ
الأمُّ روضٌ إنْ تعهدهُ الحيا ... بالري أورق أيّما إيراقِ
الأمُّ أستاذُ الأساتذة الأُلى ... شَغَلتْ مآثرهم مدى الآفاقِ

يقول عن والده:

كان أحمد زويل دائمًا يعتز جداً بنصيحة أبيه له، فعندما جلس بجواره ذات يوم وهمس في أذنه بحنان وإشفاق وعطف قائلاً: «ليس ضروريًا أن تكون مليونيرًا كي تعيش مثل المليونيرات، ولكن عليك أن تكون راضيًا ومجتهدًا ومحبًا للناس، بذلك ستنال سعادة ربما تفوق سعادة المليونيرات»[1].

هكذا يجب أن تكون بيوتنا مصدرًا للحب والحنان، والنصح والوعي والإرشاد، والقيم والفضائل. فالحب والثقة والإحساس النبيل أساس في رفع الروح المعنوية، وهذا مما

(١) من كتاب «أحمد زويل العبقري العربي...» صاحب نوبل ١٩٩٩م للأستاذ/محمد صديق المنشاوي - دار الفضيلة بمصر، بتصرف.

يساعد على بثّ الثقة في أبنائنا، وبذر شجرة التقدم والتفوق في نفوسهم.

❖ والقدوة لها دور وتأثير كبير في بناء الأطفال، ففي الولايات المتحدة يقولون:

«إن العباقرة تصنعهم القدوة».

شغفه بالعلم:

أحب أحمد زويل المدرسة حبًا جمًا، وعشق العلم، وشغف بالقراءة والرغبة في التفوق، والازدياد من العلم، وحرص على التقدم، وسبق زملاءه منذ نعومة أظفاره، واحتل العلم في نفس أحمد زويل مكانة عظيمة، فكلمة «علم» عنده تعني المعرفة الأساسية، وهو البحث عن الحقيقة بالتجربة والرؤية الدقيقة بحثاً ومتابعة، فالتقدم والرقي لا يأتيان بدون العلم.

❖ ويقول أحمد زويل: «كنت أحب جل مسائل الميكانيكا، وأشرحها لزملائي بطريقة واضحة..»، «المعرفة شيء أساسي لوجود البشرية... الدول المتقدمة تخصص ملايين الدولارات للحصول على المعرفة... لترتفع حضارتها..».

كيف يمكن لي أن أصنع من ابني «دكتور زويل» آخر؟

عندما سُئِل هذا السؤال، ابتسم وقال بكل تواضع: لا تعتقدوا أنني أتيت من المريخ، إنني ابن هذا الوطن، وهنا في مصر مئات «زويل»، ولكن لا تنقصهم إلا جرعات من الثقة والحنان.

التواضـع والحيـاء:

لقد ارتفع نجم أحمد زويل، وسطع في سماء العلم، وغدا مصباحاً منيرًا بفضل ما منَّ الله به عليه من اكتشاف علمي هائل حقق به خيرًا للبشرية في كافة المجالات، لذا فهو يعد في طليعة الصفوة الممتازة من أصحاب القدرات والمواهب، المسؤولين عن تغيير المجتمعات نحو الأفضل.

❖ رغم كل هذا نجد الدكتور أحمد زويل في قمة التواضع في هيئته وجلسته وألفاظه، ومع معارفه وجيرانه، حتى مع رجل الشارع. فلقد ذهب إلى مسقط رأسه، وتحدث، وهمس، وضحك مع عم سعيد بائع الفول، والحاج عبده الفكهاني، وسأل عن الأصدقاء وعن الجيران.

وعن **أطرف موقف** عندما تقدم إليه أحد باعة «الفُلّ»، وقدم له عقدًا من الفل، وتبسم قائلاً: كل «فمتو» وأنت طيب يا دكتور!!.

❖ وتقدم إليه أحد الباعة أيضًا، وقال: هل «الفمتو» جزء على مليون من الثانية أو جزء من الألف من الثانية؟ وابتسم الدكتور أحمد، وأقبل على البائع البسيط، وشرح له في تواضع وبساطة دون تكبر.

❖ وعندما سألته إحدى المستمعات سؤالاً: هل داخل النواة إلكترونات؟

فيجيب في تواضع ـ رغم أنه الدكتور أحمد زويل ـ قائلاً: إنه ليس من تخصصي!!، ولكن أتكلم بشمولية العالم.

❖ وعندما تحدث للتلفزيون المصري عن اكتشافه وإنجازه، تحدث بصدق وتواضع، لم ينسب فضل الكشف لنفسه فقط، وإنما جعل الفضل في تفوّقه العلمي لفريقه العلمي المكون من مائة وخمسين أستاذاً وباحثاً. . .

❖ وعندما حاوره الإذاعي المصري مفيد فوزي جلس الدكتور زويل في تواضع وكأنه تلميذ صغير، فيطلب منه المذيع أن يضع إحدى رجليه على الأخرى، كما يفعل الآخرون، فاعتذر الرجل في حياء وتواضع، وقال: هذا احترام للناس!!

❖ كما لاحظ الأستاذ مفيد فوزي ترقرق الدموع في عيني الدكتور أحمد زويل عندما يتحدث عن مصر وعن قريته.

❖ وصدق رسول الله: «. . . **وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»[1]. فكلما زاد علم المرء كلما زاد تواضعه.

❖ وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «إن العبدَ إذا تواضع لله رفعه الله تعالى بحكمه. .»[2].

كما نلحظ في شخصية الدكتور زويل عقلاً متزناً، وفكرًا منظمًا، وحجة وموضوعية، الأمر الذي يعكس لنا غزارةَ علمه، وعمق تفكيره، وما أشبهه بالبحر، فإنك تجد الصخب والضجيج على الشاطىء وعند الصخور، فالماء الضحل لا جواهر فيه ولا دُرر، لكنك تجد الهدوء لدى الماء الأعمق حيث نفائس البحر وكنوزه، والمثل الإنجليزي يقول: الماء العميق أهدأ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩) وغيرهما.

(٢) تهذيب جامع بيان العلم وفضله. ص١٠٨.

من أقوال وحكم أحمد زويل عن:

❖ **العلم**: كلما تتعمق في العلم تكتشف أنك صغير.

❖ **العقل**: هو طريقنا للمعرفة وبه نعرف هذا الكون.

❖ **المعرفة**: شيء أساسي لوجود البشرية، المعرفة عندي هي الماء والهواء.

❖ **التكنولوجيا (التقنية)**: هي الأداة التي تخدم الإنسانية.

❖ **المذاكرة**: كانت حياتي مليئة بالنشاط والبحث، والمراجعة والمدارسة والمذاكرة.

❖ **مصر**: هي التي عرّفتني بالقيم في الحياة، مصرُ بلد غني بالإنسان، والموارد، والتاريخ.

❖ **القراءة**: أعطني كتاباً واتركني على المريخ، وتأكد أنني سوف أكون أسعد الكائنات.

❖ **الأم**: هي أساس حياة الرجل، ودورها خطير جدًا، وليس له بديل، فهي التي تعطي ابنها الدفء والحنان، والحب والرعاية، وهذا ينعكس بدوره على حياة الابن فيعطيه الأمن، والثقة، والتفاؤل.

❖ **المرأة**: جزء لا يتجزأ عن الرجل، فالحياة رجل وامرأة. وهي أجمل مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

والمرأة في تكوينها البيولوجي مختلفة عن الرجل، واختلاف التكوين يعني اختلاف المهام، فيجب أن تحتفظ بأنوثتها ورقتها، وبوجدانها الذي يفيض بالحنان.

❖ **الطفل**: هو الوطن القادم، وأعتقد أن أهم شيء نعطيه له هو التعليم الصحيح، وليس مجرد الحفظ والتلقين، فالطفل رجل المستقبل.

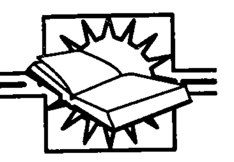
❖ **التعليم الصحيح**: هو حجر الزاوية في التقدم المستمر، والتطوير الدائم، واكتساب الاتجاهات والمهارات والقدرات التي يواجه بها الطفل كل المواقف الجديدة.

❖ **الشباب**: عليكم بالقراءة والاطلاع، فالحياة ليست فقط متعة ولهوًا. فعلى الشباب أن يحاول جاهدًا، وأن يعمل ويتعلم ويتحدى الصعاب.

❖ **النجاح**: معناه تحديد الهدف، النجاح له متعته وجماله التي تفوق بكثير متعة اللهو.

❖ **الإنصات**: نعمةٌ من نعم الله، وحسنُ الإنصاتِ فضيلة.





الخاتمـــة

❖ قال الصحابي الجليل أبو الدرداء (عويمر بن عامر):

«من رأى الغُدُوَّ والرواحَ إلى العلمِ ليس بجهادٍ، فقد نقصَ في عقلِهِ ورأيه».

(مفتاح دار السعادة) (ج١/٧٧) لابن القيم

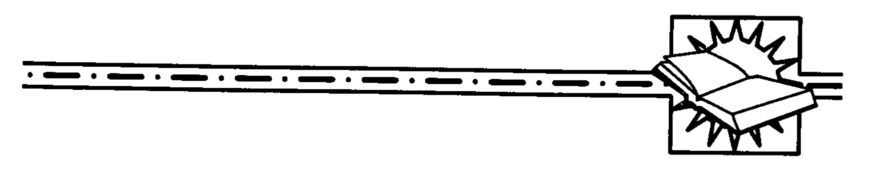
❖ وقال حبرُ الأمة سيدنا عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ:

«أعزُّ الناسِ عليّ جليسٌ لطلب العلم، فواللّٰهِ لو وقعت ذبابةٌ على أحدِهم لآذتني».

❖ لمثل هذا يذوبُ القلبِ من كَمدٍ
إِنْ كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

أبو البقاء الرُّندي





خـــاتمـــة

وبعد: فإننا بعد هذه الإطلالة السريعة في رياض هذه الصحائف لتتأكد لنا حقيقةُ ما ذهبنا إليه، وصدقُ ما انتهينا عنده في اقتباسنا هذه الوصية الذهبية، وإيماننا بتلك الحقيقة النبوية:

«مرحباً بطالب العلم»

إنـها حقـيقـةٌ صادقةٌ اهتـديـنـا إلـيـهـا **أولاً**: بـبـركـة حـديـث رسول الله ﷺ.

ثانياً: من سيرة السلف الصالح لهذه الأمة ـ رضوان الله عليهم ـ الذين طبقوها فعزوا وسادوا، وشادوا وقادوا ركب الإنسانية إلى حضارة شامخة، سامقة، طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ثالثاً: من استقرائنا للتاريخ ومن معايشتنا للواقع المعاصر، نجد أن البلاد والمدن التي قدرت العلم، وكرمت العلماء، ورحبت بطلاب العلم، غدت منارات علمية، وقلاعاً للمعرفة فقادت بذلك ركب الحضارة الإنسانية.

يشهد **التاريخ القديم** لكل من أثينا، وروما، والإسكندرية بالسبق في هذا الميدان.

وفي **التاريخ الإسلامي** وعبر مسيرته المجيدة ازدهرت مدن مثل: دمشق، وبغداد، ومرو، وبخارى، والقاهرة، والقيروان، وصقلية، وقرطبة، وفاس، وأصبحت هذه المدن مراكز إشعاع حضاري، غدا العلماء المسلمون من العرب وغير العرب - بحق - أساتذةَ العالمِ حيث قدموا لأوربا زاد نهضتها.

أما في **التاريخ المعاصر** نجد أن راية العلم قد تسلَّمَتْها بلدان أخرى مثل: دول غرب أوربا، والولايات المتحدة، وكندا، واليابان، وماليزيا، وسنغافورة، حين جعلت العلم في مقدمة أهدافها.

التعليم أولاً، وثانياً... وأخيرًا:

عندما بدأ حزب العمال البريطاني بزعامة (توني بلير) حملته الانتخابية سنة ١٩٧٧م كان شعاره الأساسي ثلاث كلمات هي:

EDUCATION & EDUCATION & EDUCATION

وفاز الشعارُ والحزبُ، وبمناسبة مرور ألف يوم على هذا الفوز صرح (بلير) في يناير ٢٠٠٠م (التعليم أهمّ هدفٍ قومي لنا جميعاً، وما نسعى إليه حكومةً وشعبًا يجب أن يكون الارتقاء بالتعليم وتطويره.. التعليم الجيد المتميز وحده هو القادر على سدّ الفجوات الاجتماعية بين الناس، وأيضاً سدّ الفجوات الاقتصادية بين الدول[١].

(١) مجلة المعلم «الإماراتية» - العدد ٩٦ - فبراير سنة ٢٠٠٠م - الأستاذ/ زكريا أحمد عيد.

ماذا تعني «مرحباً بطالب العلم»؟

كلمة قليلة في مبناها لكنها كثيرة في معناها، تلقى على مسامع الطالب فتبعث فيه روحًا جديدة، تسري في أوصاله، تجدده، تشجعه، فتكون عميقة الأثر في نفسه.

إنها تعني: مرحبًا بالأساليب المتطورة، بالتقنيات الحديثة، ببيئة علمية مشجعة، بإزالة العوائق، بتنميةِ الإبداع، بالتعليم المستمر، إنها التربية النبوية العظيمة، هكذا أصلهاَ النبيّ ﷺ وهكذا طبقها الرعيل الأول وبناة حضارتنا السابقون، حتى أن عبدالله بن مسعود عندما كان يأتيه طلاب العلم يقول لهم:

«أنتم دواء قلبي»[١] وشاعت على ألسنتهم «مرحبًا بطالب العلم» **فهل استجاب لها اللاحقون؟**.

السطور القادمة قد تجيبك عن هذا التساؤل.

هجرة طلاب العلم:

من الشواهد التي أصبحت مألوفة في دول العالم الثالث أن كثيرًا من طلاب العلم، - خاصة النابغين - يولون وجوههم - غالباً - شطر أمريكا وأوربا، وقد يكون بعضهم مضطرًا إلى ذلك، لاستكمال دراساتهم الجامعية حيث يجدون الترحيب الذي قد لا يجدونه في بلادهم، وتتواصل دراستهم «الماجستير» و«الدكتوراه»، وبعد ذلك يتم استقطاب الكثير منهم، لما يجدون من إغراءات مادية ومعنوية، وأجواء مناسبة، فيفضلون البقاء وعدم العودة،

---

(١) الجامع.. للخطيب البغدادي (١/٣٤٩).

ويندرجون تحت ما يسمى باسم «العقول المهاجرة» أو «هجرة العقول» أو «هجرة الأدمغة»[1].

الأمر الذي يحرم أمتنا من هذه الطاقات العلمية الهائلة، والنخب الفكرية الواعية، مما يزيد في تخلفنا عن ركب الحضارة الإنسانية.

وإليك قصة الطالب **باسل عبدالمجيد**، فلسطيني الجنسية، متفوق دراسيًا، حصل على الثانوية من دولة خليجية، لم يجد فرصة أمامه لاستكمال دراسته الجامعية سوى «جامعة الشرق الأوسط» بتركيا، قسم الكيمياء النووية، ونال شهادة البكالوريوس سنة **١٩٩٥**م محققاً المركز الأول، لكنه فشل في الحصول على منحة دراسية من أي جامعة عربية! بل فشل في الحصول على أي عمل في بلد عربي!.

علمت بقصته السفارة الأمريكية في (أنقرة)، فاستدعاه السفير الأمريكي وفي غضون أيام قليلة مُنِحَ تأشيرة، وتذكرة سفر إلى الولايات المتحدة ليعمل معيدًا في إحدى جامعاتها![2].

٤٥ ألف عالم مصري مقيمون بالخارج!

كشف الجهاز المركزي المصري للتعبئة والإحصاء.. وتقريرٌ آخر لأكاديمية البحث العلمي أن عدد العلماء المصريين المقيمين

---

(١) «هجرة العقول» أو «نزيف العقول» مصطلح ابتدعه البريطانيون لوصف خسائرهم خلال الثلث الأخير من القرن العشرين من العلماء والمهندسين والأطباء الذين هاجروا للخارج، خاصة إلى أمريكا.

(٢) قناة الجزيرة الفضائية ـ برنامج مراسلو الجزيرة ـ الجمعة ١٢ يناير ٢٠٠١م.

بالخارج يقدر بـ(٤٥ ألف عالم) منهم (١١٦٠) في تخصصات نادرة، منهم (٩٤) في الهندسة النووية، و(٣٦) في الطبيعة النووية، و(٩٨) في الأحياء الدقيقة، (٨٢) في استخدام الليزر، و(٩٣) في الإلكترونيات والحاسبات الدقيقة، و(٢١١) في فروع الطب الهامة، و(١٨٨) في علوم الوراثة، و(٦٨) في هندسة الطرقات والسدود، و(١١٣) في الجيولوجيا وطبيعة الزلازل[١].

هذه العقول المهاجرة تمثل ثروة غالية؛ ورصيدًا حيويًا لأمتنا، التي هي في أمس الحاجة إلى هذه الطاقات العلمية والتقنية الهائلة، وذلك للتغلب على التخلف الاقتصادي والاجتماعي والتقني والتربوي.

وقد أحسن مجلس الشعب المصري صنعاً بتخصيص جلسات لمناقشة هذا الموضوع، كي تحذو مصر حذو بعض الدول مثل (إسرائيل) والهند وتركيا وكوريا الجنوبية وباكستان وماليزيا وأندونيسيا، التي عقدت صلات وثيقة؛ لنقل المعرفة والتكنولوجيا والاستفادة من علمائها.

فهل تنجح مصر في الترحيب بعلمائها والاستفادة منهم؟ عسى أن يتحقق ذلك.

٦٥ مليون أمي عربي!

- اجتمع في القاهرة من ٢٤ إلى ٢٧ يناير سنة ٢٠٠٠م وزراء التربية والتعليم العرب، ووفود (١٥) مؤسسة عالمية مهتمة

---

(١) جريدة البيان «الإماراتية» الإثنين - ٢٦ فبراير ٢٠٠١م.

بشؤون التعليم في المؤتمر العربي الإقليمي «التعليم للجميع» والذي نظمته منظمة اليونسكو، كشف المؤتمر عن حقائق مرة، سنوردها بالأرقام، ولقد قيل «الأرقام خير لغة» منها:

❖ أن أعداد الأميين في البلاد العربية ارتفعت إلى (٦٥ مليون) وفي دراسة أخرى (٧٢ مليون) (أي أن الأمية في البلاد العربية تتجاوز (٣٨,٥٪) بينما لا تزيد في (إسرائيل) عن «٤٪»).

❖ تسعة ملايين طفل عربي محرومون من التعليم سنويًا وينضمون لجيش الأميين.

❖ (٥٠٪) من المعلمين العرب غير مؤهلين ويفتقدون التدريب المستمر.

❖ البلاد العربية متأخرة في رعاية الطفولة المبكرة بدرجة كبيرة[١].

حبذا لو طبقنا ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وطبقنا الشعارات التي رفعناها «الجار يعلم جاره، وإن كنت متعلماً فعلم غيرك، وإن كنت خلاف ذلك، فتعال فتعلم» و«من عرف شيئاً علمه، ومن جهل شيئاً تعلمه».



(١) مجلة المعلم «الإماراتية» العدد ٩٦.

صرخة من أجل علماء الأمة

يجب على أمة الإسلام أن ترعى وتحمي علماءها، فالعلماء رمز الحضارة، بل القاعدة التي تقوم عليها الحضارة، وهم صمام أمن الأمة، وضمان بقائها، وسبيل نهضتها وقوتها، وهم ميزانها، إن علوا علت، وإن خبوا خبت.

لقد بنى أعداء الأمة استراتيجيتهم على امتلاك القوة وأسبابها بل واحتكارها منذ وقت مبكر، ومن ذلك امتلاك أسلحة الدمار الشامل، واحتكار التسليح النووي، وسباق التسليح، وتسخير كل ذلك لخدمة أغراضهم ومصالحهم، بينما تدمر منشآت المسلمين ويقتل علماؤهم، وها هو ذا التاريخ يشهد ويسجل:

❖ بعد قيام دولة (إسرائيل) بثلاثة أشهر أي في (**١٥** أغسطس سنة **١٩٤٨**م) أعلن الصهاينة عن تأسيس هيئة الطاقة الذرية!.

❖ خَطَتْ (إسرائيل) في هذا الاتجاه خطوات متقدمة بسبب الدعم من القوى الغربية، فكانت النتيجة امتلاك الصهاينة قنبلة نووية[(١)].

❖ قيام (إسرائيل) في يوم (٧ يونيو **١٩٨١**م) بتدمير المفاعل الذري العراقي، ويصرح وزير العلوم اليهودي (يوفال نئمان) فيقول: «**إن تدمير المفاعل النووي العراقي هو أروع الحروب التي خضناها ضد العرب**».

كما عمل أعداء الأمة على شراء العلماء العرب والمسلمين، وإغرائهم بكل سبيل، فإذا وجدوا فيهم غيرة وحماسة لأمتهم،

---

(١) كتاب «المؤامرات الصهيونية على مصر بالوثائق» للأستاذ جميل عارف - إصدار المكتب المصري الحديث - القاهرة - **١٩٩٩**م.

استخدموا معهم سلاح القتل في ظروف غامضة، وفي النهاية تقيد الجريمة - كالعادة - «الفاعل مجهول» ويغلق التحقيق.

ولكي لا تضيع دماء علمائنا الزكية سدى، وحتى نبصر الأمة بعدوها المتربص بها، وننعش الذاكرة العربية بمآثر هؤلاء العلماء الذين قضت عليهم قوى الشر والطغيان في الخفاء، وجب علينا أن نعرف الرأي العام والأجيال الصاعدة بهذه الحقائق المفجعة التي تحاك في الظلام لعلماء أمتنا.

من قتل علماءنا؟

١ - د. **علي مصطفى مشرفة**: عالم الذرة، ولد بدمياط بمصر ١٨٩٨م حفظ القرآن صغيرًا، تفوق في دراسته، حصل على الدكتوراه من لندن سنة ١٩٢٤م، أول عميد مصري لكلية العلوم بجامعة القاهرة ١٩٣٦م، قال عنه أينشتاين: «لقد كان مشرفة رائعًا. . كان من أعظم علماء الفيزياء»، قتل مسمومًا يوم الإثنين ١٥ يناير ١٩٥٠م، فمن المستفيد؟ من المدبر؟ من المنفذ؟ ومن المسؤول؟.

٢ - د. **سميرة موسى**: عالمة ذرة مصرية، ولدت بقرية سنبو الكبرى مركز زفتى ١٩١٧م، حفظت أجزاء من القرآن الكريم، نبغت في دراستها، تأثرت بأساتذتها خاصة د. مشرفة، أصبحت أول فتاة وأصغر معيدة بكلية العلوم جامعة القاهرة سنة ١٩٤٢م، كان هدفها أن يكون علاج السرطان بالذرة مثل الأسبرين، حصلت على الدكتوراه من بريطانيا سنة ١٩٥١م، قال عنها أستاذها الإنجليزي «فيلنت»: «إن تجارب سميرة موسى قد تغير وجه الإنسانية»، سافرت لاستكمال دراستها بجامعة كاليفورنيا

بأمريكا، رفضت الجنسية الأمريكية، وكل الإغراءات، وفضلت العودة لمصر، فقتلت في حادث مروري في صباح **١٥** أغسطس **١٩٥٢**م بالولايات المتحدة فمن القاتل؟ ومن المستفيد الأول من قتلها؟.

٣ ـ د. سمير نجيب: عالم الذرة المصري رشحه نبوغه في كلية العلوم جامعة القاهرة؛ لاستكمال أبحاث الذرة في الولايات المتحدة في بعثة للحصول على الدكتوراه، ولم يكن عمره يتجاوز الثلاثين عاماً، رفض إغراءات أمريكا، وفضل العودة ـ خاصة ـ بعد نكسة **٥** يونيو **١٩٦٧**، وفي ليلة سفره، قتل في حادث مروري في مدينة «ديترويت» الأمريكية، في **١٣** أغسطس **١٩٦٧**م فمن القاتل؟ من المستفيد؟.

٤ ـ د. نبيل القليني: عالم الذرة المصري، لنبوغه رشحته كلية العلوم جامعة القاهرة لدراسة الذرة في الجامعة التشيكية في (براغ)، اختفى منذ يوم الإثنين (**٢٧** يناير **١٩٧٥**م) على إثر تلقيه مكالمة تليفونية، فخرج ولم يعد! هل اختطفه الموساد (الإسرائيلي)؟ أم قتل كما قتلت سميرة موسى ود. سمير نجيب؟.

٥ ـ د. يحيى المشد: عالم الذرة المصري: من مواليد مدينة (بنها) بالقليوبية في **١١** يناير **١٩٣٢**م، بكالوريوس هندسة، قسم الكهرباء جامعة الإسكندرية، حصل على الدكتوراه من موسكو في مجال (التصميم والتحكم في المفاعلات النووية).

عمل بمؤسسة الطاقة الذرية بمصر، ثم أستاذاً بجامعة الإسكندرية، أعير إلى جامعة التكنولوجيا ومؤسسة الطاقة الذرية العراقية **١٩٧٣**م، ترأس د. يحيى المشد البرنامج النووي العراقي،

وكانت المؤامرة حين قتل في باريس ١٤ يونيو ١٩٨٠م فمن القاتل؟ من المستفيد؟.

٦ ـ د. **نبيل فليفل**: عالم الذرة الفلسطيني، أحد أبناء مخيم الأمعري بفلسطين حصل بتفوق على البكالوريوس في كلية العلوم ـ جامعة القاهرة في مجال الطبيعة النووية، رفض إغراءات (إسرائيل)، فقتل يوم (السبت ٢٨ إبريل ١٩٨٤م) فمن القاتل؟ ولمصلحة من؟.

٧ ـ د. **سعيد سيد بدير**: عالم مصري، في مجال الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية، قتل في ظروف غامضة بشقته بالإسكندرية (١٣ يوليو ١٩٨٩م) فمن القاتل؟ من المستفيد؟.

٨ ـ د. **أحمد الجمال**: عالم مصري، في الصناعات النووية، قتل في لندن (١٢ أغسطس ١٩٩٦م) وسرقت أبحاثه، فمن القاتل؟ من المستفيد؟.

٩ ـ د. **سلوى حبيب**: متخصصة مصرية في موضوعات تعميق الوعي بحقائق الصراع العربي الإسرائيلي، ذبحت في شقتها سنة ١٩٩٦م وسرق القاتل أبحاثها قبل أن تنشر. فمن القاتل؟ من المستفيد؟.

١٠ ـ د. **جمال حمدان**: عالم مصري، فضح المخططات الصهيونية، قتل حرقاً في شقته بالقاهرة، وسرق القتلة مسودات بعض كتبه[١]. فمن القاتل؟ من المستفيد؟.

---

(١) كتاب «اغتيال العقل العربي» للأستاذ عبدالله بلال ـ دار الأمين ـ القاهرة ١٩٩٩م.

١١ ـ قتل الكفاءات المصرية العسكرية والخبرات التكنولوجية (**٣٣** ضابطاً وطيارًا عسكريًا بالإضافة إلى عالم ذرة) كانوا على متن طائرة مصر للطيران، رحلة رقم (**٩٩٠**) يوم الأحد **٣١** أكتوبر **١٩٩٩**م. فمن القاتل؟ من المستفيد؟.

وقلم التاريخ يسأل: من الجاني؟ وضمير الأمة يستنكر الصمت، بل ويستصرخ قادة الأمة لحماية علمائها، ويتساءل:

من قتل هؤلاء العلماء؟ من المستفيد الأول من قتل هذه الكفاءات العلمية؟ أين دور الحكومات العربية في حماية علمائها؟.

ثم من وراء محاولات الاغتيال والتهديد لكل من: الدكتورة ليلى عبدالمنعم التي تلقب بـ«أم المخترعين المصريين»، **والدكتور عبدالوهاب المسيري** صاحب (الموسوعة اليهودية) التي تفضح الصهاينة وتكشف حقيقتهم؟ ثم التهديدات اليهودية **للعلامة الشيخ يوسف القرضاوي؟** العالم الذي غرس الوعي بحقيقة الصهيونية الغادرة، والصليبية الحاقدة، الذي بدد ظلام الغفلة، وأشعل روح الهمة، وجدد عزم الأمة.

ثم التهديدات بالقتل **للبروفيسور عبدالقادر خان** أبو القنبلة النووية الباكستانية، بل فرضت على باكستان عقوبات أمريكية ودولية؛ لأنها تجرأت وصنعت قنبلة نووية.

إنهم يسمون الإسلام (الخطر الأخضر) خطر ظهور (صلاح الدين) من جديد. بل الأمر يتضح أكثر وأكثر عندما يكتب فيلسوف السياسة الأمريكية (صموئيل هانتنجتون) وهو (يهودي) في كتابه (صِدام الحضارات) الذي أصدره سنة **١٩٩٥**،

قال فيه: «إنه لا سبيل إلا أن تصطدم الحضارة الغربية ـ التي يجب أن تبقى ـ مع الحضارة العربية ـ التي يجب أن تزول...»[1].

هكذا تتبين وتتلاقى النوايا الصهيونية مع الصليبية، وما تخفي صدورهم أكبر.

أمام كل هذه التحديات والدعوات كالعولمة[2] والعقلنة والعصرنة والصهينة، وما يحاك لهذه الأمة من تحرش مثل (صِراع الحضارات)، وأمام التخلف والتفكك، فلا خيار أمام أمتنا الإسلامية إلا بالعودة الرشيدة إلى التربية والتعليم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3] العودة الحميدة إلى التربية السليمة التي نهجها السلف الصالح، إنها التربية التي فعَّلت ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، والتي وَعَتْ «**طلبُ العلم فريضة**»، وعايشت ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، وتخلّقتْ بالوصية النبوية «**مرحبًا بطالب العلم**».

كتبنا هذا الكتاب ـ عسى أن يحمل إضاءات تربوية هادية لكل طالب علم، وكل أب، وكل أم، وكل راعٍ، وكل مسؤول.

وعسى أن يحظى العلم بكل جوانبه وأبعاده وآفاقه وتداعياته بالاهتمام الكافي والوافي من الراعي والرعية، فكلكم مسؤول.

---

(١) «أمتنا بين قرنين» للعلامة الشيخ يوسف القرضاوي ـ دار الشروق ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) العولمة: اسم مهذب للاستعمار الجديد، أو بعبارة أخرى (أمركة العالم)، إنها تعني فرض الهيمنة الأمريكية على العالم سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا.

(٣) الرعد: (١١).

وعسى أن نعيد النظر في مدارسنا ومعاملنا وجامعاتنا ونظمها ولوائحها، وندعم مراكز الأبحاث العلمية على مستوى الأمة.

وعسى أن نرحب بطلاب العلم، ونرعاهم، ونحافظ عليهم، ونساعدهم، ونشجعهم ـ خاصة ـ النابغين والموهوبين ضمن استراتيجية شاملة من خلال تفعيل دور الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، حتى تسطع حضارة الإسلام على الدنيا من جديد، يسألونك ﴿مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

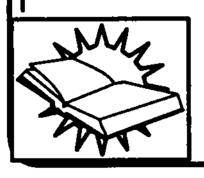
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

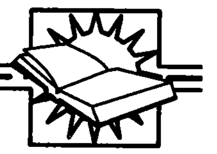


قال العماد الأصفهاني:

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر...».







المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





قالوا عن الكتاب

١ ـ لقد أحسن المؤلف وأبدع، إذ لم يترك شاردة ولا واردة تحث على العلم إلا وأتى بها، ومن أمتع أبواب الكتاب حديثه عن العلم كصفة للأنبياء، وكيف أن العلم رفع أقواماً وأمماً ومكنهم في الأرض. هذا كتاب جمع فأوعى، مرجع للمعلم، ومرشد للطالب والمتعلم، وتذكرة وتبصير لكل قائد وصاحب قرار.

الدكتور سعيد عبدالله سلمان
الرئيس الأعلى لجامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

٢ ـ إن هذا الكتاب إن دل على شيء فإنما يدل على مصداقية مرجعياته، وعلى الجهد الطيب الذي بذله المؤلف في إبراز الرؤية الإسلامية المعاصرة للعلم ووسائله وآدابه. وآمل أن يتواصل هذا العطاء دائماً في سبيل المصلحة العامة وخدمة العملية التربوية، فشكري وتقديري للمؤلف وللمراجع، مع تمنياتنا لمزيد من الإبداعات.

الدكتور أحمد سعد عبدالله الشريف
الوكيل المساعد بوزارة التربية بدولة الإمارات

٣ ـ ببالغ السرور والغبطة تلقينا كتاب (مرحباً بطالب العلم) من تأليف الأستاذ/ ماهر عمارة جزاه الله كل الخير، هو ومن ساعده على إنجاز هذا المجهود الطيب المفيد، وقد وجدنا فيه الفائدة التي تعم وتهم الطالب والمعلم معاً، مما دفعنا إلى الرغبة في تعميمه على المدارس، وضمه إلى المكتبات المدرسية لإثرائها بمعلوماته.

الأستاذ/ عبدالله عبيد يوسف
مدير منطقة عجمان التعليمية

٤ ـ سوف تقوم الأمانة العامة للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بتوزيع هذا الكتاب على كافة

المدارس المنتسبة لليونسكو في المنطقة العربية وكذلك على اللجان الوطنية العربية لليونسكو، ونظراً لأن عدد المدارس المنتسبة في العالم العربي يبلغ ٤١٩ مدرسة، نكون شاكرين إذا زودتمونا بمئتي نسخة إضافية حتى تعم الفائدة.

عوض علي صالح
الأمين العام للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم

٥ - نقدم خالص التحية والامتنان لجهدكم الطيب الذي برز من خلال كتابكم القيم المعنون باسم «مرحباً بطالب العلم» ونحن نثمن غالياً هذه المبادرة للخروج بكتاب يخدم العملية التعليمية والمعلم الذي هو جوهرها وأساسها. وقد عُرضت المادة العلمية بدقة وشمول كما نثمن غالياً جهد الأستاذ/ إسلام عمارة في المراجعة الدقيقة والذي أدى إلى جعل الكتاب متميزاً من حيث الشكل والمضمون والدقة اللغوية.

عبدالله بن إبراهيم المدفع
رئيس مجلس إدارة جمعية حماية اللغة العربية بالشارقة

٦ - نشيد بهذا العمل الثقافي التربوي الرافد لثقافة القارىء العلمية، والحافز على طلب العلم، وحث الطلاب على الاستزادة منه. كما نشيد بجهد المؤلف، وبمنهجية الكتاب وحسن تنظيمه.

عيسى معضد السري
مدير إدارة تنسيق ومتابعة التوجيه بوزارة التربية بدولة الإمارات

٧ - هذا كتاب لا غنى عنه في كل بيت.

الدكتور/محمد بن جمعة بن سالم
وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات

٨ - إن إنجاز مثل هذه الأعمال من شأنه أن يفرز معطيات إيجابية تعمل على بناء شخصية الطالب فكرياً وثقافياً، ورعاية إبداعه، وصقل مواهبه وتنميتها، كما تساعد على الارتقاء بالعملية التعليمية وربطها بخدمة المجتمع. ونحن نعرب عن تقديرنا واعتزازنا بالأستاذ/ ماهر فرج عمارة، ونأمل أن تكون مثل هذه المبادرات نموذجاً يحتذى به، وحافزاً نحو التطوير.

الدكتور يوسف محمد النجار
مدير إدارة التعليم العام